

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة  
<https://palstinebooks.blogspot.com>

# ملاحم الأءب

## فئ العصر العباسئ الأءل

ءكءور

عءء الهاءئ عءء الله عطئء

ءامعة الإسكندرئء



مكءبة بسءان المءرفة

لءبع ونشر وءوزئع الكءب

ء : ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨ - ٠١٢٢٥٣٤٨١٤

# ملاح الألب

فأ

## العصر العباسي الأول

ماكنور

عبد القادر عباد الله عباد

جامعة الإسكندرية

2005

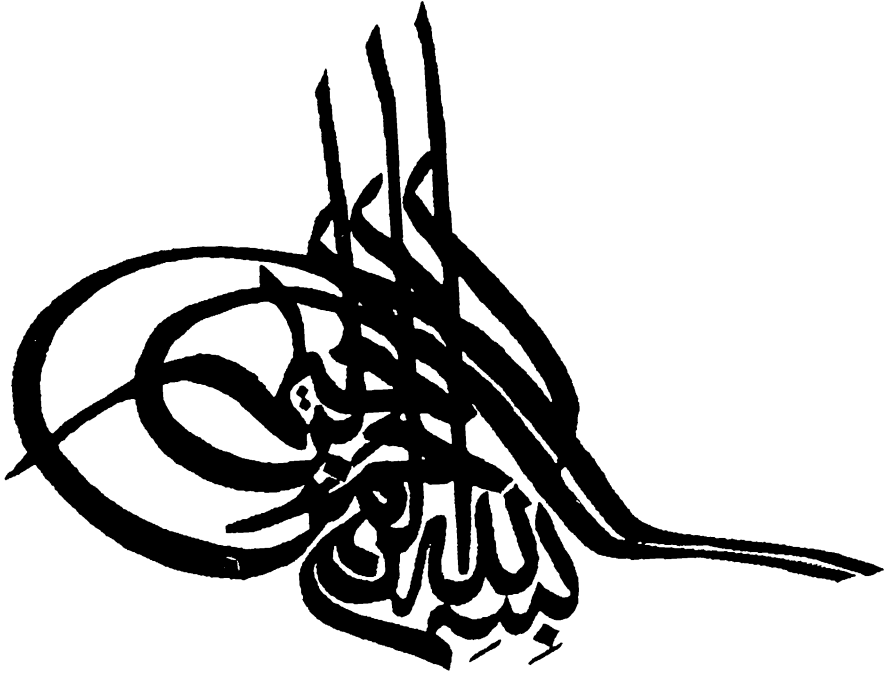
مكتبة بلاستاج المعرفة

طباعة ونشر وتوزيع الكتب

☎ : ٤٥/٢٢٢٤٢٢٨

٠١٢١١٥١٢٣٧ & ٠١٢٣٥٣٤٨١٤







## إهداء

إلى عالم فاضل وأستاذ من أساتذة  
الجيل فى الإسكندرية، ومصر والعالم  
العربى، إلى الأديب الشاعر الناقد،  
دمث الخلق، رقيق القلب، الأستاذ  
الدكتور محمد زكى العشماوى، أستاذ  
الأدب العربى بجامعة الإسكندرية،  
أية حب ومودة.



## مقدمة

أحمد الله ربي تبارك وتعالى، وأصلى وأسلم على أشرف الخلق نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد: فإن دراسة تاريخ الأدب العربي يعوزها الكثير من الجهد، والدأب، والعمل، والإخلاص، إذ إن الأدب العربي بحر واسع المدى، بعيد الغور، شديد العمق، لأن العرب تميزوا بهذه الميزة الواضحة، وهي الفصاحة، والبلاغة، والبيان.

والله سبحانه وتعالى يمن على الإنسان في كتابه الكريم بأنه سبحانه وتعالى علمه البيان، ولا غرو إذا كانت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا كريما هو الغاية في الفصاحة، والبلاغة، والبيان، فهو معجز. وأمة على هذا القدر من البيان لا جدال في أن نتاجها الأدبي غزير، وواسع، وعريض، وعميق، ومتشعب، ولا أعتقد أن دراسة عصر أدبي يمكن أن نلم بها في كتاب، أو مجلد، وإنما يتسع ذلك الجهد الأدبي للكثير من المجلدات.



وهأنذا أقدم عجالة في دراسة تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، وقد بدأت هذه العجالة بدراسة تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، أملا أن تكون بمثابة شمعة تضيء بعض الضوء، وتثير بعض الإنارة في دروب هذا العصر الأدبي العريض، ومسالكه، الذي أعده بمثابة عصر ازدهار الأدب عامة، والشعر خاصة، وذلك منذ دولة بنى العباس، سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة، والتي امتد حكمها، أو لنقل اسمها حتى سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة، مما حدا ببعض مؤرخي الأدب أن يقسموا هذا العصر العريض إلى عصور أدبية أقل زمنا، وأقصر فترة.

فقد قسم بعض مؤرخي الأدب هذا العصر إلى عصرين، هما: عصر الخلفاء، وعصر الملوك، وقسموا عصر الخلفاء إلى عصرين: عصر الخلفاء القوي، وعصر الخلفاء الضعيف، كما قسموا عصر الملوك إلى عصرين: عصر ملوك الديلم، أو بنى بويه، وعصر ملوك السلاجقة.

وقد أرخوا لعصر الخلفاء القوي، من سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة، إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من

الهجرة، من خلافة أبى العباس السفاح إلى نهاية خلافة  
الواثق، وهى مائة سنة، ولى فيها تسعة خلفاء، هم  
السفاح، المنصور، والمهدى، والهادى، والرشيد،  
والأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق.

كما أرخوا لعصر الخلفاء الضعيف، بمائة سنة واثنين،  
أى إلى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ولى فيها اثنا عشر  
خليفة، هم المتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز،  
والمهتدى، والمعتمد، والمعتضد، والمكتفى، والمقتدر،  
والقاهر، والراضى، والمتقى، والمستكفى الذى ملك بنو  
بويه فى عهده.

كما أرخوا لعصر ملوك الديلم، أو بنى بويه، بالفترة حتى  
سنة سبع وأربعين وأربعمائة من الهجرة، وهى فترة  
ثلاث عشرة ومائة سنة تولى فيها خمسة خلفاء هم:  
المستكفى، والمطيع، والطائع، والقادر، والقائم، أما  
السلطان فهو من بنى بويه، يقيم ببغداد.

كما أرخوا لعصر ملوك السلاجقة، بالفترة حتى سنة  
تسعين وخمسمائة، أى مدة ثلاث وخمسين ومائة سنة،  
وقد ولى فى هذه الفترة أحد عشر خليفة هم: المقتدى،  
والمستظهر، والمسترشد، والراشد، والمتقى، والمستجد،

والمستضىئ، والناصر، والظاهر، والمستتصر،  
والمستعصم، وكان السلطان من السلجوقيين يقيم ببلاذ  
الجبل، لا فى بغداد.

أما الفترة الأخيرة فهى من سنة تسعين وخمسمائة من  
الهجرة، حتى سقوط الدولة العباسية فى يد التتار سنة ست  
وخمسين وستمائة من الهجرة، على يد هولوكو، ولم يكن  
خلفاء بنى العباس تحت سلطان أحد، بل كانوا مستقلين  
بالحكم.

وقد قسم بعض مؤرخى الأدب العصر العباسى أدبيا إلى  
ثلاثة أقسام:

أولها: من بداية القرن الثانى الهجرى، حتى منتصف  
القرن الثالث الهجرى.

ثانيها: من منتصف القرن الثالث الهجرى، حتى منتصف  
القرن الخامس الهجرى.

ثالثها: من منتصف القرن الخامس الهجرى حتى نهاية  
الدولة العباسية.

وقد اعتمدت اعتمادا كبيرا على النصوص الشعرية، لأنها  
عدة الباحث، وتأكيد لفكرته، وإثبات لرأيه، وفى رأى أن  
النصوص الأدبية هى التى تعبر بحق عن العصر الأدبى.

واتجاهات الشعراء، واتجاهات الشعر خاصة، والأدب  
عامة.

والله أسأل أن يوفقني إلى تنوير حول هذا العصر الأدبي،  
فقد هذبت ما استطعت، وأردت إظهار ذلك الأدب في هذا  
الكتاب، الجزء الأول، الذي أقدمه للطلاب والدارسين،  
أملًا أن ينال استحسان محبي الأدب العربي عامة،  
والعباسي خاصة، والقائمين على التأريخ له، والبحث فيه،  
ونقده.

فإن ظفرت بهذا الاستحسان فذلك الفضل من الله، وإلا  
فحسبي أننى قد أخلصت في العمل، والله يجزى  
المخلصين، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

الخميس ٢٧ من شعبان سنة ١٤٢١ هـ

٢٣ من نوفمبر سنة ٢٠٠٠ م

دكتور

عبدالهادي عبدالله عطية



# الباب الأول

الشعر فُعُ بِطَاءِ الزَّالِفَاءِ

فُعُ الْمَصْرُ الْمَبَاسِغُ الْأَوَّلُ



# الفصل الأول

الشعر في عصر السفاح

١٣٢هـ - ١٣٦هـ





أبو العباس السفاح ١٣٢هـ - ١٣٦هـ هو الخليفة العباسي الأول، وهو أبو العباس عبدالله بن محمد علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، بويع له في الكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفي بالأنبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر، وأمه ربيعة، وهي عربية، وله ولد وبنت سميت ربيعة، تزوجها المهدي، وكان أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزيراً أول من لقب بالوزارة، فقتله أبو العباس، واستوزر بعده خالد بن برمك إلى آخر أيامه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

على رغم انشغال أبي العباس السفاح بتأسيس الدولة العباسية، والقيام بأعبائها السياسية، ومعاركها الحربية، إلا أنه لم يكن غير بعيد عن هذا الفن العربي الذي يعلى قيمة من تكون لهم بالهاماتهم، وفنهم عبقرية خلاقية تطلق في سماء هذا الفن الجميل، وهو فن الشعر، خاصة إذا علمنا أن الشعر هو وسيلة الإعلام التي تعلق على كل الوسائل الأخرى في العصر القديم.

ولما كان خلفاء بني العباس يريدون أن يؤلفوا القلوب حولهم، وينشروا سيرتهم، وسياساتهم بين الناس، التفتت من ثم أغراضهم

---

(١) العقد الفريد ٢٩٩/٣

والشعر، والشعراء، فاتخذوا الشعراء للوصول إلى هذا الهدف الذي يكشف عن سياستهم، ويبين عن دورهم في الحياة والمجتمع، وينشر صفاتهم وسجاياهم بين الناس.



روى أنه لما جئ برأس مروان بن محمد، آخر خلفاء دولة بني أمية، ووضع بين يدي أبي العباس السفاح سجد، فأطال، ثم رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذي لم يبق ثأرى قبلك، وقبل رهطك، الحمد لله الذي أظفرنى بك، وأظهرنى عليك.

ثم قال: ما أبالى متى طرقتى الموت، وقد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين، وأحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن على، وقتلت مروان بأخى إبراهيم.

وتمثل بقول الشاعر:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم      ولا دماؤهم جمعا تروينى  
ثم حول وجهه إلى القبلة، فأطال السجود، ثم جلس، وقد أسفر وجهه.  
وتمثل بقول العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه من أبيات له:  
أيا قومنا إن تتصفونا فأنصفت      قواطع فى أيماننا تقطر الدما  
تدريين من أشياخ صدق تقدموا      بهن إلى يوم الوغى متقدما

إذا خالطت هام الرجال تركنها كبيض نعام في الوعى قد تحطما<sup>(١)</sup>  
والشاهد أن أبا العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس يستشهد بالشعر  
في كل موقف يطرأ عليه وذلك يدل على اهتمامه بالشعر، وحفظه  
إياه، وتربيته التريية اللغوية، والأدبية على يد المؤدبين من علماء  
اللغة، ورواة الشعر، ونقدته.

كما يدل على أن فن الشعر يحتل منزلة عالية في بلاط دولة بنى  
العباس، وعلى السنة خلفائها أنفسهم. كما يدل على أنه لا يستطيع أن  
يعبر السفاح عن غيظه وحنقه إلا بالشعر الذى يصور هذا الحنق  
على صفته الصحيحة.

ويدل أيضا على اهتمام السفاح بالشعر القديم، وطرائقه الفنية،  
وسماته، ومعانيه، مما يجعلنا نعدده من أنصار مدرسة المحافظين فى  
الشعر العربى القديم، نظرا لأنه كان ظلا للمؤدبين من رواة اللغة  
ونقده الأدب ورواة الشعر، والفقهاء، والمحدثين، وغيرهم ممن كان  
همهم ينصب على الشعر القديم الذى يساير علمهم، وعملهم.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ١١٨، مروج الذهب ٢/٢٠٥  
شام هو الذى قتل، وأحرق، وصلب زيد بن على، مروان هو مروان بن محمد آخر  
خلفاء بنى أمية، إبراهيم هو إبراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس، أخو أبى  
العباس السفاح، وأبى جعفر المنصور، لم يرو: بالبناء للمجهول، قواطع : جمع  
قاطعة، بمعنى أدلة قاطعة، أو بمعنى فواصل، وكسور، تدرين : تحلبين، أشياخ: جمع  
شيخ. الوعى الحرب، هام: جمع هامة. وهى الرأس، ببيض النعام: يضرب به المثل فى  
أنه يهمل.



روى أنه قدم الغمر بن يزيد بن عبد الملك الأموى على أبى العباس  
السفاح فى ثمانين رجلا من بنى أمية، ثم دخل سديف بن ميمون  
الشاعر، وشبل بن عبدالله الشاعر، فأنشد شبل بن عبدالله الشاعر:

أصبح الملك ثابت الأساس	بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها	بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا	اقطعوا كل نخلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها	وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظنى وغاز سوائى	قربهم من نمارق وكراس
أنزلوها بحيث أنزلهم الله	ه بدار الهوان والإتعاس
وانكروا مصرع الحسين وزيدا	وقتيلا بجانب المهـراس
وقتيلا بجوف حران أضحى	تحجل الطير حوله فى الكناس
نعم شبل الهراش مولاك شبل	لو نجا من حبائل الإفلاس <sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد ٢٠٦/٣، طبقات الشعراء لابن المعتر ص ٣٨-٤٠، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١٧٤/٥، الأغاني ٣٥٣/٤-٣٥٤  
البهاليل: جمع بهلول، بضم الباء، وهو السيد الجامع لصفات الخير، والمرح الضحاك، الأساس: أصل البناء، وترا بكسر الواو، الثار والزحل، وياس: ياس، وخففت الهمزة، عبد شمس: جد الأمويين، يقصد بنى أمية، أقال الله عثرته: أنهضه من سقوطه، أو صفع عنه وتجاوز، والعتار: الزلة والسقوط، والغراس: بكسر الغين، ما يفرس وقيل النخلة، نمارق: جمع نمرق، ونمرقة، بضم النون والراء وسكون الميم، والنمرقة، بكسر النون والراء، الوسادة الصغيرة، أو الطنفسة التى فوق الرجل، والكرسى، بضم الكاف أو كسرهما، الحسين هو ابن على رضى الله عنهما، زيد بن على، وقتيلا بجانب المهراس: يريد حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم المقتول

ثم أذن أبو العباس السفاح للأمويين مرة ثانية في الدخول عليه،  
 ودخل الشيعة، وقام سديف بن ميمون، فأنشد أبا العباس السفاح:  
 قد أتتك الوفود من عبد شمس      مستعدين يوجعون المطيا  
 عنوة أيها الخليفة لا عن      طاعة بل تخوفوا المشرفيا  
 لا يغرنك ما ترى من رجال      إن تحت الضلوع داء دويا  
 فضع السيف وارفح السوط حتى      لا ترى فوق ظهرها أمويا<sup>(١)</sup>

قيل: كان سليمان بن هشام بن عبد الملك حاضرا، فالتفت إلى سديف،  
 وقال: قتلنتي يا شيخ، ثم دخل السفاح وأخذ سليمان، فقتل<sup>(٢)</sup>:

ثم قام خلف بن خليفة الأقطع الشاعر، فأنشد:

إن تجاوز فقد قدرت عليهم      أو تعاقب فلم تعاقب برياً

---

بأحد، والمهراس: ماء بأحد، والقتيل الذي بحران: هو إبراهيم الإمام قتل صبيرا،  
 حران: مكان، تحجل: بضم الجيم وكسرها: تمشى مشية المقيد، الكناس: بكسر الكاف:  
 موضع الظبي في الشجر، شيل: ولد الأسد، الهراش: التحريش، أو المنازعة، حباتل:  
 جمع حباله: وهي شرك الصائد، الإفلاس: مصدر أفلس، أي صار مفلسا، كأنما  
 صارت دراهمه فلوسا وزيوفا، أو صار إلى حال يقال فيها: ليس معه فلس، وزيد هو  
 زيد بن علي بن أبي طالب، قتله هشام، لما خرج بخراسان، فقتل وصلب، والرقلة:  
 النخلة الطويلة.

(١) العقد الفريد ٢٠٧/٣.

الوفود: جمع وفد، عبد شمس: جد الأمويين، يقصد بنى أمية، يوجعون: يولمونها من  
 الحث في السير، المطي: جمع مطية، وهي كل ماركب ظهره، عنوة: قوة وغصب،  
 المشرفي: السيف، نسبة إلى مشارف الشام، دويا: شديدا، ضع السيف: أعمله، ارفع  
 السوط: اتركه، ظهرها: ظهر الأرض.

(٢) الكامل في التريخ لابن الأثير ١٧٤/٥.

أو تعاتبهم على رقة الديب      ن فقد كان دينهم سامريا<sup>(١)</sup>  
وكان من بين جلساء أبي العباس الغمر بن يزيد بن عبد الملك الأموي  
فقال له أبو العباس: كيف ترى هذا الشعر؟  
فقال الغمر: والله إن هذا لشاعر، ولقد قال شاعرنا ما هو أقعد، يقصد  
شعراء بنى أمية.  
قال أبو العباس السفاح: وما قال شاعركم؟  
فأنشده الغمر بيتا في مدح بنى أمية يقول:  
شمس العداوة حتى يستقاد لهم      وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا<sup>(٢)</sup>  
فشرق وجه أبي العباس بالدم، وقال: كذبت، إنى لأرى الخيلاء فى  
رأسك بعد.

فأمر بهم فقتلوا، ووقف عليهم سديف الشاعر مع الشيعة، وقال:  
طمعت أمية أن سيرضى هاشم      عنها ويذهب زيدها وحسينها  
كلا ورب محمد وإلهه      حتى يببب كفورها وخؤونها<sup>(٣)</sup>

(١) العقد الفريد ٢٠٧/٣.

تجاوز: تتجاوز، وحذف حرف المضارعة، برياء: بريئا، رقة الدين: ضعفه، سامريا: نسبة إلى السامرى، وهو ساحر منافق من قوم يعبدون البقر فى عهد موسى عليه السلام، جمع الحلى من القبط، وصنع منها عجلا، ودعاهم إلى عبادته.

(٢) العقد الفريد ٢٠٧/٣.

شمس العداوة أى عداوة واضحة بغير نفاق، يستقاد: من القود، وهو القصاص، بمعنى يئثر، أحلاما: عقولا.

(٣) العقد الفريد ٢٠٧/٣.

ويقال إن الذي فعل ذلك بالأمويين بإنشاد شبيل بن عبدالله هو عبدالله بن علي عم السفاح<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وقيل: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس، وولى منهم السفاح اتصل الخبر بسديف، وهو إذ ذاك بمكة، فتوجه نحو أبي العباس، وهناك بالخلافه، وأنشده قصيدته:

أصبح الملك ثابت الأساس      بالبهايل من بني العباس  
فعملت في أبي العباس، وحركت منه فقال بنو أمية:

أعرابي جلف جاف لا يدري ما يخرج من رأسه.

فلما كان من الغد استدعاهم أبو العباس، ومعهم سيدهم سليمان بن هشام، وكان يكنى أبا الغمر، وكان صديقا لأبي العباس من قبل أن تقضى إليه الخلافة، يكاتبه، ويقضى حوائجه، فرفع أبو العباس مجالسهم، وأجلس أبا العمر سليمان بن هشام عن يمينه على سريره، وجاء سديف حين سمع باجتماعهم، حتى استأذن على أبي العباس، فلما مثل بين يديه، ونظر إلى مجالسهم أنشأ سديف ينشد:

لا يغرنك ما ترى من رجال      إن تحت الضلوع داء دويا

---

كفورها: مبالغة في الكفر، خؤونها: مبالغة في الخيانة، أمية: يقصد بنو أمية، هاشم: يقصد بنو هاشم، زيدها: هو زيد بن علي، حسينها: هو الحسين بن علي، رضى الله عنهم.

(١) الكامل لابن الأثير ١٧٤/٥، الأغاني ٣٥٣/٤-٣٥٤.



واستمر فى القصيدة، حتى أتى على آخرها، وأبو العباس يفتاظ،  
ويحنق، ويتلون، فأمر أبو العباس بهم، فقتلوا جميعا<sup>(١)</sup>.  
فقد تأثر السفاح بإنشاد شبل بن عبدالله إياه الشعر الذى يحرضه فيه  
على بنى أمية، وقد أثر فى السفاح فعلا، حتى إنه قتل جلساءه من  
بنى أمية.

وقد تأثر السفاح أيضا بإنشاد خلف بن خليفة الأقطع، ثم كان التأثير  
الأكبر بإنشاد الغمر الأموى، حيث أنشد بيتا لشاعرهم فى مدحهم،  
مما غاظ السفاح، وأمر بهم أن يقتلوا جميعا.  
والرواية تؤكد أن سديف الشاعر وقف على الأمويين من جلساء  
السفاح، ينشد السفاح شعرا، فيه شماتة بالأمويين، وسمع السفاح هذا  
الشعر، ورضى عنه، ولم ينكر على الشاعر.

•••••

روى أن أبا العباس السفاح قد قتل سبعين من بنى أمية كانوا  
يطعمون على مائدته، فأنشده بعض الشعراء قصيدة مدحه بها، فأقبل  
السفاح على بعض الأمويين فى مجلسه، فقال: أين هذا مما مدجتم  
به؟

فقال الأموى: هيهات، لا يقول، والله، أحد فيكم مثل قول ابن قيس  
الرقيات فينا، يقصد فى الأمويين:

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٨-٤٠.

ما نعموا من بنى أمية إلى      لا أنهم يحلمون إن غضبوا  
وأنهم معدن الملوك ولا      تصلح إلا عليهم العرب<sup>(١)</sup>  
فقال له السفاح: أو إن الخلافة لفي نفسك، خذوهم، فأخذوا، وقتلوا.  
فقد كان السفاح، كما تذكر هذه الرواية، سعيدا بالمدح الذي سمعه من  
بعض الشعراء، لذا أقبل على بعض الأمويين في مجلسه، ليعرف  
موقع هذا الشعر، وقدره، والمقارنة بينه وبين شعر المدح الذي قيل  
في الأمويين.

فلما سمع من أحد الأمويين في مجلسه أن الشعر الذي مدح به السفاح  
لا يصل في قدره إلى حد الشعر الذي قاله عبدالله بن قيس الرقيات  
في الأمويين، ومؤدى هذا الشعر مدح الأمويين بالحلم، وأنهم خلقوا  
ليكونوا ملوكا، وأن العرب لا تصلح إلا إذا كان الأمويون ملوكها.  
أنشد ضاق السفاح بالأمويين، بسبب هذا الشعر، وأمر بقتلهم، ولعل  
الشرارة التي ألهمت حماس السفاح لقتل هؤلاء الأمويين هي إنشاد  
هذا الشعر في مدح بنى أمية.

\*\*\*

روى أن أبا العباس السفاح حين نزل عن المنبر بعد أن يبيع  
بالخلافة أنشده السيد الحميري قوله:

---

(١) الفخرى ص ١٣٤-١٣٥، الأغاني ٣٤٦/٤.  
معدن: أصل وجوه، يحلمون: يتصرفون بحلم.

دونكموها يا بنى هاشم  
لوخير المنبر فرسانه  
فجددوا من عهدها الدارسا  
ما اختار إلا منكم فارسا  
لم يتركوا رطبا ولا يابسا  
قد ساسها قبلكم ساسة  
إلى مهبط عيسى فيكم آيسا<sup>(١)</sup>  
ولست من أن تملكوها  
فسر أبو العباس السفاح بذلك، وقال للسيد الحميري الشاعر: أحسنت  
يا إسماعيل، سلنى حاجتك.

قال السيد الحميرى: تولى سليمان بن حبيب الأهواز.  
فولى أبو العباس السفاح سليمان بن حبيب الأهواز بشفاعة السيد  
الحميرى الشاعر.

يقول السيد الحميرى لأبى العباس السفاح بعد ما نزل عن المنبر،  
وبويع بالخلافة: خذوا الخلافة يا بنى هاشم، لتجددوا عهدا الذى فنى  
فى عصر بنى أمية، ولو خيرنا المنبر لاختراكم فرسانه، وقد ساس  
الخلافة قبلكم الأمويون فنهبوا، لكننى لا أياس من أنكم سوف  
تملكون الخلافة إلى قيام الساعة.

---

(١) الأغاني ٢٤٠/٧

دونك: أى خذ، الدارس: البالى الفانى، بنو هاشم: يقصد العباسيين، المنبر: يقصد منبر  
الصلاة والخلافة، فرسانه: ملوكه، خير: بالبناء للمجهول، لم يتركوا رطبا ولا يابسا:  
أى أهلكوا ونهبوا كل شئ، مهبط عيسى: علامة القيامة.

ولا شك أن هذا الشعر يروق لأبى العباس السفاح، لأنه تأييد لدعوتهم، وبقاء الخلافة فيهم، وتثديد بالأمويين وسياستهم، وهو مدح يسعد به العباسيون، والسفاح الخليفة الأول فى العباسين. ولما أعلن السفاح سروره لهذا الشعر، واستحسنه، قال للشاعر: سئنى حاجتك.

والعجيب أن الشاعر سأل الخليفة أن يولى سليمان بن حبيب الأهواز، والأعجب أن يوافق الخليفة على ذلك المطلب، ويأمر بتففيذه، وما ذلك إلا إعلاء لدولة الشعر فى بلاط العباسيين.

•••

روى أنه ساير عبدالله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الأنبار وهو ينظر إلى بناء قد بناه أبو العباس، ويدور به. فأنشد عبدالله بن الحسن أبا العباس السفاح:

ألم ترجو سنا لما تبنى      بناء نفعه لبنى بقبيله  
يؤمل أن يعمر عمر نوح      وأمر الله يحدث كل ليلة<sup>(١)</sup>

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١/٢٢٢، الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٦٩، العقد الفريد ٣/٢٧٥، ٤/٢٦١.

تبنى: بفتح التاء والباء، والنون المشددة، بقبيلة، وليلة: بالهاء فيهما لضرورة القافية، عمر نوح: حيث عاش نوح أكثر من ألف سنة، وليث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وأمر الله: فضله وقدره، ويروى: أضحى لىبنى كصوراً نفعها لبنى نفيلة.

فقال السفاح: لو علمنا لاشرطنا حق المسايرة، فاعتذر له عبدالله بن الحسن، وطلب منه الصفح، فوافقه السفاح، وأمره أن يأخذ في غير هذا المعنى أو الشعر.

وذلك دليل على أن السفاح قد فهم الأبيات، وعرف مغزاها، فهي أبيات قالها بصير بالأدب والشعر، وسمعتها من هو أشد بصرا بالأدب والشعر منه.

والعجيب، أن البيتين فيهما موعظة جميلة، ويعبران عما يريد قوله عبدالله بن الحسن.

والأعجب أن الاستجابة من أبي العباس السفاح كانت على الفور، وكان رده السريع على إنشاد ابن الحسن إياه هذين البيتين.

إن ابن الحسن قد ضرب بأبياته هذه في عدة اتجاهات، أو أغراض، فهي أولا موعظة جميلة، إذا ذكرت مجردة عن الموقف الذي قيلت فيه.

وهي ثانيا تنطبق على ما فعله أبو العباس السفاح، حين أمر ببناء هذه البناية، وجعل ينظر إليها، ويدور بها، فأراد أن يقول له: إن جو سنا لما بنى بناء كان نفعه لغيره، وكان يؤمل أن يعيش عمر نوح عليه السلام، مع أن قضاء الله، وقدره يحدث كل وقف، وحين.

وهذا المعنى يضرب أبا العباس السفاح الخليفة العباسى فى مقتل،  
وكأنه يقول له: إنك تبنى هذا البناء، ولن يطول عمرك، فسوف  
تموت وتترك هذا البناء.

- إن هذا المعنى فى هذا الموقف مما يبعث على الطيرة، والتشاؤم،  
وكان الخلفاء يعتقدون فى التفاؤل، والتشاؤم، كما ذكرت كتب  
الأدب، ومعاجم البلدان فى مثل هذه المواقف، عند بناء البنايات،  
أو المدن.

- إن الرواية تذكر أن أبا العباس السفاح كان مكرما لأبن الحسن،  
ومعظما لحقه، لذا بين له أنه لو علم أنه سيقول ذلك لاشتراط  
عليه حق المسايرة.

- إن ابن الحسن اعتذر عن قول الشعر بأن ذلك يدخل فى باب  
بوادى الخواطر، وأغفال المسالخ، بغير روية، ولا ذكر، ورجاه  
الإقالة من هذا الخطأ، والصفح عنه، وهذا الاعتذار دليل على أن  
ابن الحسن فهم المعنى المقصود من الأبيات كما فهمه السفاح.

- إن السفاح قد قبل العذر من ابن الحسن، وقال له: خذ فى غير  
هذا، وترك مؤاخذته على الشعر.

\*\*\*



# الفصل الثاني

الشعر في عصر المنصور

١٣٦هـ - ١٥١هـ





المنصور، ١٣٦هـ - ١٥٨هـ هو أبو جعفر المنصور اسمه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، وهو أخو أبي العباس السفاح، بويع في اليوم الذي توفي فيه أخوه، لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وتوفي بمكة قبل التروية بيوم، لسبع خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وهو محرم، وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثمانية أيام، وأمه اسمها سلامة، وجنسها بربرية، وهو والد الخليفة المهدي<sup>(١)</sup>.  
وهو ثاني الخلفاء العباسيين، ومن ورائه الربيع مولاة.

\*\*\*

كان الخليفة أبو جعفر المنصور عالما بالشعر، ذا بصر به، يفهم دقائقه، ينقد الشعر حيناً، ويقرض الشعر أحياناً، ويتمثل بالشعر في مواقف كثيرة، ويعرف للشعر الجيد قيمة حين ينشده الشعراء شعراً في أغراض مختلفة.

فقد كتب شعراً في موقف سياسي في غاية الدقة، ومع ذلك الموقف لجأ إلى الشعر يستعين به على التعبير عن موقفه هذا.

\*\*\*

روى أنه لما خرج محمد بن عبدالله بن الحسن بالمدينة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، قال سديف بن ميمون الشاعر:

---

(١) العقد الفرید ٢٩٩/٣ - ٣٠٠

إن صلوة يوم الشعب من حزن      هاجت قواد محب داتم الحزن  
 إنا لنأمل أن تترد ألفتنا      بعد التباعد والشحناء والإحن  
 وتتقضى دولة أحكام قادتها      فيها كاحكام قوم عابدى وثن  
 فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا      إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن  
 لا عز ركن نزار عند نائبة      إن اسلموك ولا ركن لذى يمن  
 ألسنت أكرمهم يوما إذا انتسبوا      عودا وأتقاهم ثوبا من الدرن  
 وأعظم الناس عند الله منزلة      وأبعد للناس من عجز ومن أثن<sup>(١)</sup>  
 فلما سمع أبو جعفر المنصور هذه الأبيات استظير بها، فكتب إلى  
 عبدالصمد بن على أن يأخذ سديفا للشاعر، فيدفنه حيا، ففعل الوالى  
 ذلك.



وروى أن هذه الأبيات لعبدالله بن مصعب الشاعر، وإنما كان سبب  
 قتل سديف بن ميمول الشاعر أنه قال أبياتا مبهمة، وكتب بها إلى أبى  
 جعفر المنصور، وهى هذه الأبيات:  
 أسرفت فى قتل الرعية ظالما      فاكفف يدك أضلها مهديها

(١) العقد الفريد ٣/٢٨٢-٢٨٣، العقد الفريد ١/٥٨-٥٩  
 الشعب: بكسر الشين المشددة، الطريق فى الجبل، حزن: مكان، الإحن: بكسر الهمز،  
 وفتح الحاء، جمع إحنة، وهى الحقد، وثن: صنم، بنو الحسن: هم بنو الحسن بن على  
 بن أبى طالب، عودا: فرعا، الدرن: القنز والوسخ، أثن: فساد العقل والرأى، دولة:  
 يقصد دولة العباسيين، بيمعة: يقصد البيعة بالخلافة، نزار: قبيلة، نائبة: مصيبة،  
 اسلموك: خذوك، لذى يمن: يقصد اليمنيين

فلتأتينك راية حسنية جرارة يقتادها حسنيها<sup>(١)</sup>

فأمر أبو جعفر المنصور حازم بن خزيمة أن يتهيأ بهيئة السفر متكراً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وأن ينظر عند السارية الثالثة إلى شيخ آدم، يكثر التلفت، طويل كبير، وأن يتوجع لآل أبي طالب، ويذكر شدة الزمان عليهم ثلاثة أيام، وأن يقول في اليوم الرابع: من يقول هذه الأبيات؟ وهي الأبيات المذكورة أنفاً.

ف فعل حازم بن خزيمة ذلك، فقال له الشيخ:

والله ما قلت هذا الشعر، ولا قاله إلا سديف بن ميمون، فإني أنا

القاتل، وقد دعوني إلى الخروج مع محمد بن عبدالله:

دعوني وقد سألت لإبليس راية وأوقد للغاوين نار الحباب

أبا لليث تغتزون يحمى عرينه وتلقون جهلا أسده بالثعالب

فلا نفعتنى السن إن لم يؤزركم ولا أحكمتنى صادقات التجارب<sup>(٢)</sup>

قال: وأنا الشيخ إبراهيم بن هرمة.

---

(١) العقد الفريد ٢٨٣/٣

الرعية: المحكومون، اكف: امنع، حسنية: نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، جرارة: يقصد كتيبة جرارة، أي تجر السلاح، يقتادها: يقودها.

(٢) العقد الفريد ٢٨٣/٣

الغاوون: الضلال، السن: العمر، أسده: جيوشه الأسود، الثعالب: يقصد الضعاف من الرجال.

فذهب حازم بن خزيمه إلى أبي جعفر المنصور، فأخبره الخبر، فكتب إلى عبدالصمد بن علي، وكان سديف بن ميمون في حبسه، فأخذه، فدفنه حيا.

وعلى أي الروايتين فإن كلا منهما تدل على أن الشعر قد أثر في أبي جعفر المنصور أيما تأثير، حتى إنه استطير بهذا الشعر، وأمر أن يدفن سديف بن ميمون الشاعر حيا، وقد كان، ففعل ذلك وإليه. وذلك لأن هذا الشعر ينطق بعلوية شيعية واضحة، وضم لدولة بني العباس، فما كان من المنصور إلا هذا العقاب الشديد، في مقابلة هذا الشعر.

والرواية الأولى واضحة في أنها تعلق من قيمة العلويين، وتتمنى انقضاء دولة بني العباس.

أما الرواية الثانية فإنها تدل على أن المنصور قد اغتاض أيما غيظ من لهجة الشعر الذي خاطبه به سديف بن ميمون الشاعر، ذما لشخصه، ورغبة في ظهور دولة العلويين.

كما أن الرواية الثانية تدل على أن المنصور بحث عن قائل الأبيات، حتى اهتدى إليه، وقتله، وأن إبراهيم بن هرمة الشاعر خاف من العقاب، وأنكر أن تكون الأبيات له، كما بين أن الأبيات لسديف بن ميمون، وأنه ما قال شعرا في الهجاء، وإنما قال شعرا في تعزيد دولة بني العباس، مما يدل على أن المنصور كان يتعقب من ينشد

شعرا لصالح غير بنى العباس، مما يدل على أن الشعر كان سلاحا  
فى يد الشعراء، والأحزاب السياسية.

\*\*\*

روى أن المنصور الخليفة العباسى لما قتل محمد بن عبدالله بن  
الحسن، وكان عبدالله أبوه فى السجن، بعث رأسه إليه، مع الربيع  
حاجبه، فوضع بين يديه.

فقال: رحمك الله أبا القاسم، فقد كنت من الذين يوفون بعهد الله ولا  
ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون  
ربهم ويخافون سوء الحساب، ثم تمثل:

فتى كان يحميه عن الذل سيفه      ويكفيه سوات الأمور اجتنابها<sup>(١)</sup>  
ثم التفت عبدالله بن الحسن إلى الربيع، فقال له:

قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة، ومن نعيمك مثلها، والموعود الله  
تعالى.

قال الربيع: فما رأيت المنصور قط أكثر انكسارا منه، حين أبلغته  
الرسالة.

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١/١٢٢  
سيفه: فاعل، وكذلك اجتنابها.

والشاهد هنا أن عبدالله بن الحسن تمثل بالشعر فى حاله، وحال ابنه حين عرف أن المنصور الخليفة العباسى قد قتل ابنه، فرثى ابنه رثاء جميلا بيت، غاية فى التعبير عن قصده.

ولعل المنصور قد سمع البيت، وتأثر به عند إبلاغه الرسالة. أما البيت الشعرى الذى تمثل به عبدالله بن الحسن، فهو على إيجازه ذو تعبير صادق عن معنى المروءة، كما يجب أن تكون المروءة، وهى من صفات المدح، والرثاء عند العرب فى الشعر القديم.

فيقول: إنه فتى، وفى هذه اللفظة ما فيها من معنى، وإيحاء. ويصفه بالشجاعة، والعزة، فقد كان يحميه عن الذل سيفه، فهو عزيز، شجاع.

وكان ذا مروءة تمنعه من ارتكاب سوات الأمور، أو اتباعها، أو إتيانها، فكان يكفيه هذه السوات اجتنابه إياها.

وهذا البيت على إيجازه فى التعبير عما فى نفس الوالد، حين يرثى ولده بعد قتله إنما لينطق بالكثير مما لم يقله البيت، وإنما انعكس من التعبير الأدبى فى البيت إذا علمنا الموقف الذى قيل فيه.

إلى هذا الحد كان الشعر أداة التعبير عن النفس البشرية، وأغوارها السحيقة، وشجونها المؤلمة.

\*\*\*

روى أن الأحوص الشاعر شبيب بامرأة من بنى جعفر، فاستعدى  
أخوها والى المدينة آنئذ، وهو ابن حزم الأنصارى للوليد بن  
عبدالمك، فتحامل ابن حزم على الأحوص.  
فما كان من الأحوص إلا أن مدح الوليد بن عبدالمك، ثم شخص إليه  
فى الشام، وأنشده قوله:

لا ترثين لحزمنى رأيت به ضرا ولو ألقى الحزمنى فى النار  
الناجشين لمروان بذى خشب والمدخلين على عثمان فى الدار<sup>(١)</sup>  
فعزل الوليد بن عبدالمك ابن حزم الأنصارى، وأمر بقبض أموال آل  
حزم، وإسقاطهم من الديوان، وأن لا يأخذوا لأموى عطاء أبدا.  
فلما انقضت دولة بنى أمية، وجاءت دولة بنى العباس، وولى أبو  
جعفر المنصور قدم عليه أهل المدينة، فكانوا ينتسبون له إذا قاموا  
بين يديه، فلما دخل عليه ابن حزم الأنصارى قال: يا أمير المؤمنين،  
أنا ابن حزم الأنصارى، الذى يقول فيه الأحوص:

لا ترثين لحزمنى رأيت به ضرا ولو ألقى الحزمنى فى النار  
الناجشين لمروان بذى خشب والمدخلين على عثمان فى الدار

(١) العقد الفريد ٢٩٨/٣

تشرى: تشفى، حزمى: منسوب لآل حزم، النجش: أن تزيد فى البيع ليقع خيرك وليس  
من حاجتك، فى الدار: دار عثمان التى قتل فيها يوم الدار.



ثم قال: يا أمير المؤمنين، حرمتنا العطاء منذ سنين، وقبضت أموالنا  
وضياعنا.

فقال له أبو جعفر المنصور: أعد على البيتين، فأعادهما عليه.

فقال أبو جعفر: أما والله لئن كان ذلك ضرركم في ذلك الحين لينفعكم  
اليوم.

ثم كتب إلى عامل المدينة أن يرد جميع ما اقتطعه بنو أمية من  
ضياع ابن حزم، وأموالهم، ويحسب لهم ما فاتهم من عطائهم، وما  
استغل من غلاتهم من يرمئذ، فيخلف لهم جميع ذلك من ضياع بنى  
مروان، ويفرض لكل واحد منهم مائتى دينار فى السنة.

ثم قال أبو جعفر المنصور: على الساعة عشرة آلاف درهم، تدفع  
إلى هذا الفتى لنفقتة<sup>(١)</sup>.

فقد طلب المنصور من ابن حزم أن يعيد عليه البيتين اللذين أنشدهما  
الأحوص الشاعر، الوليد بن عبد الملك، ثم أمر برد ضياعهم  
وأموالهم، وذلك لأنه رأى فى البيتين ما يعلى من ابن حزم لأنه كان  
ضد الأمويين، فوجد المنصور فى هذا الشعر ضالته المنشودة فى  
الوقوف مع العباسيين.

كذلك فإن ابن حزم إذا كان قد أصيب بالضرر من جراء الشعر فى  
عصر بنى أمية، فلينتفع بهذا الشعر فى العصر العباسى.

---

(١) المقد الفريد ٣/٢٩٨-٢٩٩

واللافت النظر أن ابن حزم يعرف نفسه لأبي جعفر المنصور، حين دخل عليه بأنه الذي يقول فيه الأحوص هذا الشعر، وكان الشعر مادة مشهورة معروفة له، وللخليفة، وكان هذا الشعر قد سار كل مسير.

•••

روى أنه لما وفد إبراهيم بن هرمه على أبي جعفر المنصور، ومدحه، استحسّن شعره، ووصله، وقال له: سل حاجتك.  
قال إبراهيم بن هرمة تكتب لى إلى عامل المدينة أن لا يحدنى. إذا أتى بى سكران.

فقال أبو جعفر: هذا حد من حدود الله تعالى لا يجوز أعطله.

قال ابن هرمة: فاحتل لى يا أمير المؤمنين.

فكتب أبو جعفر المنصور إلى عامل المدينة: من أتاك بابت هرمة سكران، فاجلده مائة، واجلد ابن هرمة ثمانين.

فكان الشرط يمرون به مطروحا فى سكك المدينة، فيقولون: من يشتري مائة بثمانين<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية لها دلالات كثيرة:

---

(١) زهر الأدب ونمر الألباب ١/١٢٨.

يحدنى: يقيم على حد الشرب، الشرط: بضم الشين المشددة وفتح الراء، جمع شرطى، سكك: جمع سكة، بكسر السين فيهما، بمعنى طريق.

-فهي تدل على مدى ما بلغه الشعراء من مكانة عند الخلفاء  
العباسيين إلى هذا الحد الذي بلغه ابن هرمة عند أبي جعفر  
المنصور، بشاعريته، وموهبته الفنية.

-إن مكافأة ابن هرمة من الخليفة المنصور لم تكن في حدود المتاح،  
أو المباح، لكنها تجاوزت ذلك المباح، أو المتاح إلى حد جد بعيد،  
كما ظهر في مطلب ابن هرمة من المنصور.

-إن ابن هرمة تجرأ على المنصور، وهو خليفة المسلمين العباسي،  
والتمس منه أن يكتب إلى عامل المدينة أن لا يحدده، إذا أتى به  
الشرط إليه، وهو سكران، وهذا مطلب لا يستطيع التماسه من  
خليفة، ولا يستطيع تنفيذه.

-إن ابن هرمة لما سمع الرد من المنصور أن هذا حد من حدود  
الله، لا يدخل في اختصاص عمله، التمس فيه أن يحتال على حد  
الله، حتى يتحقق مطلبه الأول، وحتى ينعم بفعل هذا المنكر الإثم.

-إن أبا جعفر المنصور احتال بطريقة عجيبة على حد من حدود  
الله، حتى يمنع الشرط من الإمساك بابن هرمة، إذا وجدوه سكران،  
وقد تحقق ذلك لابن هرمة، لأن الشرط قد ابتعدوا عنه.

\*\*\*

وروى أن المنصور أو المهدي الخليفة العباسي كان قد كسا أبا دلامة الشاعر ساجا، وهو الطيلسان الأخضر، أو الأسود، فأخذ بأبي دلامة، وهو سكران، فأتى به إلى المنصور الخليفة العباسي.

فأمر المنصور بتمزيق الساج عليه، وأن يحبس في بيت الدجاج. فلما كان في بعض الليل، وصحا أبو دلامة من سكره، ورأى نفسه بين الدجاج، صاح في السجن، فعرف أنه. أتى به أمير المؤمنين وهو سكران، فأمر بتمزيق ساجه، وحبسه مع الدجاج، فطلب أبو دلامة من السجن أن يوحد سراجا، ويجيئه بدواة وورق.

فكتب أبو دلامة إلى المنصور الخليفة العباسي:

أمن صهباء صافية المزاج	كان شعاعها لهب السراج
تهش لها النفوس وتستهيها	إذا برزت ترقرق في الزجاج
وقد طبخت بنار الله حتى	لقد صارت من النطف النضاج
أمير المؤمنين فدتك نفسى	علام حبستى وخرقت ساجى
أقاد إلى السجون بغير ذنب	كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لهان وجدى	ولكنى حبست مع الدجاج
دجاجات يطيف بهن دينك	يناجى بالصياح إذا يناجى
وقد كانت تخبرنى ذنوبى	بأنى من عذابك غير ناجى

على أنى وإن ذاقيت شررا      خيرت بعد ذاك الشرراجى<sup>(١)</sup>  
ثم قال أبو دلامة للسجان: أوصلها إلى أمير المؤمنين. فأوصلها إليه  
سجان، فلما قرأها أمير المؤمنين أمر بإطلاقه وأدخله عليه وسأله:  
ابن بت الليلة، أبا دلامة؟

قال أبو دلامة: مع الدجاج يا أمير المؤمنين، كنت أفاقى معهن حتى  
أصبحت أو أصبت.

فضحك المهدي وأمر له بصلة جزيلة، وخلق عليه كسوة شريفة.

\*\*\*

وروى أن أبا دلامة دخل على المنصور، ومدحه، فمنحه المنصور  
ثيابا، وساجا، فخرج من عنده، ومضى يشرب فى بعض الحانات،  
فسكر، وانصرف، وهو يميل، فلقبه العسسن فأخذه، وقالوا له: من  
أنت، وما دينك؟

---

(١) العقد الفريد ٣٠٣/١، الأغاني ٢٥١/١٠-٢٥٢، مهذب الأغاني ٢٧/٩  
صهباء: الخمر، السراج: المصباح، تهش: تسر وتسمع، برزت: ظهرت، تفرق، أى  
تتفرق، وحذفت تاء المضارعة، الزجاج: يقصد الكأس، طبخت: غلت وفارت  
واشتدت، وقذفت بالزبد كما يقول الفقهاء، بنار الله، أى بغير نار، النطف: بضم النون  
المشددة، جمع نطفة، وهى الماء الصافى قل أو كثر، النضاج: بكسر النون المشددة،  
جمع ناضجة، أمير المؤمنين، بالنصب على النداء بحرف نداء محذوف، الساج،  
الطيبسان الأخضر أو الأسود. أفاد بالبناء للمفعول، عمال الخراج: أى العمال على  
الولايات لجباية الخراج من الأرض، حبست: بالبناء للمجهول، وجدى: حزنى، بناجى  
النصيح: يصيح، تخبرنى: بضم التاء وفتح الخاء، وكسر الباء المشددة، من خبر  
أرباعى المشددة. راجى: أمل.

قال أبو دلامة:

دينى على دين أبى العباس  
ما ختم الطين على القرطاس  
بنى إصطبحت أربعا بالكاس  
فقد أدار شربها براسى  
فهل بما قلت لكم من باس<sup>(١)</sup>

فأخذوه، ومضوا، وخرقوا ثيابه، وساجه، وأتى به أبو جعفر المنصور، وكان يؤتى بكل من أخذه العسس، فحبسه مع الدجاج فى بيت، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة، وجاريته مرة، فلم يجبه أحد. وبينما هو فى ذلك إذ سمع صوت الدجاج، وزقاء الديوك، فأخبره السجنان بخبره، وأنه فى الحبس، بأمر أمير المؤمنين، وقد خرق طليسانه الحرص.

فطلب أبو دلامة من السجنان أن يأتياه بدواة وقرطاس، فكتب أبو دلامة إلى أبى جعفر الأبيات السابقة.

فضحك الخليفة، وخلقى سبيله، وأمر له بجائزة.

فلما خرج قال الربيع: إنه شرب الخمر، يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله: وقد طبخت بنار الله، يعنى الشمس؟

---

(١) مهذب الأغانى ٢٦/٩

اصطبحت: شرب فى الصباح، باس، أى باس، أو شدة، وسهلت همزة باس.

فأمر الخليفة برده، ثم قال: يا خبيث، شربت الخمر؟  
أفلم تقل: طبخت بنار الله، تعنى الشمس؟  
قال أبو دلامة: والله ما عنيت إلا نار الله الموقدة، التى تطلع على  
فؤاد الربيع.

فضحك الخليفة، وقال: خذها يا ربيع، ولا تعاود.  
- والشاهد فى هذه الرواية أن الخليفة أمر بإطلاق أبى دلامة من  
الحبس، على رغم علمه بشربه الخمر، وأن العسس قد أمسكوا به،  
وهو سكران، وهذا تسامح لا ينبغى فى حق الخليفة، ولا فى حق  
حد من حدود الله تعالى.

- إن الخليفة قد عفا عن أبى دلامة لشعر قاله، والغريب أن هذا  
الشعر لا يتبرأ فيه أبو دلامة مما صنع، من شرب الخمر، وإنما  
اشتملت الأبيات على وصف الخمر وصفا يدل على حبه لها،  
وشربه إياها.

- إن الأبيات أيضاً، لم تخل من التهكم، والسخرية، أو روح الدعابة  
والمرح، التى تميز أبا دلامة فى شعره، وحياته، مما أثبتته  
المصادر الأدبية التى هى مظنة بحث هذه الحقبة من الزمن.

- إن الشاعر لم يخل شعره من شعاع نور يضى الحياة فى هذا  
العصر، لنعلم جانباً من الحياة الإجتماعية، فى ذلك العصر، إذ

- بنتهم أبو دلامة بعمل الخراج، ويفخر ذممهم، وأصلهم، واتهم  
 بلقون المصير في السجن، حتى صار السجن مثابة لهم:
- إن الشاعر قد أكد على أنه يعلم أنه لن ينجو من عقاب الخليفة،  
 وذكر ذلك بوضوح في اعتذاره للخليفة، مما يعطينا صورة  
 واضحة للحياة في ظل الدولة العباسية.
- إن الشاعر في شعره قد أكد أنه يتق في خير الخليفة بعد هذا الشر  
 الذي حدث لهم ولو لم يتق في هذا الخير ما صنع فعلته هذه.
- إن الشاعر حين أمسك به العسس لم ينكر أنه شرب الخمر، وأنشد  
 أبياتاً يشرح فيها ما فعل به هذا السكر الذي يبدو عليه، ويجاهد  
 بقوله: فهل بما قلت لكم من بأس؟
- وهذه جراءة غريبة كان من ورائها تسامح الخليفة مع الشاعر إلى  
 هذا الحد الذي تحكيه هذه الرواية.
- إن الشاعر لم يخل حديثه مع الخليفة من التملح، إذ وصف له ما  
 كان يصنع مع الدجاج، حين قال: أفرق معهن.
- إن الربيع حين أوضح للخليفة أن الشاعر قد شرب الخمر، وأتى  
 بشاهد من شعره، واستفسر الخليفة من الشاعر، رد الشاعر ذلك  
 القول بصفحة للربيع، حين قلب عليه المعنى، وقد قبل الخليفة ذلك،  
 وأمر الربيع أن لا يعاود، ولم ينه الشاعر عن شرب الخمر،  
 وإنشاد الشعر فيها.



كل ذلك يدل على مكانة الشعر عند الخليفة، مما ينعكس على مكانة الشعراء في البلاط العباسي.

\*\*\*

روى أن أبا جعفر المنصور عتب على قوم من الكتاب، فأمر بحبسهم.

فرفعوا إليه رقعة، ليس فيها إلا هذا البيت:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا  
فهينا الكرام الكاتبينا<sup>(١)</sup>

فعفا المنصور عنهم، وأمر بتخليه سبيلهم.

حين أنشد الكتاب هذا البيت استعطافاً، واسترقاقاً للمنصور، ابتغاء عفوه عنهم، وأعجب المنصور بهذا البيت من الشعر، عفا عنهم، وخلي سبيلهم.

والعجب أنهم كتاب، ومع ذلك كانت وسيلتهم الشعر، وليس النثر، لأنهم عرفوا أن للشعر قيمة عالية عند المنصور.

كما أن هذا البيت الشعري لا يخلو من طرافة، وتملح قدره المنصور، مع أنه في موقف غضب عليهم، مما يستلزم عقابهم، ومع ذلك استلوا سخيمته بهذا البيت الشعري.

\*\*\*

---

(١) العقد الفريد: ١٦/٣، العمدة ٧٠/١  
الكاتبون: كتاب الدواوين، الكرام الكاتبون: الملائكة.

وروى أن عيسى بن موسى لما وجه المنصور، الخليفة العباسي،  
إلى المدينة، لمحاربة بني عبدالله بن الحسن، وجعل يوصيه، ويكثر،  
قال: يا أمير المؤمنين، إلى متى توصيني؟  
إني أنا ذاك الحسام الهندي.  
أكلت جفني وفريت غمدى.  
فكل ما تطلب عندي عندي<sup>(١)</sup>

وهذه الأبيات دليل على أن الشعر كان مادة الحديث، والاستعداد  
للحرب، ومادة الحوار بين الخليفة والقائد الذي أرسله لحرب  
العلويين.

ورد القائد على الخليفة بالشعر دلالة على اعتزاز كل منهما بالشعر،  
ومكانته في عصر بني العباس.

والرواية تقول إن الخليفة المنصور جعل يوصى قائده، ويكثر، فلما  
أدرك ذلك القائد أراد أن يهدئ روع الخليفة، ويطمئنه إلى موقفه،  
وحاله، قبل توجهه إلى الحرب، فأراد أن يأتي بالقول الفصل الذي  
يريح الخليفة، فما كان منه إلا أن ينشده شعرا، وقد نجح في ذلك،  
حتى إن الرواية لتذكر أن الخليفة لم يتكلم بعد سماع الشعر.

---

(١) العقد الفريد ١/١٥٨، ٢/٢٨٢

الحسام: السيف، الهندي: نسبة إلى الهند، التي تصنع أجود السيوف، الجفن: الغمد،  
فري: مزق، وأبلى، وروى: فكل ما تطلب مني عندي.

إن الشعر الذى أنشده القائد أمام الخليفة كان فخرا بالنفس، ليبين شدته، وشجاعته، وقوته، وهى الصفات التى أرادها الخليفة المنصور، لذا طمأنه بقوله فى البيت الثالث: فكل ما تطلب عندى، وأكد قوله مرة ثانية: عندى.

وهذا الشعر الذى أنشده القائد أمام الخليفة إنما يعبر عما أراد الخليفة، وما أراد القائد، وكأنه يلزم للقائد الحربى أن يكون ذا ثقافة عالية فى الشعر العربى، ومعرفة جيدة بالأسلوب الشعرى فى التعبير، وفى ذلك إعلاء لدولة الشعر فى العصر العباسى الأول.

\*\*\*

روى أنه لما صارت الخلافة إلى أبى جعفر المنصور، كتب إليه رجل من إخوانه:

إنا بطانتك الألى	كنا نكابد ما تكابد
ونرى فنعرف بالعدا	وة والبعاد لمن تباعد
ونبيت من شفق على	ك ربيثة والليل هاجد
هذا أوان وفاء ما	سبقته به منك المواعد <sup>(١)</sup>

---

(١) المقدم الفريد، المكتبة التجارية ٢٤٣/١، ٣٠٤  
بطانة: خاصة، وحاشية، ومن حول الرجل، نكابد: نعاني، من كابد الرباعى، وكذلك:  
تباعد، فنعرف: بالبناء للمجهول، هاجد: ساكن، أوان: وقت، المواعد: الوعود، ربيثة:  
هو الطليعة الذى يرقب العدو من مكان عال، لنلا يدهم قومه.

فوقع أبو جعفر المنصور على كل بيت منها: صدقت، ثم دعا به، وألحقه في خاصته. وذلك يدل على أن المنصور كان يعرف للشعر قيمته، وللشعراء مكانتهم، فقد وقع على كل بيت: صدقت، ثم أتاب الشاعر على شعره بإلحاقه في خاصته، دلالة على صدق الشاعر في شعره، وقيمة شعره الفنية.

إن المكافأة لهذا الشاعر كانت عظيمة، إذ إن المنصور ألحق هذا الشاعر في خاصته، وهي مكافأة دونها كل مكافأة، وذلك يدل على أن الشعراء كانوا يحتلون أسمى المناصب في بلاط خلفاء بني العباس.

\*\*\*

روى أن الخليفة أبا جعفر المنصور كان جالسا في مجلس بمدينةته في أعلى باب خراسان، مشرف على دجلة، إذ جاء سهم غائر، حتى سقط بين يديه، فذعر المنصور منه ذعرا شديدا.

ثم أخذه، فجعل يقلبه، فإذا مكتوب عليه بين الريشتين:

أتطمع في الحياة إلى التنادى      وتحسب أن مالك من معاد  
ستسأل عن ذنوبك والخطايا      وتسال بعد ذلك عن العباد  
ثم قرأ عند الريشة الأخرى:

أحسننت ظنك بالأيام إذ حسنت      ولم تخف سوء ما يأتي به  
وساعدتك الليالي فاغتررت بها      وعند صفو الليالي يحزن

ثم قرأ عند الريشة الأخرى:

هي المقادير تجرى في أعنتها فاصبر فليس لها صبر على حال  
يوما تربك خسيس القوم ترفعه إلى السماء ويوما تخفض العالى<sup>(١)</sup>

وإذا على جانب السهم مكتوب: همذان، منها مظلوم في حبسك.

فبعث المنصور من فوره بعدة من خاصته، فوجدوا شيخا في بيت  
من الحبس، موثوقا بالحديد، فسئل عن بلده، فقال: همذان.

فحمل، ووضع بين يدي المنصور، فسأله عن حاله، فأخبره أن  
الوالى أراد أخذ ضيعته، فامتنع، فكبلة في الحديد، وطرحه في هذا  
المكان، مذ أربعة أعوام.

فرد المنصور عليه ضيعته، وولاه همذان، وحكمه في الوالى، فقبل  
الشيخ الضيعة، ورفض الولاية، وعفا عن الوالى.

فأمر له المنصور بمال جزيل، وبر واسع، واستحله، وحمله إلى بلده مكرما.  
ثم أنشأ المنصور يقول:

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه يوما وللدهر إحلاء وإمرار

لكل شئ وإن دامت سلامته إذا انتهى فله لابد إقصار<sup>(٢)</sup>

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٣٠

التنادى: يوم التنادى وهو يوم القيامة، معاد: عودة، يقصد الأخرة، الخطايا: جمع  
خطيئة، القدر: قدر الله تعالى، صفو: حسن، الكدر: الحزن، المقادير: جمع مقدار،  
وهو القدر، أعنتها: زمامها، جمع عنانى، خسيس: وضع حقيقير.

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٣٠

والرواية تدل على أن المنصور قرأ الشعر المكتوب على السهم،  
وأدرك معنى هذا الشعر، ثم أمر بما يدل على إحساسه بما هو  
مكتوب على السهم.

كذلك فالمنصور بعد ما رد الحق إلى صاحبه تمثل بيئين من الشعر  
يدلان على موقفه، وتصرفه، والعبرة التي نتعظ بها في مثل هذا  
الموقف، ويكاد البيتان يكونان غاية في الحكمة التي تتجم عن تدبر،  
وتعقل، وفهم.

كذلك فإن المنصور شاعر، وحافظة للشعر، يستطيع أن ينشد في كل  
موقف بما يلائم هذا الموقف بدقة، وفهم، وبصيرة.

\*\*\*

روى أن أبا جعفر المنصور أقام صالحا ابنه، فتكلم في أمر فأحسن.  
فقال شبيب بن شيبه: تا الله، ما رأيت كالיום أبين بيانا، ولا أعرب  
لسانا، ولا أربط جأشا، ولا أبل ريقا، ولا أحسن طريقا، وحق لمن كان  
المنصور أباه، والمهدى أخاه، أن يكون كما قال زهير بن أبي سلمى:

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما      على تكاليفه فمثله لحقا  
أو يسبقاه على ما كان من مهل      فمثل ما قدما من صالح سبقا<sup>(١)</sup>

---

تصرف الدهر: تقلبه، إجماع، وإمرار: من الحلاوة والمرارة، يقصد السرور والحزن،  
إقصار: تراجع، ووقوف.

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٢٧/١

شأو: منزلة، أو مكانة، تكاليفه: مشاقه، أو ما يستأذمه.

وذلك نقد من شبيب بن شيبه لصالح بن المنصور، وكأنه تدريب  
لصالح على مواجهة المواقف المختلفة أمام أبيه، وكأنه امتحان شديد  
نجح فيه، وكان الممتحن ابن المنصور، والناقد شبيب بن شيبه،  
والمتقرب لذلك كله المنصور، وكأنه يضع ابنه في مقام التعلم المفيد.  
ثم كان الحكم من شبيب بن شيبه، ونطق بالحكم بطريق الشعر أمام  
المنصور، مستشهداً ببيتين من شعر زهير بن أبي سلمى، ارتاح  
لإشادتهما المنصور أيما راحة.

\*\*\*

وروى أنه دخل حماد عجرد الشاعر على أبي جعفر المنصور، بعد  
موت أخيه أبي العباس، فأنشده:

أتوك بعد أبي العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعرافا وعيدانا  
لو مجع عود على قوم عصارته لمجع عودك فينا الشهد والبان<sup>(١)</sup>  
فأمر المنصور لحماد بخمسة آلاف درهم.

وذلك يدل على أن المنصور يرى للشعر قيمته، حتى في مثل هذا  
الموقف الذي يمثل وداع خليفة رحل، واستقبال خليفة ولى الأمر.

---

(١) العقد الفريد ٣٦٥/١

بان: فارق، يقصد مات، أعرافا: جمع عرق، وهو الأصل، عيدان: يقصد الفروع،  
جمع عود، مجع: رمى، عصارته: ما يعصر منه، البان: شجر خشبه ذو رائحة طيبة.

وقد مدح حماد عجرد الشاعر المنصور بصفات تعلى شأنه، وتدل على قيمته ومكانته أصلاً، وفرعاً، وطيب معدنه، وشرف عوده وكرم محتده، ورفعته أصله.



روى أن الربيع حاجب المنصور قال يوماً للمنصور الخليفة العباسي: إن الشعراء بيباك، وهم كثيرون، طالت أيامهم، ونفدت نفقاتهم.

فقال المنصور: اخرج إليهم، فاقراً عليهم السلام، وقل لهم: من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد، فإنما هو كلب من الكلاب، ولا بالحية، فإنما هي دويبة منتنة تأكل التراب، ولا بالجبل، فإنما هو حجر أصم، ولا بالبحر، فإنما هو عظامط، بضم العين، أى عظيم الأمواج، لجب.

ومن ليس فى شعره هذا فليدخل، ومن كان فى شعره فليصرف. فانصرف الشعراء كلهم إلا إبراهيم بن هرمة، فإنه قال له: أنا له ياربيع، فأدخلنى.

فأدخل الربيع ابن هرمة، فلما مثل بين يديه، قال المنصور: يا ربيع، قد علمت أنه لا يجيبك أحد غير ابن هرمة، هات يا ابن هرمة. فأنشد ابن هرمة قصيدته التى يقول فيها:

له لحظات عن حفاقى سريره إذا كرها فيها عذاب ونائل



لهم طينة بيضاء من آل هاشم إذا اسود من كوم التراب القبائل  
إذا ما أبى شيئا مضى كالذى أبى وإن قال أبى فاعل فهو فاعل<sup>(١)</sup>  
فقال المنصور: حسبك، ها هنا بلغت، هذا عين الشعر قد أمرت لك  
بخمسة آلاف درهم.

فقام ابن هرمة إليه، وقبل رأسه، وأطرافه، ثم خرج، فلما كاد أن  
يخفى على عينيه سمع المنصور يقول: يا إبراهيم.  
فأقبل إليه فزعا، فقال: لبيك، فذاك أبى وأمى.  
قال المنصور: احتفظ بها، فليس لك عندنا غيرها.  
فقال ابن هرمة: بأبى وأمى أنت، أحفظها، حتى أوافيك بها على  
الصراط بخاتم الجهبذ.

فهذه الرواية توضح موقفا فنيا من المنصور، إذ إنه طلب من  
الشعراء مدحا فيه وصف معين حدده المنصور، وألغى أوصافا  
أخرى حددها أيضا.

أمر ثان هو أنه إدراكه أنه لن يجيبه في هذا المطلب من الشعراء إلا  
ابن هرمة مما يدل على معرفة أقدار الشعراء، ومسالكهم،

---

(١) العقد الفريد ١/٣٧٠

حفافي: مثني حفاف، يقصد ناحيتي سرير الملك، كرها: أرسلها، كوم: جمع كومة،  
لحظات: جمع لحظة: بمعنى النظرة السريعة.

وموهبتهم، ودروبهم، ومسالكهم الفنية، وذلك يدل على بصر تام  
بالشعر والشعراء فى عصره.

أمر ثالث أنه أتاب ابن هرمة على قصيدته، مما يدل على استحسانه  
القصيدة أولاً، وعلى أنه أدرك أنها تسائر الشروط التى وضعها  
المنصور.

\*\*\*

روى أنه لما وجه المنصور عيسى بن موسى فى محاربة بنى عبدالله  
بن الحسن، أوصاه، ثم قال: فهذه وصيتى إياك، لا كما أوصى بها  
يزيد بن معاوية، مسلم بن أبى عقبة، حين وجهه إلى المدينة، وأمره  
أن يقتل من ظهر إلى ثنية الوداع، وأن يبيحها ثلاثة أيام، ففعل.

فلما بلغ يزيد بن معاوية ما فعله مسلم بن أبى عقبة تمثل يزيد بن  
معاوية يقول ابن الزبيرى فى يوم أحد، حيث قال:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل<sup>(١)</sup>  
ثم أوصاه ثانية، وقال: فهذه وصيتى، لا كما أوصى به الذى وجه  
الحجاج إلى مكة، فأمره أن يضع المجانيق على الكعبة، وأن يلحد  
فى الحرم بظلم، ففعل ذلك.

(١) العقد الفريد ٢٨٢/٣

أشياخ: جمع شيخ، يقصد أشياخه من أهل مكة الذين قاتلوا الرسول صلى الله عليه  
وسلم والأنصار والمهاجرين، بدر: موقع كانت عنده غزوة بدر الكبرى، الخزرج:  
قبيلة من الأنصار من سكان المدينة، الأسل: جمع أسلة، وهى الرمح.

فلما بلغه الخبر تمثّل بقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا<sup>(١)</sup>

هنا يذكر المنصور موقفى يزيد بن معاوية مع مسلم بن أبى عقبة،  
والذى وجه الحجاج بن يوسف السقفى مع الحجاج، ويذكر أن يزيد  
تمثّل ببيت شعر لابن الزهرى فى غزوة أحد، وتمثّل من أرسل  
الحجاج ببيت شعر لعمرو بن كلثوم.

وهذا يدل على أنه يحفظ الشعر العربى، حتى إنه ليتمثّل بالشعر فى  
المواقف التى تعرض له.

كما يدل على أنه يعرف الواقعة، وما قيل فيها من الشعر، وكان  
رواية الواقعة ترتبط بالشعر الذى قيل فيها.

\*\*\*

روى أنه لما دخل أبو جعفر المنصور المدينة، قال للربيع: ابغنى  
رجلا عاقلا عالما بالمدينة، ليقتنى على دورها، فقد بعد عهدى بديار  
قومى.

---

(١) العقد الفرید ٢٨٢/٣، الروائع من الأدب العربى ٢٦٩/١  
اليتان من معلقة عمرو بن كلثوم، والبيت الثانى أسبق من البيت الأول فى المعلقة.

فالتمس له الربيع فتى من أعدل الناس، وأعلمهم، فكان لا يبتدى  
بأخبار، حتى يسأله المنصور، فيجيبه بأحسن عبارة، وأجود بيان،  
وأوفى معنى.

فأعجب المنصور به، وأمر له بمال، فتأخر عنه، ودعته الضرورة  
إلى استجازه، فاجتاز ببيت عاتكة، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت  
عاتكة، الذى يقول فيه الأحوص:

يا بيت عاتكة التى أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل  
أصبحت أمنحك الصدور وإننى قسما إليك مع الصدود لأميل<sup>(١)</sup>  
ففكر المنصور فى قوله، وقال: لم يخالف عادته بابتداء الأخبار،  
دون الاستخبار، إلا الأمر.

وأقبل يردد القصيدة وينصفها بيتا بيتا، حتى انتهى إلى قوله فيها:  
إن امرأ قد نال منك وسيلة يرجو منافع غيرها لمضلل  
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذاق اللسان يقول ما لا يفعل<sup>(٢)</sup>

(١) زهر الداب وثمر اللباب ٢٤٧/١، شعر الأحوص الأنصارى ص ١٦٦، الأغاني  
٩٥/٢١

بيت عاتكة: يضرب مثلا للموضع الذى تعرض عنه بوجهك، وتميل إليه بقلبك،  
ويروى أن عبدالله بن المقفع مر ببيت نار للمجوسن فتمثل بهذا البيت، والذى بعده،  
أتعزل: أتحنى، وأتجنب، وأكون بمعزل عنه، العدا: جمع عدو، أمنحك: أعطيك،  
والقصيدة للأحوص فى مدح عمر بن عبدالعزيز.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ٢٤٧/١، شعر الأحوص الأنصارى ص ١٧١  
مذق: أصيله من مذاق اللبن بالماء، إذا خلطه، ومعناها يمزج الجد بالهزل، مضلل:  
بصيغة اسم المفعول، مذاق: بضم الميم، وكسر الذال، ومذاق اللسان: مخلوطه، غير  
خالصه.

فقال المنصور: يا ربيع، هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا به؟

فقال الربيع: أخرته عنه لعله، ثم نكرها للربيع.

فقال المنصور: عجله له مضاعفا.

وهذا اللفظ تعريض من الرجل، وحسن فهم من المنصور.

\*\*\*

وروى صاحب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، فقال:

لما توفيت امرأة أبي بكر الهذلي، جزع عليها جزعا شديدا، وبلغ ذلك المنصور، فأمر الربيع بأن يأتيه، ويعزيه ويوجه إليه بجارية نفيسة، لها أدب وظرف، تسليه عن زوجه، وتقوم بأمر داره، وأمر له معها بفراش، وكسوة، وصلة.

فلم يزل الهذلي يتوقعها، ونسيها المنصور.

ثم إن المنصور رجح، ومعه الهذلي، فقال له المنصور، وهو بالمدينة: إني أحب أن أطوف الليلة في المدينة، فأطلب لي رجلا يعرف منازلها، ومساكنها، وربوعها، وطرقها وأخبارها، وأحوالها، وليكون معي فيعرفني جميعها.

فقال الهذلي: أنا لها يا أمير المؤمنين.

فلما أرخى الليل سدوله، خرج المنصور على حمار، يطوف مع الهذلي في سكك المدينة، وهو يسأل عن كل ربيع، وسكة وموضع

فيخبره. ثم قال الهزلي: وهذا يا أمير المؤمنين بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل  
فأنكر المنصور ابتداءه بذكر بيت عاتكة، من غير أن يسأله عنه،  
فلما رجع إلى منزله، أمر القصيدة كلها على قلبه، فإذا فيها:  
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل  
فعلم المنصور أنه لم يصل إلى الهزلي ما وعده إياه من الجارية،  
والكسوة، والفراش، فحمل إليه واعتذر له<sup>(١)</sup>.  
وذلك يدل على ذكاء الفتى حيث كان يتوقع معرفة المنصور هذا  
الشعر.

كما يدل على أن المنصور يحفظ الكثير من الشعر القديم من  
العصور التي سبقت العصر العباسي.

ويدل أيضا على ذكاء أبي جعفر المنصور الذي أدرك ببيت شعري  
واحد مبتغى الفتى، حين أمر على القصيدة كلها، فوجد ضالة الفتى،  
وهو البيت الذي يعبر عما يريد.

إلى هذا الحد كانت معرفة المنصور بالشعر العربي.

\*\*\*

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٣١٧-٣١٨

وروى صاحب الأغاني: أن رجلا من أهل المدينة من الأنصار قد انقطع إلى الربيع زمانا، فقال له الربيع، تهباً، فإني أظن جدك قد تحرك، إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة، وأهلها، وطرقها، وحيطانها، ودورها، فتحسس موافقته، ولا تبتدئه بشئ حتى يسألك، ولا تكتمه شيئاً، ولا تسأله حاجة، فغدا عليه بالرجل، فسار الرجل مع المنصور يخبره عما سأل، حتى خرج من أبيات المدينة.

فأقبل عليه المنصور وسأله عن نفسه، وأهله، وولده، ومنزله، فلما عرف المنصور أنه لم يتزوج، وليس له خادم، ولا منزل، أمر له بأربعة آلاف درهم.

فلما أراد الانصراف قال الرجل للربيع: يا أبا الفضل، قد أمر لي أمير المؤمنين بصلة، إن رأيت أن تتجزها لي.

قال الربيع: هيهات.

قال الرجل: فأصنع ماذا؟

قال الربيع: لا أدري والله. أو قال: ما أمر لك شئ، ولو أمر لك ندعاني، وقال أعطه أو وقع إلي.

فقال الفتى: هذا هم لم يكن في الحساب.

وقال الربيع للفتى: إنه خارج بعد غد، فاحتل لنفسك، فإنه والله إن فئتك فإنه آخر العهد به.

فسار معه وأقبل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة.

قال المنصور: وما بيت عاتكة.

قال الفتى: الذى يقول فيه الأحوص.

يا بيت عاتكة التى أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

قال المنصور: فمه.

قال الفتى: إنه يقول فيها:

إن امرأ قد نال منك وسيلة يرجو منافع غيرها لمضلل

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل<sup>(١)</sup>

فقال له المنصور: لقد رأيتك أذكرت بنفسك، وأمر أن يعطوه أربعة

آلاف درهم، فأعطيتها. ويروى أن المنصور ضحك، وقال: قاتلك

الله، ما أظرفك، يا ربيع، أعطه ألف درهم.

فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، إنها كانت أربعة آلاف درهم.

فقال المنصور: ألف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل.

\*\*\*

روى أن الطريح النقى كان ناسكا شاعرا، فلما قال فى أبى جعفر

المنصور قوله:

أنت ابن مستبطح البطاح ولم تعطف عليه الحنى والولج

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ج عليه كالسيل يعتلج

(١) الأغاني ١٠٦/٢١-١٠٧



لهم أو كاد أو لكان — في سائر الأرض عنك منعرج (١)  
 قيل: فكيف ذلك، وهو يقول للسيل: دع طريقك.  
 روى أن الذى قال ذلك أبو جعفر المنصور، فبلغ ذلك الطريح النقى  
 فقال: الله يعلم أنى إنما أردت: يارب لو قلت للسيل: دع طريقك.  
 فقد روى أن أبا جعفر المنصور هو الذى نقد هذا الشعر، قائلا:  
 فكيف ذلك المعنى، وهو يقول للسيل: دع طريقك، فكان الرد من  
 الشاعر أنه ما أراد ذلك، وأن هذه الأبيات يخاطب بها ربه سبحانه  
 وتعالى.

وعلى أية حال فهذه وجهة نظر نقدية جميلة تكشف عن قدرة نقدية  
 تستطيع فهم المعانى، ونقد ما يمكن نقده منها.  
 وهذا نقد يعتمد على المعنى، وفهمه.

\*\*\*

روى أن المنصور الخليفة العباسى قال لمعن بن زائدة: ما أظن ما  
 قيل عنك من ظلمك أهل اليمن، واعتسافك عليهم إلا حقا.  
 قال معن: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

(١) العقد الفريد ٤٠٢/٣

البطاح: جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى، واستبطح: جعله بطاحا،  
 الحنى: المحنى، وهو ما انحنى من السيل، أو البطاح، وهو جمع الحنو، وهو متعرج وهو  
 السوادى، الولج: الدخول، يعتلج: يشتد، لهم: أى هم بالتفويض، منعرج: منمطف الوادى  
 يمنا ويسرة.

قال المنصور: بلغني عنك أنك أعطيت شاعرا ليبت قالة ألف دينار،  
فأشده البيت، وهو:

معن زائدة الذي زيدت به هذا بيت شعر فخرا إلى فخر بنو شيبان.  
قال معن: نعم يا أمير المؤمنين، قد أعطيته ألف دينار، لكن على  
قوله:

مازلت يوم الهاشمية معنا بالسيف دون خليفة الرحمن  
فمنعت حوزته وكنت وقاه من وقع كل مهند وسنان<sup>(١)</sup>

فاستحيا المنصور، وجعل ينكت بالمخصرة، ثم رفع رأسه، وقال:  
لجس أبا الوليد، أنصت يا معن.

فقد عاتب المنصور معن زائدة أولا على أنه أعطى شاعرا ليبت  
شعر قالة في مدحه ألف دينار، مستكثرا هذه المكافأة السخية على  
هذا البيت الواحد، فلما أوضح له معن بن زائدة أنه منح الشاعر ألف  
دينار حقا، لكن ليس على هذا البيت، ولكن على بيتين آخرين،  
يجعلان المدح خلافا أمينا مخلصا في دولة بني العباس، وحكمهم،  
فلما عرف المنصور ذلك، استحسن مكافأة معن بن زائدة الشاعر.

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٤٢/١، الروض المطهر في خبر الأقطار ص  
٥٩١

منعت: حميت، حوزة: حمى، وما يحوزه المرء، وقاه: وقاية، وقع: ضرب، مهند:  
سيف، سنان: سنان الرمح، ويروي: زابت به شرفا إلى شرف، والشاعر مروان بن  
أبي حفصة، وروي: مائة ألف درهم.

فى هذين الموقفين دليل على فهم المنصور الشعر، فقد أنف أن يمدح أحد من يقومون بالعمل فى ولاياته بهذا المدح المبالغ فيه، وينال هذه المكافأة المبالغ فيها، فلما عرف أن الشعر فى مدح الممدوح لأنه فى خدمة دولة بنى العباس صارت المكافأة فى حجم المدح، وذلك يدل على تقدير المنصور الشعر تقديرا دقيقا.

\*\*\*

روى أنه لما مات جعفر بن أبى جعفر المنصور، اشتد عليه حزنه، فلما فرغ من دفنه ألتفت إلى الزبيغ.  
قال المنصور: يا زبيغ، كيف قال مطيع بن إياس فى يحيى بن زياد؟  
فأنشده الزبيغ:

يا أهل بكر لقلبي اتقـرح	وللدموع الذوارف السفح
زجوا بيحيى ولو تطاوعنى الـ	أقدار لم تبتكر ولم تـرح
يا خير من يحسن البكاء به الـ	يوم ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسـر وروقد	ألم مكروهه من الفرح <sup>(١)</sup>

(١) العقد الفرید ١٧٤/٢

الفرح: بفتح القاف وسكون الراء، الجراح، وبضم القاف ألم الجراح. الذوارف: جمع ذارفة، وهى السائلة الدموع، زجوا: دفعوا، لم تبتكر: لا تعمل فى البكور، لم تـرح: لا تعمل فى الرواح، وهما الوقتان أول النهار، وأخره، من يحسن البكاء به اليوم، لنوته، ومن كان أمس للمدح. أى كان مندحا فى حياته، ظفر الحزن بالسـرور: غلبه. ألم: نزل، من الفرح: أى بدلا من الفرح.

والأبيات صادفت موقعها، والموقف الذى قيلت فيه أيما مصادفة،  
وذلك يدل على أن المنصور ذا بصر بالشعر، وفهم له، ومعرفة تامة  
بكنوزه، وأنه يحفظ شعرا كثيرا فى مواقف مختلفة، وأغراض  
متباينة، حتى أنه يستطيع أن يتمثل بالشعر وقت ما يريد.  
والعجب هو حسن انطباق القول على الموقف، ذلك لا يستطيعه إلا  
من كان على شاكلة المنصور فى حفظ الشعر، وفهمه.  
فقد عبر المنصور عن حزن القلب، وسفح الدموع، وموت ابنه الذى  
كان بالأمس ممدحا، واليوم صار يبكى عليه، وكان هذا الشعر قد  
أنشده الشاعر خصيصا له فى مثل هذا الموقف الذى ألم به.

\*\*\*

روى أن أبا جعفر المنصور حين فجع بموت ابنه جعفر طلب من  
ينشده من أهل بيته قصيدة أبى ذؤيب الهذلى فى رثاء بنيه:  
أمن المنون وربها تتوجع      والدهر ليس بمعقب من يجزع<sup>(١)</sup>  
فلما لم يجد فيهم من يحفظها أسف على جهلهم بها أسفا أشد من  
حزنه لفقد ابنه.

---

(١) الأغانى ٢٧٢/٦-٢٧٤

المنون: المنايا، بمعقب، ويروى بمعتب:  
يجزع: من الجزع، وهو عدم الصبر أو الهلع والفرع والحزن.

ولما جئ بشيخ مؤدب لينشده اياها استعاد إنشاده المطلع مرات، حتى  
إذا بلغ الشيخ في إنشاده قول أبي ذؤيب:  
والدهر لا يبقى على حدثانه

استعاده المنصور مرات، وهو يقول: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول.  
فهو يريد أن يسلو عن موت ابنه، فلم يجد سلوى أفضل من إنشاد  
الشعر، وقد عرف ببصيرته في الشعر واحدة من عيون الرثاء في  
الشعر القديم، وهي قصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء بنيه، فطلب  
من أهل بيته من ينشده اياها، فلما لم يجد من أهل بيته من يحفظ هذه  
القصيدة أسف لذلك أسفا أشد من حزنه لفقد ابنه.

ولما جئ بشيخ مؤدب، فأنشده القصيدة استعاد المطلع مرات،  
وعرف سلو أبي ذؤيب، وموضعه من القصيدة.  
وذلك يدل على فهمه العميق والدقيق للشعر القديم، ومعرفته عيون  
الشعر العربي في الأغراض المختلفة، ويعرف قدر الشعر وقيمه في  
مواقف عديدة.

\*\*\*

لما عزم أبو جعفر المنصور الخليفة على الفتك بأبي مسلم  
الخراساني فزع من ذلك عيسى بن موسى، فكتب إلى أبي جعفر  
المنصور:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فأجابه أبو جعفر المنصور:

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة      فإن فساد الرأى أن تترددا  
ولا تمهل الأعداء يوماً بغدوة      وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا<sup>(١)</sup>  
والعجب أن يكتب عيسى بن موسى إلى المنصور شعرا، فيرد عليه  
المنصور بالفن نفسه، وهو الشعر، وكل منهما قد عبر عما يريد،  
وكانه قد أنشأ هذا الشعر إنشاء، على رغم أن هذا الشعر قد تمثل به  
كل منهما. وربما كان هذا الشعر إنشادا على البديهة، وذلك يعلى  
منزلة المنصور فى الشعر، فهمه، وحفظه، وإنشاده.  
والعجب أيضا أن البيت الذى أنشده عيسى بن موسى ابتداء قد أنشد  
المنصور على وزنه وقافيته شعرا ينقض فيه رأيه، ويستدل على  
صدق رأيه، وفكرته، وذلك كله على البديهة إنشاء، وإنشادا، أو  
حفظا وإنشادا.

\*\*\*

روى أن أبا جعفر المنصور أنشد فى رثاء عمرو بن عبيد، فقال:  
صلى الإله عليك من متوسد      قبرا مررت به على مران  
قبرا تضمن مؤمنا متخشعا      صدق الإله ودان بالقرآن

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢٥٨/١-٢٥٩  
تدبر: الحكمة والتعقل، تتعجل: تتسرع، غدوة: الوقت أول النهار، بادرهم: أسرع  
إليهم.

وإذا الرجال تتازعوا في سنة  
فصل الحديث بحكمة وبيان  
فلو أن هذا الدهر أبقى صالحا  
أبقى لنا حيا أبا عثمان<sup>(١)</sup>  
وقال أبو جعفر المنصور أيضا في عمرو بن عبيد:

كلكم يطلب صيد

كلكم يمشى رويد

غير عمرو بن عبيد .

وهنا كان المنصور هو الشاعر الذي يرثى وينشد الشعر في موقف  
حزين مثل هذا الموقف، مما يدل على أن قول الشاعر لم يكن من  
الشعراء موجهة إلى الخلفاء، والأمراء، وعلية القوم، وإنما قد ينشد  
الشعر الخلفاء أنفسهم، فليس في ذلك عيب.

إن المنصور قد رثى عمرو بن عبيد رثاء يعلى فيه من صفاته التي  
تستحق الإشادة بها من مثل الإيمان، والخشوع، تصديق الله تعالى  
في دينه، التدين بالقرآن الكريم، فهم السنة الشريفة، الصلاح.  
وذلك يدل على معرفته بمواطن الإشادة في الرثاء، لمعرفته بالشعر،  
وبصره به.

\*\*\*

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٤٢  
متوسد: متخذ وسادة، مران: بفتح الميم، وتشديد الراء، بلدة بين مكة والبصرة، أبا  
عثمان: هو عمرو بن عبيد، وكان زعيم المعتزلة، رويد: على مهل.

روى أن الخليفة أبا جعفر المنصور جلس في قصره بباب الذهب،  
ونظر إلى التجار، وطبقات السوق.

فتمثل بهذين البيتين:

كما قال الحمار لسهم رام      لقد جمعت من شتى لأمر  
جمعت حديدة وجمعت نصلا      ومن عقب البعير وريش نسر<sup>(١)</sup>  
وهذا أيضا تمثل بشعر يعبر عن الموقف الذي يعيشه، فكما أن  
التجار، والسوق شتيت جمع في هذا المكان فإن السهم أيضا قد  
جمعت أصوله من أمور كثيرة، الحديد، والنصل، وعقب البعير،  
وريش النسر.

ومن عجب أن يأتي المنصور ببينين من الشعر من محفوظه الأدبي  
القديم ليعبر بهما عن الموقف الذي يراه، وكان التعبير مطابقا أيما  
مطابقة، إنها لمحة الناقد الحصيف، أو الراوية الذكي، أو عالم الشعر  
المتقن.

\*\*\*

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١١٢، ٢٢٠  
الحمار: حمار الوحش، لأنه الذي يصطاد، شتى: متفرق، لأمر: أى شديد، حديدة: هى  
حديدة السهم، النصل: حد السهم، والسيوف، والسكين، والرمح، والريش يساعد السهم  
على القصد للرمية، ولذلك يقولون: سهم مريش، أى فيه الريش، عقب: مؤخر.



روى أن أبا جعفر المنصور العباسي كتب إلى عبدالله بن الحسن،  
حين علم المنصور أن عبدالله، وابنيه محمد وإبراهيم قد أرسلوا  
الكتب إلى خراسان، للدعوة لهم.  
فكتب المنصور إلى عبدالله وبنيه:

أريد حياته ويريد قتلى      عذيرك من خليك من مراد  
فكتب إليه عبدالله بن الحسن:

وكيف أريد ذاك وأنت منى      وزندك حين تقدح من زنادى  
وكيف أريد ذاك وأنت منى      بمنزله النياط من الفؤاد<sup>(١)</sup>

فقد أرسل عبدالله بن الحسن، وابناه محمد بن عبدالله بن الحسن،  
وإبراهيم بن عبدالله بن الحسن الكتب إلى خراسان، للدعوة للعلويين،  
مما يناقض الدعوة العباسية، أي أنها دعوة إلى الثورة على  
العباسيين، ليتولى العلويون الحكم.

في هذا الموقف تمثل المنصور ببيت يقول:  
إننى أريد لكم الحياة، وأنتم تريدون قتلى

---

(١) المعقد الفريد ٢٧٦/٣

عذيرك: بفتح العين: عاذرك، ويقال: من عذيري: أى من يعذرنى فى هذا الأمر،  
الزند: العود الأعلى الذى تقدح به النار، بفتح الزاى، وسكون النون، والزناد: بكسر  
الزاى، النياط للقلب: ما علق به إلى الرنتين، الفؤاد: القلب.

فرد عليه عبدالله بن الحسن مبينا أنهما معا أهل بيت واحد، وأسرة واحدة، وما بينهما أقوى من أية رابطة، فالعلويون أبناء عمومة للعباسيين، فرضى المنصور بهذا الرد. والشاهد أن الرسالتين اتخذتا الشعر وسيلة معبرة عن هذا الموقف السياسى.

\*\*\*

روى أن عبدالله بن على بن عبدالله بن العباس حين خالف على أبى جعفر المنصور، ودعا إلى نفسه، زاعما أن أبا العباس السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان بن محمد. فلما بلغ المنصور الخليفة العباسى ذلك من فعل عبدالله فى دير الأعر، كتب المنصور إليه:

سأجعل نفسى منك حيث جعلتها وللدهر أيام لهن عواقب<sup>(١)</sup>

ثم بعث إليه بأبى مسلم الخراسانى فهزمه.

والشاهد هنا أن الخليفة المنصور أرسل إلى عمه، حين زعم أن الخلافة من حقه، ودعا إلى نفسه، فى هذا الموقف العصيب لجا المنصور إلى الشعر، فكتب إلى عمه يبين له أنه سيجعل نفسه من

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٥٥  
عواقب: جمع عاقبة، نفسى حيث جعلتها: أى تعاديك نفسى كما عاديتها، أيام: أحوال، وتقلبات.

عمه حيث جعل عمه نفسه منه، أى سيكون خصما له، وحذره من عاقبة عمله، وذكر حكمة طيبة تدل على عميق التجربة، يقول له فيها: وللدهر أيام لهن عواقب.

فهو تحذير، وتنبيه، وتهديد، بلهجة متأنية حكيمة، بأسلوب راق، فى بيت واحد من الشعر، جاء على لسان خليفة عباسى، هو أبو جعفر المنصور الخليفة الثانى فى دولة بنى العباس.

\*\*\*

روى الربيع قال: خرجنا مع المنصور منصرفنا من الحج، ثم راح المنصور، ورحنا معه فى يوم شديد الحر، وقد قابلته الشمس، وعليه جبة وشى.

فالتفت المنصور إلينا، وقال: إبنى أقول بيتا من الشعر، فمن أجازه منكم، فله جبتى هذه.

قالوا: يقول أمير المؤمنين.

فقال المنصور:

وهاجرة نصبت لها جبينى      يقطع حرها ظهر العصابه

فبدر بشار فقال:

وقفت بها القلوص ففاض دمعى      على خدى وأسعدنى عصابه<sup>(١)</sup>

---

(١) المقدم الفريد ٢٤/٤، الأغانى ١٧٨/٣-١٧٩

- فخرج المنصور لبشار عن الجبة.
- فلقيه الربيع بعد ذلك، فسأله عما فعل بالجبة، فقال بشار: بعثها بأربعة آلاف درهم، وقيل بأربعمائة دينار.
- وهنا ينشد المنصور شعرا، ويطلب من رفاقه فى الرحلة أن يجيزوا البيت بيت مثله على وزنه وقافيته، فأجازه بشار بن برد، وذلك يدل على أمور:
- أن المنصور كان يستصحب الشعراء فى سفره، ليتناشدوا الشعر.
  - أن المنصور كان يعد الشعر خيرا تسلية له، ولرفاقه.
  - أن المنصور كان يغرى الشعراء بقول الشعر، فقد فتح لهم باب القول بهذا الإغراء.
  - أن الرواية تذكر أنه أجاز بشار بن برد ببردته التى قدرت بأربعة آلاف درهم.

\*\*\*

خطب الخليفة أبو جعفر المنصور حين خرج إلى الشام، فبدأ خطبته بقوله:

---

وماجرة، أى ورب هاجرة، والهاجرة: الوقت عند منتصف النهار، حيث يشتد الحر، فيهجر الناس العمل إلى الظل، أو البيت، نصب: أتعب، الجبين: الجبهة، العصابة: الجماعة من الناس والخيل والطير، والعصابة أيضا: غطاء الرأس، القلوص: هى الناقة الشابة، ويروى: ظهر العظاية، وأقصروا عظايه.

شئنة أعرفها من أخزم من يلق أبطال الرجال يكلم<sup>(١)</sup>  
وهو ابتداء يدل على اهتمامه بالشعر أولاً، وإدراكه قيمة الشعر في  
التعبير في المواقف المختلفة، وأنه لا يجد غضاضة في البدء في  
خطبه بالشعر. كما أن هذا البيت يحمل في طياته مثلاً عربياً قديماً له  
دلالة طيبة على الموقف المقصود.  
كما يدل على أن المنصور لا يتورع أن يتمثل بالشعر في أى موقف  
يعرض له.

\*\*\*

روى أن أبا جعفر المنصور قال: خرجت أريد الشام، أيام مروان بن  
محمد، وهو آخر خلفاء بني أمية، فصحبني في الطريق رجل  
ضريير، هو أبو العباس الأعمى الشاعر، فسألته عن مقصده،  
فأخبرني أنه يريد مروان بن محمد، الخليفة الأموي، بشعر امتدحه  
به، فاستثدته إياه، فأنشدني قوله في مروان:

ليت شعري أفاح رائحة المسك	ك وما إن أخال بالخريف إنسى
حين غابت بنو أمية عنه	والبهليل من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا	ن عليها وقالة غير خرس
لا يعابون صامتين وإن قا	لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

(١) العقد الفريد ٢/٣٨٣

شئنة: الخلق والطبيعة والعادة الغالية، وهو مثل يضرب في قرب الشبه في الخلق.

بحلوم إذا الحلوم تقضت ووجوه مثل الدنانير ملس<sup>(١)</sup>  
قال أبو جعفر المنصور: فوالله ما فرغ أبو العباس الأعمى من  
إنشاده، حتى توهمت أن العمى قد أدركنى، وافترقنا.  
قال المنصور: فلما أفضت الخلافة إلى خرجت حاجا، فنزلت أمشى  
بجبل زرود، فبصرت بأبى العباس الضرير، ففرقت من كان معى،  
ودنوت منه، فقلت له: أتعرفنى؟  
قال أبو العباس: لا.

فقلت: أنا رفیقك، وأنت تريد الشام، أيام مروان بن محمد، فقال أبو  
العباس:

أمّت نساء بنى أمية منهم	وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط جدهم	والنجم يسقط والجدود تنام
خلت المنابر والأسرة منهم	فعلیهم حتى الممات سلام <sup>(٢)</sup>

(١) الأغاني ٢٩٩/١٦-٣٠٠

فاح: تصوع، أخال: أظن، الخيف: مكان، البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الشريف،  
عبد شمس: جد الأمويين، خطباء: جمع خطيب، المنابر: جمع منبر، إنسى: بشر، قاله:  
جمع قائل، خرس: جمع أخرس، لبس: شك، حلوم: جمع حلم، وهو العقل، وجوه:  
جمع وجه، ملس: جمع أملس، الدنانير: جمع دينار.

(٢) الأغاني ٢٩٩/١٦-٣٠٠

أمّت: صارت، مضيعة: مكان الضياع، أيتام: جمع يتيمة، وهى من البشر من فقدت  
الأب، الجدود: جمع جد، وهو الحظ والبخت والنصيب، النجم: المقصود نجم الحظ،  
المنابر: جمع المنبر، والأسرة: جمع سرير.

فقال أبو جعفر المنصور: وكم كان مروان بن محمد أعطاك، بأبي أنت؟

قال أبو العباس: أغناني أن أسأل أحدا بعده.

والأبيات الأولى تحسر على ماض لبني أمية، ومدح لهم، بأنهم خطباء على المنابر، فرسان فصاحة، وقالة بيان، يعرفون في بلاغة قولهم الصمت في موضعه، والإصابة عند القول، والوضوح بغير لبس، ولهم عقول ناضجة، ووجوه مشرقة.

وقد كان هذا الشعر قويا مؤثرا في أبي جعفر المنصور حتى إنه قال: فوالله ما فرغ أبو العباس الضرير من إنشاده، حتى توهمت أن العمى قد أدركنى.

أما الشعر الثانى الذى أنشده أبو العباس أبا جعفر المنصور، فقد أنشده فى العصر العباسى، وهو يعلم أن عصر الأمويين قد ولى، كما أن المنصور حين رآه فى الحج كشف له عن نفسه أنشده شعرا، يبين فيه أن نساء بنى أمية صاروا أيتاما بمضيعة لقتل رجالهم، وأن حظوظهم قد نامت، وقد خلت منابرهم وأسرتهم منهم، فعليهم السلام حتى الممات.

وقد تأثر أبو جعفر المنصور بهذا الشعر، فسأل أبا العباس الشاعر عن عطاء مروان له، فقال أبو العباس: أغناني أن أسأل أحدا بعده.

والعجيب أن أبا جعفر المنصور تركه، ولم يرد عليه، ولم يعاقبه، واحترم مذهبه السياسي، برغم شعره هذا في بني أمية، لكنه احترام الفن الشعري، وصاحبه، وليس ذلك بغريب على مثل أبي جعفر المنصور.





# الفصل الثالث

الشعر في عصر المهدي

١٥١هـ - ١٦٩هـ



المهدى، ١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ ثالث الخلفاء العباسيين، وهو أبو عبدالله محمد المهدي بن عبدالله المنصور، وهو ابن الخليفة أبي جعفر المنصور، بويح صبيحة اليوم الذي توفي فيه أبوه المنصور، لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة من الهجرة، وتوفي في المحرم سنة تسع وستين ومائة من الهجرة، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة وأربعين يوماً، تزوج ريطة بنت أبي العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين، وهو والد موسى الهادي، وهارون الرشيد، أنجبهما من الخيزران التي أعتقها، وتزوجها، ومن وزرائه يعقوب بن داود السلمى<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

روى أن إبراهيم بن هرمة الشاعر كان مغرماً بالشراب، وحده ولاية المدينة، فلما ضاق بهم دخل على الخليفة المهدي بشعره الذي يقول فيه:

له لحظات في خفاء سريرة	إذا كرها منها عقاب ونائل
لهم طينة بيضاء من آل هاشم	إذا اسود من لؤم التراب القبائل
إذا ما أتى شيئاً مضى كالذي أتى	وإن قال إني فاعل فهو فاعل <sup>(٢)</sup>

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٠-٢٠١

(٢) العقد الفريد ٤/٣٤٣

لحظات: جمع لحظة، وهي النظرة بالعين، سريرة: السر الذي يكتم، كر: هجم، طينة: أصل، أو خلق.

فأعجب المهدي بشعره، وقال: سل حاجتك.

قال ابن هرمة: تأمر لي بكتاب إلى عامل المدينة أن لا يحدثني على شراب.

فقال المهدي لوزرائه: إن عندي له حيلة، اكتبوا إلى عامل المدينة: من أتاك بابن هرمة سكرانا فاضرب ابن هرمة ثمانين، واضرب الذي يأتيك به مائة، فكان ابن هرمة إذا مشى أتى أزقة المدينة يقول: من يشتري مائة بثمانين؟

هذه رواية ثابتة حقيقية، وأكد أزعج أنها من أغرب ما روى عن خليفة المهدي، ومع ذلك تثبت المصادر هذه الرواية التي تؤكد أن لدى الخليفة العباسي قد احتال حتى يبيح الشراب لإبراهيم بن ، مع أنه حد من حدود الله تعالى.

قد الرواية أن المهدي قال لابن هرمة الشاعر: ويحك، إنه حد الله تعالى.

فقدرة: فاحتل لي، يا أمير المؤمنين.

فلم على جلسائه رفضوا ذلك، ففكر المهدي، وقال: عندي له حيلة، بهذه الحيلة.

وهذه رة عجيبة من الخليفة المهدي احتال فيها حيلة من أجل شاعر يهودي راب، فهل بلغت قيمة الشعر، ومكانة الشعراء درجة تتصل إلى هذا؟

إننا نعلى من قيمة الشعر كفن راق جميل، لكننا نحرص في الوقت ذاته على حدود الله تعالى، خاصة في العصر العباسي الذي قام خلفاؤه على أساس من القربى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نتصور أن يعطل حد من حدود الله تعالى من أجل الشعر، أو الشاعر، فتلك منزلة ما كان يجب أن يبلغها الشعر. ولا الشعراء في بلاط العباسيين على يد الخليفة المهدي من أجل رغبة إبراهيم بن هرمة الشاعر، مهما كان شعره، ومهما كان إنتماؤه للعباسيين، ومهما كان مدحه للخليفة المهدي، الذي مدحه بالشدة والحزم، وكرم الأصل، ومضاء العزيمة، وصدق الفعل، وهي كلها ممدوح لم تزد عما كان الشعراء يمدحون الخلفاء به.

\*\*\*

وروى أن أبا دلامة دخل على المهدي الخليفة العباسي، فأنشده أبياتا أعجب بها.

فقال الخليفة المهدي: سلني أبا دلامة، واحتكم، وأفرط ما شئت.

فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، كلب أصطاد به.

قال الخليفة المهدي: قد أمرنا لك بكلب. وها هنا بلغت همتك، وإلى ها هنا انتهت أمنيئك.

قال أبو دلامة: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين، فإنه بقي علي.

قال الخليفة المهدي: وما بقي عليك؟

قال أبو دلالة: غلام يقود الكلب.  
قال الخليفة المهدي: وغلام يقود الكلب.  
قال أبو دلالة: وخادم يطبخ لنا الصيد.  
قال الخليفة المهدي: وخادم يطبخ الصيد.  
قال أبو دلالة: ودار نسكنها.  
قال الخليفة المهدي: ودار تسكنها.  
قال أبو دلالة: وجارية ناوى إليها.  
قال الخليفة المهدي: وجارية تاوى إليها.  
قال أبو دلالة: قد بقى الآن المعاش.  
قال الخليفة المهدي: قد أقطعناك ألفى جريب عامرة، وألفى جريب  
غامرة.

قال أبو دلالة: وما الغامرة يا أمير المؤمنين؟  
قال الخليفة المهدي: التى لا تعمر.  
قال أبو دلالة: أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفا من فيافى بنى  
أسد.

قال الخليفة المهدي: قد جعلتها كلها لك عامرة.  
قال أبو دلالة: فيأذن لى أمير المؤمنين فى تقبيل يده؟  
قال الخليفة المهدي: أما هذه فدعها.

قال أبو دلامة: ما منعني شيئاً أيسر على أم ولدى فقدأ منه<sup>(١)</sup>.  
وروى فى الأغانى أن هذه القصة كانت بين أبى دلامة والخليفة  
المنصور العباسى.  
وقيل: كانت بين أبى دلامة، والخليفة السفاح.  
وروى أن أبى دلامة قال للمهدى: والله، ما منعت عيالى شيئاً أقل  
ضرراً عليهم منها.  
وقيل: كان أبو دلامة واقفاً بين يدى السفاح الخليفة العباسى، فقال له  
السفاح: سلنى حاجتك.  
وكان مما طلب أبو دلامة: ودابة أتصيد عليها.  
قال السفاح: أعطوه دابة.  
قال الجاحظ: فانظر إلى حذقه بالمسألة، ولطفه فيها، ابتداءً بكلب،  
فسهل القصة به، وجعل يأتى بما يليه، على ترتيب، وفكاهة، حتى  
نال ما لو سأله بديهة لما وصل إليه<sup>(٢)</sup>.  
ونحن نقول رأياً آخر هو إن الشاعر تهاياً له من ملاطفة الخليفة،  
ومجالسته، حتى يصل إلى هذه المرتبة من الدعابة، والفكاهة،

---

(١) العقد الفريد ٣٠٥/١-٣٠٦  
الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمئة ذراع، وقيل: عشرة آلاف ذراع، لا تعمر:  
لا نبات فيها.  
(٢) مهذب الأعانى ١٩/٩-٢٠



والتمايح فى مجلس الخليفة؁ مع الخليفة نفسه بشعره؁ وموهبته الشعرية.

فإذا كان الخليفة يمنحه كل ما يطلب؁ وأكثر مما يطلب؁ فإن الشاعر ليمنح الخليفة من فنه؁ وموهبته؁ وشعره ما يبقى على الدهر؁ ولقد ذهب ما أعطاه الخليفة الشاعر؁ من المال؁ وبقي ما أعطاه الشاعر الخليفة من الشعر؁ يردد على مر الأيام؁ ويؤثر عن الشاعر؁ ويؤثر للخليفة أبد الدهر؁ وتقرأه الأجيال بعد الأجيال.

فلا عجب إذا منح السفاح؁ أو المنصور؁ أو المهدي - كما تقول الروايات - أبا دلامة هذه المنح التي لا تكافئ ما قدمه لهم من مدح فى شعره الذى خلد على الدهر؁ ورواه الرواة؁ وأثبت فى المصادر الأدبية.

والعجيب أن الخليفة المهدي يقول لأبى دلامة: سلنى حاجتك؁ واحتكم؁ وأفرط ما شئت.

وذلك دليل على ما كان لأبى دلامة من مكانة عند الخليفة؁ حتى إنه ليمازح الخليفة على النحو الذى ذكرناه.

\*\*\*

وروى أن أبا دلامة الشاعر لقي الخليفة المهدي؁ فى مصاد له؁ وهو والى العراق؁ فأخذ بعنان فرسه؁ وأنشده:

ابن حلفت لئن رأيتك سالماً بقرى العراق وأنت ذو وفر  
لتصلين على النبي محمد ولتملأن دراهماً حجري<sup>(١)</sup>  
فقال المهدي: أما الصلاة على النبي، فنعم، صلى الله عليه وسلم.  
وأما الدراهم، فلما نرجع إن شاء الله تعالى.  
قال أبو دلامة: لا تفرق بينهما، لا فرق الله بينك وبين محمد في  
الجنة.  
وروى أن أبا دلامة قال: جعلت فداك، لا تفرق بينهما. فاستلفها له  
وصبت في حجره حتى أنقلته.  
وروى أن أبا دلامة دخل على الخليفة المهدي لما قدم من الري.  
وقال ذلك، فلما رد عليه الخليفة المهدي، قال أبو دلامة للخليفة: أنت  
أكرم من أن تفرق بينهما، ثم تختار أسهلها.  
فأمر الخليفة المهدي بأن يملأ حجره دراهم<sup>(٢)</sup>.  
ورويت هذه القصة بين أبي دلامة، ويزيد بن يزيد<sup>(٣)</sup>.  
ورويت مع أبي دلف.

---

(١) العقد الفريد ١/٣٠٥، الأغاني ١٠/٢٥٣  
حلفت: أقسمت، قرى: جمع قرية، وفر: مال كثير، حجري: يقصد جمع ثوبه من  
الأمم، يروي: نذرت  
(٢) الأغاني ١٠/٢٥٣  
(٣) العقد الفريد ٤/٣٩٤

وهذه حيلة عجيبة، إذ كيف ينذر أبودلامة أن يملأ الخليفة، أو الأمير حجره دراهم، والنذر يكون بالبذل، وليس بالأخذ، لكنها حيلة الشاعر للخليفة أو الأمير، وقد نجحت، ونال بها ما أراد.

وذلك يدلنا أن للشاعر مكانته في البلاط العباسي، حتى إن حيلة على رغم أنها لا تتطلى على الخليفة، أو الأمير، لكنها تعلقه ينال بها، ويمنحونه بسببها، لأنهم يرغبون في منحه لفنه الشعري الذي يمثل لهم جانبا من الدعابة، والفكاهة، والسرور، قد لا يمثله شاعر آخر ممن يطوفون على الخلفاء، وذلك مما جعل لأبي دلامة ولشعره مكانة خاصة، على رغم الجانب الهزلي فيه.

\*\*\*

وروى أن أبا دلامة الشاعر ولد له ابنة ليلا، فأوقد السراج، وجعل يخيظ خريطة من شقق، فلما أصبح طواها بين أصابعه، وغدا بها إلى الخليفة المهدي العباسي، فاستأذن أبو دلامة عليه، وكان لا يحجب عنه، فأنشده:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقيل اقعدهوا يا آل عباس  
ثم ارتقوا من شعاع الشمس في درج إلى السماء فأنتم أكرم الناس  
قال له المهدي: أحسنت والله أبا دلامة، فما الذي غدا بك إلينا؟  
قال أبو دلامة: ولدت لي جارية يا أمير المؤمنين.  
قال المهدي: فهل قلت فيها شعرا؟

قال أبو دلامة: نعم، قلت:

فما ولدتك مريم أم عيسى  
ولكن قد تضحك أم سوء  
ولم يكفلك لقمان الحكيم  
إلى لباتها وأب لئيم<sup>(١)</sup>

فضحك المهدي وقال: فما تريد أن أعينك به في تربيتها أبا دلامة؟  
قال أبو دلامة: تملأ هذه يا أمير المؤمنين، وأشار إليه بالخريطة بين  
إصبعيه.

فقال المهدي: وما عسى أن تحمل هذه؟

قال أبو دلامة: من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير.  
فأمر المهدي أن تملأ مالا. فلما نشرت أخذت عليهم صحن الدار،  
فدخل فيها أربعة آلاف درهم.

\*\*\*

وروى أن أبا دلامة خرجت عليه بنت له، وهو جالس مع أبي عطاء  
السندی الشاعر، فقال فيها أبو دلامة:

فما ولدتك مريم أم عيسى  
ولا رباك لقمان الحكيم  
ثم قال: أجز يا أبا عطاء.

فقال أبو عطاء السندی الشاعر:

ولكن قد تضحك أم سوء  
إلى لباتها وأب لئيم

(١) العقد الفريد ٣٠٢/١

أم سوء: بفتح السين، أب لئيم: يقصد نفسه.

فضحك أبو دلامة لذلك، ثم غدا أبو دلامة إلى الخليفة المنصور،  
فألقاه في الرحبة، يصلح فيها شيئاً يريد، فأخبره بقصة ابنته، وأنشده  
البيتين، ثم اندفع، فأنشده البيتين السابقين، وزاد بيتاً ثالثاً يقول:  
وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والأنف والأذنان فى الراس  
فاستحسنها المنصور، وقال: بأى شئ تحب أن أعينك على قبح ابنتك  
هذه؟<sup>(١)</sup>

وهذه الرواية تبين أن أبا دلامة كان يلقي من الرعاية، والإكرام من  
خلفاء العباس ما لا يحظى به من هم مثله، أو شاكلته من جلساء  
الخلفاء.

ولعل أبا دلامة كان يمثل الجانب الهزلى، أو الفكاهى، ويأتى بما يدل  
على التهكم والسخرية، حتى من نفسه، وأسرته مما يجلب إسعاد  
الخلفاء، وبالتالي جوائزهم.

ولعلنا نعرف أيضاً أن أبا دلامة فى البيتين السابقين يتهم بابنته،  
وزوجته، ونفسه، لينال عون الخليفة إياه على تربية ابنته، وهى حيلة  
طريفة، توصل بها أبو دلامة إلى ما يريد.

إن أبا دلامة كان يعرف أنه سينال حتماً منحة الخليفة، ولذلك ذكرت  
الرواية أنه كان قد خاط خريطة من الليل، وجعلها بين أصابعه، وغدا

---

(١) مهذب الأغاني ٢٠/٩

بها إلى الخليفة، ولما سأل الخليفة عما يجب أن يعينه به، قال: تملأ لي هذه الخريطة دراهم، حتى إن الخليفة سأل: وما عسى أن تحمل هذه؟

وهذا دليل مؤكد على أنه يعلم أنه لن يخيب فنه وشعره عند الخليفة.

\*\*\*

روى أن الخليفة المهدي قال لبشار بن برد! فيم تعتزي؟  
قال بشار: أما اللسان فعربي، وأما الأصل فكما قلت في شعري.  
قال المهدي: وما قلت؟  
فأنشده بشار:

يقولون من ذا وكنت العلم	ونبتت قوما لهم إحنة
ليعرفني أنا أنف الكرم	ألا أيها السائل جاهلا
فروعي وأصلي قریش العجم	نمت في المكارم بي عامر
وأصبي الفتاة فلا تعصم <sup>(١)</sup>	وإني لأغني مقام الفتى

وهي شنينة أعرفها من أخزم، فبشار بن برد يفخر بأصله العجمي، ولعل هذه شعوبية بغیضة من بشار بن برد، كما أنه يعترف بالفسق، أو الفجور أمام الخليفة، وهو موقف عجيب، لا يستطيعه أحد، ولعل

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣٦/٢

إحنة: ثار، العلم: الجبل، أنف: قمة، عامر: قبيلة عربية، قریش العجم: يشير إلى أصله الفارسي في فارس كقریش في العرب، أصبي: أجعلها تميل إلى الصبا، وروى: بهم جنة، بدلا من: لهم جنة، وروى: نمت في الكرام بنى عامر.

ذلك الفجور كان سببا فى نهى الخليفة اياه عن الغزل الماجن الذى اعتاده بشار.

وهذا الشعر أيضا فخر بالنفس، والقبيلة، والأصل أمام الخليفة، وهو مقام لا يصلح فيه الفخر، وإنما مدح الخليفة، ومع ذلك سمع الخليفة هذا الفخر، ورضى به، مما يدل على إعلائه قيمة فن الشعر بصفة عامة.

\*\*\*

روى أن بشار بن برد لما أنشد:

لا يؤيسنك من مخبأة      قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مباشرة      والصعب يمكن بعدما جمحا

بلغ ذلك الخليفة المهدي، فغاضه، وقال: يحرض النساء على

الفجور، ويسهل السبيل إليه.

فقال له خاله يزيد بن منصور الحميري: يا أمير المؤمنين، قد فتن

النساء بشعره، وأى امرأة لا تصبو إلى مثل قوله:

عجبت فطمة من نعتى لها      هل يجيد النعت مكفوف البصر

بنت عشر وثلاث قسمت      بين غصن وكثيب وقمر

درة بحرية مكنونة      مازها التاجر من بين الدرر

أنرت الدمع وقالت ويلتى      من ولوع الكف ركاب الخطر

أقبلت فى خلوة تضر بها      واعتراها كجنون مستعر

بأبى والله ما أحسنه  
دمع عين غسل الكحل قطر  
أيها النوام هبوا ويحكم  
وسلوني اليوم ما طعم السهر<sup>(١)</sup>  
فأمره الخليفة المهدي أن لا يتغزل، فقال بشار أشعرا في ذلك منها  
قوله:

يا منظرا حسنا رأيتَه  
من وجه جارية فديتَه  
لمعت إلى تسومنى  
ثوب الشباب وقد طويتَه  
والله رب محمد  
ما إن غدرت ولا نويتَه  
أمسكت عنك وربما  
عرض البلاء وما ابتغيتَه  
إن الخليفة قد أبى  
وإذا أبى شيئا أبيتَه  
ويشوفنى بيت الحبيب  
ب إذا غدوت وأين بيتَه  
قام الخليفة دونَه  
فصبرت عنه وما قلبتَه  
ونهاى الملك الهما  
م عن النساء فما عصيتَه  
لا بل وفيت ولم أضع  
عهدا ولا رأيا رأيتَه<sup>(٢)</sup>

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣٢/٢-١٣٣

فاطمة: فاطمة، وحذفت الألف لضرورة الوزن الشعري، نعتى: وصفى، كثيب: مجتمع  
الرمل، درة: لؤلؤة، بحرية: منسوبة إلى البحر، مكنونة: مستورة، مازها: ميزها،  
أذرت: سافت، ويلتى: هلاكى، ولوع: مبالغة من الولع، ركاب: مبالغة من الركوب،  
أقبلت: أى الأم، اعترأها: أصابها، مستعر: شديد، بأبى: أى أفديه، قطر: نزل، النوام:  
جمع نائم، ويحكم: هلاككم.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣٣/٢

جارية: فتاة، فديته: أى جعل نفسه فداء له، لمعت: برقت، تسومنى: تسامونى، طويتَه:  
فرغت من الشباب، عرض: ظهر، ابتغيه: رعبته، الخليفة: أى المهدي العباسى،  
يشوفنى: اشتاق إليه، أو يشاق إلى، غدوت: سرت صباحا، وأين بيته: استقام



وقال بشار أيضا:

والله لولا الخليفة ما  
قد عشت بين الندمان والرا  
ثم نهاني المهدي فانصرفت  
وقال بشار أيضا:

أفنيت عمرى وتقضى الشباب  
فالآن شفعت إمام الهدى  
لهوت حتى راعنى داعيا  
ليبك ليبيك هجرت الصبا  
أبصرت رشدى وتركت المنى  
يا حامد القول ولم يبله  
الفاعل أولى بثناء الفتى  
دع قول واء وانتظر فعله  
إذا غدا المهدي فى جنده  
بدا لك المعروف فى وجهه  
بين الحميا والجوارى العذاب  
وربما طببت لحب وطاب  
صوت أمير المؤمنين المجاب  
ونام عذالى ومات العتاب  
وربما ذلك لهن الرقاب  
سبقت بالسيل مساك السحاب  
ما جاءه من خطأ أو صواب  
يثنى على اللقحة ما فى الحلاب  
وراح فى آل الرسول الغضاب  
كالظلم يجرى فى الثنايا العذاب<sup>(١)</sup>

للاستبعاد، قام دونه: أى حبيه، قلى: أبغض، الملك: أى المهدي، الهمام: الشجاع ذو  
الهمة العالية.

(١) زهر الأدب وثمر الألباب ١٣٣/٢-١٣٤

الضيم: الظلم، شجن: حزن، الندمان: المشارك فى الشراب، الراح: الخمر، والمزهر:  
آلة موسيقية، المهدي: الخليفة العباسي، اللقن: الملقن، أو الحافظ، الحميا: الخمر،  
الجوارى: جمع جارية، وهى الفتاة، العذاب: جمع عذبة، إمام الهدى: الخليفة المهدي،

وهذا موقف طيب يحسب للخليفة المهدي، وخاله، إذ هما يريان أن الفن له دور في المجتمع، ولا بد أن يكون الفن بانياً، لا هادماً، فالهدم لا يفيد، والبناء يعلى من قيمة الفن، ويرفع من شأن الشاعر الذي ينشد هذا الفن، وإذا كان الفن قد أباح لنفسه أن يفسد المجتمع، ويذهب بالأخلاق فلا كان هذا الفن.

لذا نهى الخليفة المهدي بشار بن برد عن الغزل الذي يحرض على الفساد، طالما لم يحترم عقيدة المجتمع، ومبادئه، وأخلاقه. ومن عجب أن بشار بن برد يحتال على الغزل، ويتغزل بهذه الطريقة، وإن كان يعلن فيها أنه انتهى عن الغزل بنهي الإمام إياه، لكنه على كل حال قد تغزل، وذلك لحاجة في نفس بشار.

\*\*\*

روى أن المهدي الخليفة العباسي خرج متصيداً فسمع رجلاً يتغنى بالقصيدة التي أنشدتها أبو العتاهية في عمر بن العلاء ومنها:

يا من تفرد بالجمال فما ترى      عيني على أحد سواه جمالا  
أكثرت في قولي عليك من الرقي      وضربت في شعري لك الأمثالا  
فأبيت إلا جفوة وقطيعة      وأبيت إلا نخوة ودلالا

---

طبت: سعدت نفسي، المجاب: بصيغة اسم المفعول، الصبا: بكسر الصاد، فتوة الشباب، عذالي: جمع عاذل، وهو اللاتم، واء: واعد، من الوأي، وهو الوعد، اللقحة: الفاقة، الحلاب: أي الحلب، أو الحليب، وهو اللبن، الظلم: بفتح ظاء المشددة، وسكون اللام، الديق، الثايبا: جمع ثنية: الأسنان في مقدم الفم.

بإله قولى إن سألتك واصدقى      أوجدت قتلى فى الكتاب حلالا  
أم لا ففيم جفوتتى وظلمتتى      وجعلتتى للعالمين نكالا  
كم لائم لو كنت أسمع قوله      قد لامنى ونهى وعد وقال<sup>(١)</sup>  
فقال المهدي: على به.

فجاءه الرجل، فقال المهدي: لمن هذا الشعر؟

قال الرجل: لإسماعيل بن القاسم أبى العتاهية.

فقال المهدي: لمن يقوله؟

قال الرجل لعتبة جارية المهدي.

قال المهدي: كذبت، لو كانت جاريتى لوهبتها له.

وكانت عتبة لريطة بنت أبى العباس السفاح، وكان أبو العتاهية قد  
بلغ من أمرها كل مبلغ، وكل ذلك تصنع، وتخلق، ليذكر بذلك.

\*\*\*

وروى أن يزيد حوراء المغنى قال: كلمنى أبو العتاهية، أن أكلم له

المهدي الخليفة العباسى، فى عتبه، فقلت: إن الكلام لا يمكننى، ولكن

قل شعرا أغنيه إياه.

فقال أبو العتاهية:

---

(١) زهر الأدب وثمر اللباب ٤١/٢-٤٢

الرقى: جمع رقية، الكتاب القرآن الكريم، جفوتتى: قطعتى، نكال: تنكيل وتمثيل، عد:  
عدد.

نفسى بشئ من الدنيا معلقة      الله والقائم المهدي يكفيها  
 ابى لأياس منها ثم يطمعنى      فيها إحتقارك للدنيا وما فيها<sup>(١)</sup>  
 فعملت فيه لحنا وغنيته المهدي.  
 فقال المهدي: لمن هذا؟  
 فأخبره يزيد حوراء المغنى خبر أبى العتاهية.  
 فقال المهدي: ننظر فى أمره.  
 فأخبر يزيد أبا العتاهية بذلك فمكث أشهرا، ثم أتاه، فقال: هل حدث  
 خبر؟  
 فقال يزيد: لا.  
 فقال أبو العتاهية: غنه بهذا الشعر.  
 لبت شعري ما عندكم لبت شعري      إنما آخر الجواب لأمر  
 ما جواب أولى بكل جميل      من جواب يرد من بعد شهر<sup>(٢)</sup>  
 فغنى يزيد به المهدي، فقال المهدي: على بعتبة، فأحضرت.  
 فقال المهدي: إن أبا العتاهية كلمنى فيك وعندى لك، وله ما تحبان.  
 فقالت عتبة: قد علم مولاى أمير المؤمنين ما أوجبه من حق ملائى،  
 فأريد أن أذكر لها ذلك.

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٤٢/٢؛  
 القائم: أى القائم بأمر المسلمين، يقصد الخليفة المهدي.  
 (٢) زهر الأداب وثمر الألباب ٤٢/٢  
 آخر: بالبناء للمجهول، يرد بالبناء للمجهول.

فقال المهدي: فافعلى.

فأعلم يزيد أبا العتاهية بما جرى، ومضت الأيام، فسأل أبو العتاهية  
يزيد معاودة المهدي.

فقال يزيد لأبي العتاهية: قد عرفت الطريق فقل ما سئنت، حتى  
أغنيه.

فقال أبو العتاهية:

أشربت قلبى من رجائك ماله      عنق إليك يحب بى ورسيم  
وأملت نحو سماء صوبك ناظرى      أرعى مخايل برقها وأشيم  
ولقد تتسمت الرياح لحاجتى      وإذا لها من راحيتك نسيم  
ولربما استيأست ثم أقول لا      إن الذى ضمن النجاح كريم<sup>(١)</sup>

فغنيت المهدي بالشعر، فقال: على بعتبة.

فأنت، فقال المهدي: ما صنعت؟

قالت عتبة: ذكرت ذلك لمولاتى، فأبتة، وكرهته، فليفعل أمير  
المؤمنين ما يريد.

فقال المهدي: ما كنت لأفعل شيئاً تكرهه.

فأعلم يزيد المغنى أبا العتاهية بذلك، فقال أبو العتاهية:

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٤٣/٢

عنق، ورسيم: من أنواع السير، يخبك من الخبيب، وهو ضرب من السير، صوب: مطر، ناظرى: عيني، مخايل: جمع مخيلة، أشيم: أنظر، راحة: باطن اليد، عنق: بفتح العين والنون.

قطعت منك حبال الأمال وأرحت من جلى ومن شر حالى  
ما كان أشأم إذ رجاوك قادنى وبنات وعدك يعتلجن ببالى  
ولئن طمعت الرب برق خلب مالت بذى طمع وبرقة آل (١)

\*\*\*

وروى أن المهدي الخليفة العباسي ضرب أبا العتاهية مائة سوط،  
ونفاه إلى الكوفة لقوله في عتبه:

ألا إن ظبياً للخليفة صادى ومالى على ظبى الخليفة من عدوى (٢)  
وقال المهدي: أبى يتمرس، ولحرمى يتعرض، وبنسائى يعبث، ونفاه  
إلى الكوفة.

فكان أبو العتاهية بالكوفة، لما نفى، يذكر عتبه، ويكنى باسمها، فمن  
ذلك قوله:

قل لمن لست أسمى بأبى أنت وأمى  
بأبى أنت لقد أصـ بحت من أكبر همى  
ولقد قلت لأهلى إذ أذاب الحب لحمى

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٤٢/٢-٤٣

قطعت: بتشديد الطاء، حبال: جمع حبال، وهى شرك الصائد، حل: بكسر الحاء،  
إقامة، ترحال: ترحل وتقلن، يعتلجن: يضطربن، بالى: خاطرى، برق خلب: هو الذى  
لا يعقب مطراً، أو مالا مطر فيه، مالت به: خدعته، آل: مراب.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ٤٣/١

ظبياً: يقصد عتبه، يصورها بالظبى، عدوى: من ينصفه عليه، بمقى: مرضى، قل:  
الخطاب لكل سامع، لست أسمى: يقصد عتبه جارية الخليفة المهدي، روى ببغداد:  
يقصد عند عتبه فى بغداد، وفى الكوفة جسمى، حيث نفاه الخلية

وَأرَادُوا لِي طَيِّبًا      فَاكْتَفُوا مِنِّي بَعْلَمِي  
مَنْ يَكُنْ يَجْهَلُ مَا أَلِـ      قَى إِنْ الْحُبُّ سَقَمِي  
إِنْ رُوحِي لِيْبَغْدَا      دَوْفِي الْكُوفَةَ جَسْمِي

وقوله:

أَمْسَى بِيْغْدَادَ طَبِي لَسْتُ أَذْكَرُهُ      إِلَّا بِكَيْتِ إِذَا مَا ذَكَرُهُ خَطْرًا  
إِنْ الْمَحْبُ إِذَا شَطَطَتْ مَنَازِلُهُ      عَنِ الْحَبِيبِ بَكِي أَوْحُنْ أَوْ ذَكَرًا  
يَارِبُ لَيْلٍ طَوِيلٍ بَتِ أَرْقَبُهُ      حَتَّى أَضَاءَ عَمُودَ الصَّبْحِ فَانْفَجْرًا  
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ إِلَّا مَذْ عَرَفْتَكُمْ      أَنْ الْمَضَاجِعَ مِمَّا يَنْبِ الْإِبْرًا  
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحَسَابِ عَلِي      عَيْنِ الشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفْرًا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وروى أن عتبة لما قدمت بغداد قدم معها أبو العتاهية، وتلطف، حتى اتصن بهارون الرشيد، في خلافة أبيه المهدي الخليفة العباسي، وتمكن منه، وبلغ المهدي خبره، فأحضره. فقال المهدي: يا بئس، أنت مستقتل، وسأله المهدي عن حاله، فأنشده أبو العتاهية قصيدته التي يقول فيها:

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٤٤/١

طبي: غزال، يقصد عتبة، شطت: بعدت، انفجر: أى ظهر، المضاجع: جمع مضجع، اسم مكان، وهو مكان النوم، مما ينبت الإبر: يقصد أن مضجعه لا يسمح له بالنوم، يوم الحساب: يوم القيامة، ويضرب به المثل في الطول، الشجي: الحزين، نفرك فر وهرب، أو بعد.

أنت المقابل والمداد  
بين العمومة والخسوة  
فإذا انتميت إلى أبي—  
وإذا انتمى خال فما  
بد في المناسبات والعديد  
لة والأبوة والجدود  
ك فأنت في المجد المشيد  
خال بأكرم من يزيد

يريد يزيد بن المنصور، وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحميري.

وأشده أبو العتاهية:

علم العالم أن المنايا  
فإذا وجهتها نحو طاع  
ولو أن الريح بارتك يوما  
وأشده أيضا:

سامعات لك فيمن عصاكا  
رجعت ترعف منه قناكا  
في سماح قصرت عن نداكا<sup>(١)</sup>

أنته الخلافة منقادة  
فلم تك تصلح إلا له  
ولو رامها أحد غيره  
ولو لم تطعه بنات القلوب

إليه تجرر أذيالها  
ولم يك يصلح إلا لها  
لزلزلت الأرض زلزالها  
لما قبل الله أعمالها<sup>(٢)</sup>

(١) زهر الأدب وثمر الأبياب ٤٤/١؛

المشيد: المبني أو المعلن المناسبات: جمع منسب، بمعنى النسب، العديد: العدد الكثير، المنايا: جمع منية، بمعنى الموت، ترعف: تسيل دما، قناكا، القنا: جمع قناة، بفتح القاف فيهما ولو أن: تسهل الهمة لضرورة الوزن الشعري، الريح: في الأصل الرياح، والتصويب لموافقة الوزن الشعري، الندى: الكرم.

(٢) زهر الأدب وثمر الأبياب ٤٤/١-٤٥؛



فقال له المهدي: إن شئت أدبناك بضرب وجيع، لإقدامك على ما نهيت عنه، وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا، وإن شئت عفونا عنك فقط.

فقال أبو العتاهية: بل يضيف أمير المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه، ومكرمتان أكثر من واحدة، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمته، وأتم كرمه.

فأمر له المهدي بثلاثين ألف درهم وعفا عنه.

فالمهدي الخليفة لما سمع الرجل يتغنى بهذا الغزل الرقيق لأبي العتاهية الشاعر أعجب بهذا الغزل، لأنه ليس فيه إفحاش، وإنما هي مشاعر رائعة، ومعان جميلة، وأفكار مبتكرة في فن الغزل، والوصف بالجمال إلى حد عمل الرقي خوفا من الحاسد، وذكر الجفوة والقطيعة، وقتله الذي يحرمه الكتاب، أي القرآن الكريم، وهو معنى مبتكر جميل، وذكر اللاتمين وعذلمهم. لذا طرب المهدي لهذا الشعر، وسأل عن التي يتغزل فيها أبو العتاهية، فلما عرف أنها عتبة جاريته قال: لو كانت جاريتي لوهبتها له، إعجابا بشعره.

والرواية الثانية توضح أن يزيد حوراء المغنى هو الذي أسمع المهدي شعر أبي العتاهية، حين غناه بشعر أبي العتاهية الذي ذكر فيه تعلق نفسه بشئ من متاع الدنيا لا يكفيه إياه إلا الله تعالى،

---

منقادة: ذليلة، رامها: قصدها، زلزلت الأرض زلزالها: اقتباس من القرآن الكريم.

والخليفة المهدي، وأنه ييأس من ذلك، لكنه يطمعه احتقار المهدي الدنيا وما فيها.

ثم غناه يزيد حوراء بشعر أبي العتاهية الذي يتعجب فيه لتأخر الجواب على تنفيذ وعد الخليفة بالنظر في أمر أبي العتاهية، وعتبة جارية المهدي.

ثم غنى يزيد حوراء مرة ثالثة المهدي بشعر أبي العتاهية الذي يوضح فيه رجاءه، وأمله، ويأسه، وطمعه في كرم المهدي الذي ضمن نجاح ما ينبغي، وهو كريم في هذا الضمان، فسوف يلبيه.

فاستشار المهدي عتبة جاريته، لكنها رجته أن تبلغ مولاتها، ورفض مولاتها هذا الأمر، فلما علم أبو العتاهية أنشد شعرا في الزهد في الدنيا وثمت رواية أخرى تقول: إن المهدي ضرب أبا العتاهية مائة سوط، ونفاه إلى الكوفة لتغزله في عتبة، فكان أبو العتاهية يتغزل في عتبة، لكنه لا يذكر اسمها، وإنما يكنى عن اسمها، من مثل قوله: من لست اسمي، وقوله: أمسى ببغداد ظبي لست أذكره، وذلك انقفاء الخليفة المهدي، حتى لا يصرح باسم عتبة جاريته.

وثمت رواية ثالثة تبين أن أبا العتاهية اتصل بهارون الرشيد في خلافة أبيه المهدي، فاستدعاه المهدي، وسأله عن حاله، فمدح أبو العتاهية المهدي بعدة قصائد فيها مبالغات في المدح، لكن المهدي

خيرهُ بين الضرب لأنه أقدم على ما نهاه عنه، وبين منحه ثلاثين ألف درهم جائزة على المدح، وبين العفو عنه. فرغب أبو العتاهية في اثنتين: الجائزة، والعفو، ففعل المهدي. وذلك الحدث قد وقع بين الخليفة المهدي، وشاعر، هو أبو العتاهية، وذلك دليل على قيمة الشعر عند الخليفة المهدي.

\*\*\*

روى أن أبا دلامة الشاعر خرج مع الخليفة المهدي في مصاد لهم، فعن لهم ظبي، فرماه المهدي، فأصابه، ورمى على بن سلمان، فأخطأ وأصاب الكلب، فضحك المهدي، وقال لأبي دلامة: قل شعرا في هذه الواقعة:  
فقال أبو دلامة:

شك بالسهم فؤاده	قد رمى المهدي ظبيا
ن رمى كلبا فصاده	وعلى بن سليمان
ل امرئ يأكل زاده <sup>(١)</sup>	فهنيئا لهما كل

وأبو دلامة الشاعر قد عرف في شعره بهذه الطرافة، والتلمح، والمداعبة، والخليفة المهدي يعرف ذلك في أبي دلامة، ومن ثم أمر أبا دلامة أن ينشده شعرا في واقعة الصيد هذه، لأن في الواقعة نفسها

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٩٣-٣٩٤  
رمى: يقصد بالسهم، شك: وجأ، زاده طعامه.

طرافة، والمهدى انخيفة يعرف أن أبا دلامة سيذكر ضرفة في شعره في هذه الواقعة خاصة، ليمتحن أبا دلامة من ناحية. وليتسنى بالشعر من ناحية ثانية.

فلما أنشد أبو دلامة هذه الأبيات وجد المهدى بغيته، وقد ذكر أبو دلامة الواقعة التي حدثت كما هي في بيته الأولين، ثم أتى بالطرفة في بيته الثالث، وهي أن كل صائد يأكل صيده، فالمهدى صاد الظبي، وعلى بن سليمان صاد الكلب، فهنيئا لكل منهما أكل ما صاده.

وما كان أبو دلامة يجراً على مثل هذا القول إلا بتسجيع الخليفة المهدي، فهو يريد أن يسنى انخيفة، ويضحكه، وفي سبيل هذا الغرض يهون الأمر.

\*\*\*

روى أن أبا دلامة الشاعر دخل على الخليفة المهدي، وعنده وزيره محمد بن الجهم، وكان المهدي يستقله، فقال المهدي لأبي دلامة: والله لا تبرح مكانك، حتى تهجو أحد الثلاثة.

فهم أبو دلامة بهجاء ابن الجهم، ثم خاف شره، فرأى أن هجاء نفسه أقل ضرراً عليه، فقال:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة      فليس من الكرام ولا كرامه  
إذا لبس العمامة كان قرداً      وخنزيراً إذا وضع العمامه

وإن لبس العمامة كان فيها كثر لا تفارقه الكمامة<sup>(١)</sup>  
وهذه الرواية أيضا من قبيل الدعابة والطفرة كالرواية السابقة، فحين  
اجتمع الثلاثة: الخليفة، ووزيره، وشاعره، أمر الخليفة الشاعر أبا  
دلامة أن يهجو أحد الثلاثة في المجلس، فهل يهجو أبو دلامة الخليفة  
أو الوزير؟

ولما فكر أبو دلامة في الخلاص من هذا المأزق اتجه إلى هجاء  
نفسه، إذ هو أقل ضررا عليه من هجاء جلسية.  
والخليفة المهدي يقصد إيقاع أبي دلامة في هذا المأزق، ليرى كيف  
يتخلص أبو دلامة منه، وقد أحسن أبو دلامة فعلا التخلص بهجاء  
نفسه، وكانت طرفه وملحة ضحك لها المهدي كثيرا، وأثابه عليها.

\*\*\*

وروى أن مروان بن حفصة قال: دخلت على الخليفة المهدي،  
فاستشديني، فأنشدته الشعر الذي أقول فيه:

طرفتكَ زائرة فحي خيالها      بيضاء تخط بالحباء دلالها

قامت فؤادك فاستقاد ومثلها      قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

حتى انتهيت إلى قولى:

شهدت من الأنفال أخر أبة      بترائهم فأردتمو ليطالها

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٩٤

وضع: خلع، الكمامة: بكسر الكاف، ما يكم به فم البعير يمنعه الرعى.

أو تجحدون مقالة من ربكم      جبريل بلغها النبي فقالها  
هل تطمسون من السماء نجومها      بأكفكم أو تسترون هلالها<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قال مروان بن أبي حفصة، وأنشدت الرشيد أيضا شعري الذي أقول  
فيه:

يا ابن الذي ورث النبي محمدا      دون الأقارب من ذوى الأرحام  
الوحي بين بنى البنات وبينكم      قطع الخصام فلات حين خصام  
ما للنساء مع الرجال فريضة      نزلت بذلك سورة الأنعام  
أنى يكون وليس ذاك بكائن      لبنى البنات وراثة الأعمام  
ألغى سهامهم الكتاب فحاولوا      أن يشرعوا فيها بغير سهام  
ظفرت بنو ساقى الحجيج بحقهم      وغررتمو بتوهم الأحلام<sup>(٢)</sup>

(١) العقد الفريد ١/٣٥٩-٣٢٦٠، شعر مروان بن أبي حفصة ص ٩٦  
زائرة: يقصد صاحبه على الغزل، دلالتها: التلمح، قادت: ساقى، الصبا بكسر الصاد  
المشددة، الشباب، الأنفال: سورة الأنفال، وهي السورة الثامنة فى القرآن الكريم على  
ترتيب المصحف، آخر آية: يقصد قول الله تعالى: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض  
فى كتاب الله، تراثهم: إرثهم، يجحد: ينكر، فأردتم: تنطق: فأردتمو لضرورة الوزن  
الشعري، طرق: زار وألم، استفاد: خضع وغنقاد، الصبا: جهل الفتوة واللهم.

(٢) العقد الفريد ١/٣٦٠، شعر مروان بن أبي حفصة ص ١٠٤  
الذى ورث النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، يقصد العباس بن عبدالمطلب عمه، ذوو  
أرحام: يقصد أولاد فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، ورضى الله تعالى عنهما،  
وهم أبناء على بن أبي طالب رضى الله عنه، بنى البنات: يقصد أبناء فاطمة من  
العلويين، بينكم: يقصد العباسيين، الخصام: المخاصمة، النساء: يقصد فاطمة،  
والرجال يقصد العباس، الأنعام: السورة السادسة فى القرآن الكريم على ترتيب  
المصحف، بنى البنات: يقصد أبناء فاطمة، الأعمام: يقصد العباس، سهامهم: نصيبهم

قال مروان بن أبي حفصة: فلما أنشدت الخليفة المهدي الشعرين قال: وجب عطاؤك على هؤلاء، وكان عنده جماعة من أهل بيته، قد أمرت لك بثلاثين ألفاً، وفرضت على موسى الهادي خمسة آلاف، وعلى هارون الرشيد مثلها، وعلى علي أربعة آلاف، وعلى العباس كذا، فحسبت سبعين ألفاً.

قال مروان بن أبي حفصة: فأمر بالثلاثين ألفاً، فأتى بها، ثم قال: اعد علي هؤلاء، وخذ ما فرضت لك.

فأتيت موسى الهادي، فأمر بخمسة آلاف، وأتيت هارون الرشيد فأمر بمثلها، وأتيت علياً، قال: قصر بي دون إخوتي، فلن أقصر بنفسى، فأمر لي بخمسة آلاف، فأخذت من الباقيين سبعين ألفاً<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية تؤكد أن الشعراء كانوا يدخلون على الخلفاء، ليمدحوهم، فلما دخل مروان بن أبي حفصة على الخليفة المهدي عرف المهدي أنه قدم لينشده مدحة له، فاستنشه المهدي.

فأنشده مروان بن أبي حفصة شعراً سياسياً، فيه إثبات حق العباسيين في الخلافة، والرد على العلويين في إدعاء الخلافة، وهو شعر يصادف هوى في نفوس العباسيين، وخاصة الخليفة.

---

في الميراث، الكتاب: القرآن الكريم، بنو ساقى الحجيج: يقصد العباسيين، وذلك للقيام بأمر سقاية الحاج، شرع: أخذ، لات حين خصام: ليس وقف الخلاف  
(١) العقد الفريد ١/٣٦٠

والرواية أيضا تؤكد أن مروان بن أبي حفصة قد أنشد الرشيد بن المهدي قصيدة أخرى، تمثل الإتجاه نفسه، وهو الشعر السياسي، الذي يؤكد حق العباسيين في الخلافة، وينتصر لهم، ويدافع عن قضيتهم، وحقهم، وإقامة الحجة على العلويين، وتفنيد دعواهم في حقهم في الخلافة.

وهنا كانت الأريحية من الخليفة المهدي، إذ أوجب عطاء مروان بن أبي حفصة على جلسائه من أهل بيته، ففرض على كل واحد منهم عطاء لمروان الشاعر.

وكان عطاء المهدي الخليفة لمروان بن أبي حفصة سخيا بلغ سبعين ألف درهم، وهو عطاء يقابل ما قاله مروان في تعضيد الخلافة العباسية، وتلك قضية تبين انتماء الشاعر لبني العباس، وهي قضية عول الخلفاء عليها كثيرا، وكانت لهم في هذه القضية مواقف مشهودة، ومشهورة مع الشعراء وغيرهم.

\*\*\*

وروى صاحب الأغاني أيضا: قال مروان: دخلت على الخليفة المهدي في قصر السلام، فلما سلمت عليه، وذلك عقب سخطه على يعقوب بن داود، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن يعقوب رجل رافضي، وإنه سمعني أقول في الوراثة:

أنى يكون وليس ذاك بكائن      لبنى البنات وراثة الأعمام



فذلك الذى حمّله على عداوتى، ثم أنشدته:

كان أمير المؤمنين محمداً لرافته بالناس للناس والسد  
على أنه من خالف الحق منهم سقته يد الموت الحتوف للرواصد<sup>(١)</sup>  
فقال له الخليفة المهدي: والله، ما أعطيك إلا من صلب مالى،  
فاعذرنى، وأمر لى بثلاثين ألف درهم، وكسانى جبة، ومطرفاً،  
وفرض لى على أهل بيته، ومواليه ثلاثين ألفاً أخرى.

هذه الرواية نجح فيها مروان بن أبى حفصة فى الوصول إلى قلب  
الخليفة، بعد ما أثاره ضد يعقوب بن داود وزير المهدي، إذ وشى به  
عن الخليفة بأنه رافضى، ضاق من مروان حين دافع بشعره عن حق  
العباسيين فى الخلافة، ونفى حق العلويين فيها.

ثم أنشد مروان بن أبى حفصة الخليفة المهدي قصيدة مدح، وهنا نجح  
مروان بن أبى حفصة فى استمالة قلب المهدي، ومنحه مكافأة سخية،  
وفرض له مكافأة أخرى على أهل بيته.

وأنا أرى أن الخليفة منح الشاعر هذه المنح، لأنه أظهر ميوله ناحية  
العباسيين، ودافع عن حقهم فى الخلافة، واحتج لهم ضد العلويين،  
وكان من شعراء العباسيين، فاستحق المكافأة منهم.

---

(١) مهذب الأغاني ٨١/٩-٨٢، شعر مروان بن أبى حفصة ص ٣٨  
أنى: للاستبعاد، لبني النسات: يقصد أولاد فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم،  
ورضى الله عنها، الأعمام: يقصد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، ورضى الله  
عنه، وحمد: يقصد الخليفة المهدي، الحتوف: المهالك، الرواصد: جمع راصد.

\*\*\*

وروى صاحب الأغاني أن مروان بن أبي حفصة دخل على المهدي  
الخليفة العباسي، فأنشده مديحا فيه، فقال له المهدي: ألسنت القائل، في  
معن بن زائدة، وكان معن قد توفى:

أقمنا باليمامة بعد معن      مقاما لا يزيد به زوالا  
وقلنا أين نرحل بعد معن      وقد ذهب النوال فلا نوالا<sup>(١)</sup>

قد ذهب النوال، فيما زعمت، فلم جئت تطلب نوالنا، لاشئ لك عندنا.  
فلما كان من العام المقبل تلطف، حتى دخل مع الشعراء، وإنما كانت  
للشعراء تدخل على الخلفاء كل عام مرة، فمثل بين يديه، وأنشد بعد  
رابع، أو خامس من الشعراء:

طرقتك زائرة فحي خيالها      بيضاء تخلط بالجمال دلالتها  
ومنها:

أحيا أمير المؤمنين محمد      سنن النبي حرامها وحلالها  
ملك تفرغ نبعة من هاشم      مد الإله على الأنام ظللها  
جبل لأمته تلوذ بركنه      رادى جبال عدوها فأزالها  
لم يغشها مما يخاف عظيمة      إلا أجال لها الأمور مجالها  
حتى يفرجها أعز مهذب      ألقى أباه مفرجا أمثالها

(١) مهذب الأغاني ٨٠/٩، شعر مروان بن أبي حفصة ص ٨٣  
زوالا: مفارقة، النوال: العطاء.

ثبت على زلل الحوادث راكب  
كلتا يديك جعلت فضل نوالها  
وقعت مواقعها بعفوك أنفس  
ومنها:

رفع الخليفة ناظري وراشني  
وحسدت حتى قيل أصبح باغيا  
ولقد حنوت لمن أطاع ومن عصى  
نعلنا ورثت عن النبي مثالها<sup>(١)</sup>

فزحف المهدي من صدر مصلاه، حتى صار على البساط، إعجابا  
بما سمع، ثم قال: كم هي؟  
قال مروان: مائة بيت.

فامر المهدي لمروان بمائة ألف درهم، فكانت أول مائة ألف درهم  
أعطيتها شاعر في أيام بنى العباس.

(١) مهذب الأغاني ٨٠/٩-٨١

محمد: الأمين الخليفة العباسي، نبعة: شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال، الأنام: الخلق، تلوذ: تلجا، أجال: حرك، أغر: ذو الفرة، أوجال: جمع وجل، وهي المخاوف، راشني: أمدي، أو أحاطني وأعطاني، حرامها وحلالها: التحريم والتحليل للحرام والحلال، رادي: فاني، أجال لها الأمور مجالها: وضع الأمور في نصابها، الثبت: الفارس الشجاع، الصرف: التغيير، النوال: العطاء، الوبال: الهلاك، الباغي: الجائر، المسترف: المنعم، الشيمة: الطبيعة والخلق، المختال: المتكبر المتبختر، والبيت الأخير يعني أنه اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله.

هذه الرواية تكشف عن قيمة الشعر، ودوره في الحياة، كما تكشف عن منزلته كفن سائر، يعرف بين الناس، وينتشر في المجتمع، ليعلى من مكانة الممد وحين.

فقد مدح مروان بن أبي حفصة الخليفة المهدي، لكن المهدي رد عليه بأنه مدح أحد الولاة بمدح يفهم منه أن النوال قد ذهب بذهاب الممدوح، فلم جاء مروان الشاعر يطلب نوال المهدي؟

لذا لم ينل المهدي مروان بن أبي حفصة شيئاً، قائلاً له: لا شيء لك عندنا.

فلما كان العام التالي دخل مروان بن أبي حفصة الشاعر على الخليفة المهدي، وأنشده قصيدة مدح، أعجبت المهدي، حتى زحف من صدر مصلاه، ومنح الشاعر ألف درهم على كل بيت من الشعر، وكانت أول مائة ألف درهم أعطيت لشاعر في عصر بني العباس. وتلك القصة تبين لنا إلى حد كبير قيمة الشعر في بلاط العباسيين.

\*\*\*

وروى أن عبداً بن مالك الخزاعي دخل على الخليفة المهدي، وعنده ابن دأب، وقيل: المفضل الضبي، وهو ينشد قول الشماخ بن ضرار الأسدي:

واشعت قد قد السفر قميصه      يجر شواء بالعصا غير منضج  
دعوت إلى ما نابني فأجابني      كريم من الفتيان غير مزلاج

فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه ويضرب فى رأس الكمى المدجج  
فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة ولا فى بيوت الحى بالمتولج<sup>(١)</sup>  
فرفع المهدي الخليفة العباسى رأسه إلى عبدالله بن مالك الخزاعى،  
وقال: هذه صفتك أبا العباس:

فقال ابن مالك: بك نلتها يا أمير المؤمنين.

فضحك المهدي إلى ابن مالك، وقال: هل تتشد من الشعر شيئا؟

قال ابن مالك: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال المهدي: فأنشدنى.

فأنشده ابن مالك قول السموع:

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

---

(١) العقد الفريد ٢٨٨/١، ديوان الشماخ بن ضرار الزبياني ص ٨٠-٨٢  
أشعث: المغبر الشعر، رث الثياب مختل الأمر من العمل أو السفر، قد قطع، السفار:  
السفر، أى رب أشعث شقت كثرة السفر، وكثرة العمل لرفقانه ثوبه، وجر الشواء مما  
أعان على تمزيق ثيابه، غير منضج للتسرع فى الإطعام، دعوت إلى ما نابنى:  
استغثت به، مزلاج: لثيم، ما نابنى: أى من حدثان الدهر، وقيل: المزلاج: البخيل،  
والناقص المروءة، الشيزى: خشب أسود تتخذ منه القصاع، ويطلق على الجفان التى  
تسوى منه، ويروى سنان، أى سنان رمحه من دماء الأعداء يصفه بالكرم، والشجاعة،  
الكمى المدجج: القرن التام السلاح، الكمى بعين الصحاب، وهو لا يرضى بأدنى  
المقتن، وأدون المعيشتين، ولا يداخل البيوت القريبة، ولا يخالط النساء للرنية، يضعه  
بالعفة، والجد، وصيانة النفس، وارتفاع الهمة عما يزيل الحشمة، ويدنس المروءة،  
ولكنه يطلب معالى الأمور، منضج، مزلاج، المدجج بصيغة اسم المفعول، المتولج:  
بصيغة اسم الفاعل، شواء: بكسر الشين، وضمها، اللحم المشوى، السفار: مرفوعة،  
وقميصة منصوبة، كريم: مرفوعة، الشيزى: بكسر الشين المشددة، يروى: رباعى،  
من أروى.

وإن هو لم يحمل على النفس ضيماً  
 إذا المرء أعيته المروءة يافعاً  
 تعيرنا أنا قليلاً عديداً  
 وما ضرنا أنا قليلاً وجارناً  
 ونحن أناس لا نرى القتل سبة  
 يقرب حب الموت أجالنا لنا  
 وما مات منا سيد حتف أنفه  
 تسيل على حد السيوف نفوسنا  
 وننكر إن شئنا على الناس قولهم  
 فنحن كماء المزن ما في نصابنا  
 وأسيفنا في كل شرق ومغرب  
 فليس إلى حسن الثناء سبيل  
 فمطلبها كهلاً عليه تقيل  
 فقلت لها إن الكرام قليل  
 عزيز وجار الأكثرين ذليل  
 إذا ما رأته عامر وسلول  
 وتكرهه أجالهم فتطول  
 ولا طل منا حيث كان قتيل  
 وليست على غير السيوف تسيل  
 ولا ينكرون القول حين نقول  
 كهام ولا فينا يعد بخيـل  
 بها من قراع الدارين فلول<sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد ٢٨٨/١-٢٨٩، الروائع من الأدب العربي ١٨٣/١-١٨٥  
 العرضن بكسر العين، وسكون الراء، كل ما يدافع عنه الإنسان، وعرضه هنا  
 مرفوعة، يدنس من دنس الثلاثي، فهي مفتوحة ياء المضارعة، اللوم: كلمة جامعة  
 لخصال السوء، الضيم: بفتح الضاد المشددة، وسكون الياء، الظلم والهواء، والمقصود  
 إهانة النفس طلباً للحق، واكتساباً للمجد، المروءة: الشرف، يافعاً: شاباً، العديد: العدد،  
 غير بتشديد الياء المفتوحة، عد عاراً، ما: حرف نفي، فالمعنى: لم يضرنا، أو اسم  
 استفهام على طريق التقرير، والمعنى: أي شئ يضرنا؟ سبة: بضم السين، وفتح الباء،  
 ما يجب به الإنسان، عامر وسلول: قبيلتان، حب: مرفوعة، أجالنا: منصوبة، أجالهم  
 مرفوعة، مات حتف أنفه: أي على فراشه، وأصلحه: حتفه بأنفه، أي بالأنفاس التي  
 خرجت من أنفه عند خروج الروح، وليس دفعة واحدة كما يحدث عند القتل، وطل  
 دمه: بالبناء للمفعول: أي ذهب هدراً دون أن يثار له، نفوسنا: بالرفع، قولهم:  
 بالنقيض، المزن: السحاب، الكهام: بفتح الكاف، الكيل الحد الضعيف، قراع: نزال

فقال الخليفة المهدي: أحسنت، اجلس، بهذا بلغتكم، سل حاجتك.  
قال عبدالله بن مالك يا أمير المؤمنين، تكتب لي في العطاء ثلاثين رجلا من أهلي.

قال المهدي: نعم، فرض علي إذا وعدت.

فقال ابن مالك: يا أمير المؤمنين، إنك متمكن من القدرة، وليس دونك حاجز عن الفعل، فما معنى العدة؟

فنظر المهدي إلى ابن دأب، كأنه يريد منه كلا ما في فضل الموعد.  
فقال ابن داب.

حلاوة الفعل بوعد ينجز لا خير في العرف كنهب ينهز  
فضحك المهدي، وقال:

الفعل أحسن ما يـكـو ن إذا تقدمه ضمـان<sup>(١)</sup>

وهذه الرواية تدل على عدة أمور:

- إن الخليفة المهدي العباسي كان حديثه في مجلسه الشعر القديم،  
لذا أنشده جليسا شعرا للشماخ بن ضرار الأسدي، والسموعل بن  
عاديا، مما يدل على ثقافته بالشعر القديم، واعتداده به، وأن  
الخلفاء من أنصار مدرسة المحافظين في الشعر، تبعا لمؤدبيهم

---

و حرب، الدار عيـن: الذين يلبسون الدروع خوفا من الطعنات، القلول: ما يكون في  
السيف من تثليم، بسبب كثرة الاستخدام، وشدة الضرب.

(١) العقد الفريد ١/٢٨٧-٢٨٩

ينجز، وينهز: بالبناء للمجهول.

من علماء اللغة، ورواة الأدب، ونقدته، لذا أنشده جليسا شعرا للشماخ، والسموئل، ولم ينشده شعرا لشاعر محدث، أو مولد من شعراء العصر العباسي الأول، أو القرن الثاني الهجري الذي كان زمن هذه الروية.

- إن الخليفة المهدي سأل جليسه الأول: هل تتشد من الشعر شيئا، فلما أجابه بالإثبات، طلب منه أن ينشده، ونظر إلى جليسه الثاني، كأنه يريد منه شعرا في فضل الموعد، فأنشده شعرا في هذا المعنى المقصود، وكان الخليفة العباسي لا يرتاح، ولا يهدأ له بال، حتى يجد من الشعر ما يمثل الحال التي يريد، وكان الشعر هو الغاية التي يريد أن يبلغها الخليفة في جلساته، ومع جلساته، وكان جليس الخليفة لا بد أن يكون مؤهلا بالشعر، الذي هو الأداة التي تولى صاحبها في مجلس الخليفة، وفي هذا تقدير للشعر والشعراء في البلاط العباسي من الخلفاء أنفسهم.

- إن الخليفة المهدي أنشد الشعر أيضا في المجلس، ومعنى ذلك أنه يحفظ الشعر القديم، أو يحفظ جانبا عريضا منه، وأنه يملك موهبة قرض الشعر، إذ يستطيع أن يقرض الشعر في أي موضوع يعرض عليه.

- إن هذه الرواية دليل على القيمة العظيمة للشعر، والتقدير لمكانة الشعراء في العصر العباسي.



- إن جليس الخليفة على الرواية الأولى هو ابن دأب، وعلى الرواية الثانية هو المفضل الضبي، ولعل معرفتنا بهما تدلنا على مجلس الخليفة، وما كان يتخذ من موضوعات في حديثه مع جلسائه، فموضوعاته كانت تتعلق باللغة، والأدب، وخاصة الشعر، فهو ديوان العرب.
- إن الخليفة المهدي كان ذا بصر بالشعر، فقد فهم قصيدة الشماخ، ولعلها لم تعرض عليه لأول مرة، فربما يكون قد قرأها على أيدي المؤدبين من علماء اللغة، ورواة الشعر، لذا خاطب جليسه بقوله: هذه صفتك.
- إن شعر الشماخ فيه مدح بالصفات التي تعلق من شأن الممدوحين في الشعر القديم، فقد مدح بمدح ممدوحيه بالكرم، والقيام على أمر الضيفان، والشجاعة، والإقدام، والجرأة، والقوة، وسمو المكانة، والحياء، والشعر الذي يؤدي هذه المعاني مما يرضى الخلفاء العباسيين من أنصار مدرسة الشعر القديم.
- إن ابن مالك أنشد الخليفة شعر السموعل الذي يحض على مكارم الأخلاق، وينهى عن اللؤم، والضميم، ويحض على المروءة، ومطلبها، ويفتخر بالشجاعة، والعزة، وحماية الجار، والموت دفاعاً عن الحمى، والموت قتلاً، والثأر لقتلاهم، وعلو الكلمة، والكرم، وهي كلها صفات تستحق أن تقال في مجلس الخليفة، لذا

فقد احسن ابن مالك اختيار الشعر الذي ينشده في مجلس الخليفة المهدي.

- إن الخليفة سعد بهذ الشعر، لذا أمره أن يسأل حاجته، كما أمر ابن دأب أن ينشده شعرا آخر، وانشد الخليفة نفسه شعرا، فصارت الجلسة كلها للشعر القديم، يتمثل به الخليفة وجلساؤه في المجلس الأدبي، أو المنتدى الأدبي، إن صح التعبير.

- إن الخليفة اشترك في هذه الجلسة بالإستماع إلى شعر للشماخ، وشعر آخر للسموع، وشعر تمثل به ابن دأب، كما اشترك بإنشاء شعر أراد أن يدعم به شعر ابن دأب، أو يأتي بأحسن من المعنى الذي سمعه من ابن دأب، وقد نجح في ذلك، مما يدل على بصيرة نافذة في الشعر، وعلم به، وحفظ للشعر القديم، والتمثل به في موضوعات شتى.

\*\*\*

وروى أن المهدي الخليفة وعد عيسى بن دأب جارية، ثم وهبها له، فأنشده عبدالله بن مصعب الزبيري معرضا بقول مضرس الأسدي:  
فلا تياس من صالح أن تناله      وإن كان قدما بين أيد تبارره  
فضحك الخليفة المهدي، وقال: ادفعوا إلى عبدالله جارية أخرى.  
فقال عبدالله بن مصعب:

أنجز خير الناس قبل وعده      أراح من مطل وطول كده

فقال ابن دأب: ما قلت شيئاً، هلا قلت:

حلاوة الفضل بوعد ينجز لا خير في العرف كنهب ينهز

فقال المهدي:

الوعد أحسن ما يـكـو ن إذا تقدمه ضمان<sup>(١)</sup>

هذه الرواية تكشف عن مباراة بين المهدي الخليفة وجلسائه، فقد وهب المهدي ابن دأب جارية بعد ما وعده إياها، فلما أنشده ابن مصعب بيتاً من الشعر أمر المهدي له بجارية أيضاً، فأنشده ابن مصعب بيتاً آخر من الشعر يبين أن إنجاز الوعد من قبل الوعد كرم عظيم، وإراحة من المطل، وطول الكد.

وهنا تدخل ابن دأب ليبين فكرته، وهي أن حلاوة الفعل بالوعد الذي ينجز، ذكر ذلك في بيت من الشعر.

وهنا تدخل المهدي مبينا رأيه في بيت شعر يبين أن الوعد أحسن ما يكون إذا تقدمه ضمان.

فكانت جلسة أدب، ونقد، وشعر تبارى فيها المهدي الخليفة وجلسائه في إنشاء الشعر وبيان أفكارهم تجاه معنى معين.

\*\*\*

---

(١) زهر الأدب وثمر الألباب ٣٦/٢

قدماً: قديماً، تبادره: تتبادر إليه، وتسرع، أنجز: نفذ، مطل: خلف الوعد، وتسويف تنفيذ، كد: تعب.

روى أن جارية من جوارى المهدي أهدت إليه تفاحة مطيبة، وكتبت فيها:

هدية منى إلى المهدي      تفاحة تقطف من خدى  
محمرة مصفرة طيبت      كأنها من جنة الخلد

فأجابها المهدي:

تفاحة من عند تفاحة      جاءت فماذا صنعت بالفؤاد  
والله ما أدري أبصرتها      يقظان أم أبصرتها في الرقاد<sup>(١)</sup>

فالجارية تجرأت بشعرها الذي أنشدته المهدي، مما يدل على صولة الشعر في بلاط المهدي، ويدل على أن الجوارى كن يعملن، ويهذبن، ويتقنن الثقافة الأدبية، والبصر بالشعر العربي، ومعرفة أوزان الشعر، حتى إنها في شعرها قد كتبت بيتين فيهما وصف، وتصوير لا يخلو من براعة، وطرافة، واطلاع على الشعر العربي.

وقد أجابها المهدي ببيتين من الشعر فيهما تصوير جميل، ومعنى مبتكر، فقد أنشدت الجارية شعرا على البديهة، وأجابها الخليفة بشعر على البديهة أيضا.

ولعلنا نتصور فارق المكانة بين الخليفة وجاريته، لكن الأمر الذي اشتهر فيه معا هو قول الشعر، وشتان بين القائلين، لكنه الفن الجميل الذي ينظر النقاد إليه منفردا، وليس لمكانة قائله.

(١) العقد الفريد ٤/٢٧٥



# الفصل الرابع

الشعر في عصر الخلفاء

١٧٩ - ١٧٠ هـ



الهادى، ١٦٩هـ - ١٧٠ هـ الخليفة العباسى الرابع، وهو أبو الخليفة المهدي، وأخو الخليفة الرشيد، وهو أبو محمد موسى الهادى بن المهدي، بويع بالخلافة مستهل صفر سنة تسع وستين ومائة، وتوفى ليلة الجمعة، لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكانت خلافته سنة وشهرين إلا أياماً<sup>(١)</sup> ووزر له الربيع واستحجب الفضل بن الربيع وولى القضاء أبا يوسف يعقوب.



روى أن الخليفة الهادى كان لا يأذن لأحد من الشعراء مدة أيام خلافته، ولا يرغب فى الشعر، ولا يلتفت إليه.

فلما قال أبو الخطاب البهلى رائيته المشهورة سأل أحد جلساء الهادى، فأوصل القصيدة إلى الهادى، فلما سمعها أعجب بها شديداً، وقال للحاجب: اخرج إلى الباب، فمر من ينادى: أين نصابة الأسد؟ ففعل الحاجب ذلك، فلما سمع أبو الخطاب البهلى الشاعر ذلك علم أن شعره قد وصل وعمل عمله، والشعراء مجتمعون، فقال: هانذا، وأخذ الحاجب بيده، وأدخله على الخليفة الهادى، فقال له الخليفة: هات، أنشدنا، فأنشده أبو الخطاب البهلى قصيدته الرائية.

فأستحسنها الخليفة الهادى، وأعجب بها، وأمر فى ذلك اليوم ألا يحجب عنه شاعر، وأن يعلموا أن أبا الخطاب البهلى الشاعر كان

---

(١) العقد الفريد ٣/١٠٣



السبب في ذلك، وأمر لأبي الخطاب الشاعر بألف دينار، وكساه،  
وحمله.

والقصيدة مشهورة، وهي هذه:

قل للخليفة موسى إن نائله  
متوج بالهدى بالحمد ملتحف  
موسى الذى بذل للمعروف ينهبه  
أشم تميمه أباء ججاجحة  
لن يؤمن للناس من لم يؤمنوا أبدا  
لا يكسر الناس ما شدوا جبائره  
أنت الدعامه يا موسى إذا احتتمت  
وإن غضبت فما فى الناس من بشر  
ما مخدر خدر مستأسد أسد  
ببالغ عشر عشر من شجاعته  
بل أنت أجرا منه فى تقدمه  
بل لو يلاقيك أضحى لليث من فرق  
يا خير من عقدت كفاه حجزته  
إلا النبى رسول الله إن له

جزل هنى وما فى سيبه كدر  
مسربل بالندى بالمجد منتزر  
فى للناس فالجود من كفيه ينهمر  
شم الأنوف على ما نابهم صبروا  
والله يؤمن من لووا ومن نصروا  
وليس يجبر طول لدهر من كسروا  
نيرانها وحماة الحرب تجتزر  
إلا على خطر ما مثله خطر  
ضبارم خادر ذو صولة زئر  
إذا تنازلت الأبطال واشتجروا  
وأنت أقدم منه حين يجتثر  
وخيفة منك لاقى يومه القدر  
وخير من قلده أمرها مضر  
فضلا وأنت بذاك الفضل تفتخر<sup>(١)</sup>

(١) طبقات الشعراء لبين المعتر من ١٢٢-١٢٤

والقصيدة مدح للخليفة الهادي، وقد مدحه بصفات منها كثرة نواله،  
وعطاياه، ووصفه بالهدى، والحمد، والكرم، والمجد، والشمم  
والشجاعة، والقوة، والجرأة، والفضل، والاعتراف بفضل النبي صلى  
الله عليه وسلم.

وهذا المدح جعل الخليفة الهادي يتراجع عن موقفه السلبي تجاه  
الشعر والشعراء إلى موقف آخر، وهو سماع شعر الشعراء، وإثابتهم  
على الشعر.

\*\*\*

وروى أن أبا الخطاب عمر بن عامر السعدي، المعروف بابي الأسد،  
لما أنشد موسى الهادي شعرا مدحه به، يقول فيه:  
يا خير من عقدت كفاه حجزته      وخير من قلده أمرها مضر  
فقال له الهادي: إلا من، يا بئس؟

---

موسى: هو اسم الخليفة الهادي، نائله: عطاؤه، جزل: كثيرن هني: سائغ لذيذ، السيب:  
المعروف والعطاء، كدر: تكدير، متوج: الهدى موضوع فوق رأسه، ملتحف: جعل له  
الحمد لحافا، وغطاء، مسربل: جعل له الكرم سربالا، متزر: جعل له المجد إزارا،  
متوج، مسربل، متزر: بصيغة اسم المفعول، ملتحف: بصيغة اسم الفاعل، ينيبه:  
يملكه، ينهمر: ينزل بغزارة، أشم: فيه شمم، وهي الكبرياء والكرامة، تنمية: تعلق  
نسبه، ججاجحة: ججاج، بفتح الجيم، وهو السيد، وشم الأنوف: من الشمم، وهو  
إرتفاع في قصبه الأنف مع استواء أعلاه، أةى: لجأ، جبانر: جمع جبيرة، من الجبر،  
وهو لأم الكسر أو التقوية، الدعامة: كل شئ يدعم ويقوى غيره، تجتزر: تذبح، مخدر،  
خدر، خادر: من صفات الأسد ومعناها مقيم في خدره، أى عرينه، ضبارم: الأسد،  
مستاسد: قوى شجاع، ذو صولة: شديد، زئر: شديد الزار والزئير مما يدل على عنفه،  
اشتجروا: تشاجروا، يجتري: أى يجترئ، من الجرأة، حجزته: أى حجزه الإزار، وهي  
معددة، وحجزه السراويل: التي فيها التكة.

فقال أبو الخطاب واصلا كلامه، ولم يقطعه:

إلا النبي رسول الله إن له فخرا وأنت بذاك الفخر تفتخر  
ففظن موسى الهادى ومن بحضرته أن البيت مستدرك، ونظروا فى  
الصحيفة، فلم يجدوه، فضاغف المهدي صلة أبى الخطاب.  
وهو ارتجال فيه انهمار وتدقق لا يتوقف فيه قائله، كما قال ابن  
رشيقي<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية تدل على فهم دقيق وعميق من الهادى للشعر، وهو فهم  
وصل إلى حد أنه يسير مع معنى الشعر، ويصوبه، ويستدرك على  
الشعراء بعض المعانى، وهى ملكة نقدية عالية فى بابها.

\*\*\*

روى أنه أتى موسى الهادى برجل، فجعل يقرعه بذنوبه، فقال: يا  
أمير، إن اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك، وإقرارى به يلزمنى  
ذنبا لم أجنه ولكن أقول:

فإن كنت ترجو فى العقوبة راحة فلا ترهّن عند المعافاة فى الأجر<sup>(٢)</sup>

---

(١) العمدة ١٦٥/١

(٢) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٣٠/١

المعافاة: العفو.

فالرجل قد أتى ببيت شعر يعبر فيه لمن حاله تماما، كما يراة. قائلا  
للخليفة: إن كنت ترجو راحة في العقوبة، فلا تزهدن في الأجر عند  
العفو عن العقوبة.

ومخاطبة الشاعر الخليفة الهادي بالشعر دليل على أنه يعرف عنه أنه  
يعلم الشعر، ويطرب له، ويستجيب، فهو يعرض حاله أمام خليفة  
يقدر هذا الشعر.

\*\*\*

روى أنه وصف سيف عمرو بن معد يكرب، الذي يقال له  
الصمصامة، لموسى الهادي، العباسي، وكان قد اشتراه بمان جنين،  
فغابه. فوضع بين يديه مجردا، ثم قال لحاجبه: ائذن للشعراء.  
فما دخلوا، أمرهم أن يقولوا فيه، فبدرهم ابن يامين، فقال:

حاز صمصامة الزبيدي عمرو	من جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا	خير ما أهدت عليه الجفون
أخضر المتز بين حديه نور	من فرند تمتد فيه العيون
يستظر الأبصار كالقيس المشـ	عل ما تستقر فيه العيون
أوقدت فيه الصواعق نارا	ثم شابت به الزعاف القيون
فبذا، ما سلته بهر الشمـ	س ضياء فلم تكـد تستبين
فكان الفرند والرونق الجا	رى فى صفحتيه ماء معين
وكز المنون نيطت إليه	فهو من كل جانبه منون

نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهيب — جاء يسطو به ونعم القرين  
ما يبالى من انتضاء لضرب أشمال سطت به أم يمين<sup>(١)</sup>  
فأمر له ببدره، وخرجوا.

وروى أن الهادى الخليفة قال له: أصبت والله ما فى نفسى، واستخفه  
السرور، فأمر له بالمكئل، والسيف.

فلما خرج ابن يامين من عند المأمون قال للشعراء: إنما حرمتم من  
أجلى، فشانكم والمكئل، فى السيف غناء، فاشترى السيف بماء  
جزيل<sup>(٢)</sup>.

وهذه الرواية تدل على أن الخليفة الهادى لم يهدأ من إعجابه بالسيف،  
حتى أذن للشعراء أن يدخلوا عليه، ويقولوا فى السيف شعرا، وكأنه  
يسود أن يسجل معالم السيف عن طريق الشعر، فهو ديوان العرب،  
مما يدل على قيمة الشعر فى هذا العصر.

---

(١) المقد الفريد ٢١٠-٢١٢، وفيات الأعيان ٣٠٤/٢، ديوان المعانى ٥٢/٢  
الصمصامة: سيف لعمر بن معديكرب الزبيدى، وهبه لسعيد بن العاص، فتوالته  
ولده إلى أن اشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل، حاز: ملك، الأنام: الخلق، الجفون:  
الأغماد، أخضر المتن: لون الحديد، نور: يقصد البريق، فهو مصقول، فرند: سيف،  
يستطير الأبصار: لا تثبت عليه للمعانه، وبريقه، وصقله، شابت: خلطت، القيون:  
جمع قين، وهو الحداد، ويروى شاطت، وساطت: بمعنى خلطت، ويروى: الذباج،  
وهو نبت قاتل، سللته: أخرجته من غمده، ورفعته، يصف فرنده، ورونقه وحسنه  
بالماء، وذلك لصقله، المنون: جمع منية، وهى الموت، نيطت إليه: ارتبطت به،  
وتعلقت، مخراق: لعبة للصبيان، الهيجاء: الحرب، القرين: الملازم، انتضى السيف:  
خرج من الغمد، أو شهر.

(٢) وفيات الأعيان ٣٠٤/٢

- والعجيب أن الشاعر لما وصف السيف أعجب ذلك الوصف الخليفة الهادي، ووقع في نفسه موقعا عظيما، وصادف هواه، حتى إنه قد رد عليه قائلا: أصبت، والله، ما في نفسي، واستخفه السرور. كما تقول الرواية، فأمر له بالمكثل، والسيف.
- وذلك يدل على إعجابه بالشعر أكثر من إعجابه بالسيف، مما يؤكد قيمة الشعر، ومكانة الشعراء عند الخلفاء العباسيين.
- واللافت النظر أن الشاعر انشد هذا الشعر على البديهة، مما يدل على أن الشعراء قد بلغوا حدا بعيدا من الإجابة في هذا الفن الجميل، حتى إذا احتيج أن ينشدوا الشعر في أي وقت، وفي أي موضوع أنشدوا.
- كذلك وجدنا الشعراء على باب الخليفة، فلما أراد أن يصف السيف أمر الحاجب أن يأذن للشعراء في الدخول إلى مجلسه، لينشدوه الشعر، فوجدهم الحاجب، فدخلوا على الخليفة، وأنشدوه ما أراد من الشعر.
- وهذه الرواية تدل أيضا على مكانة الشعراء في البلاط العباسي، حتى إنهم ليدخلون على الخليفة، وينشدونه الشعر، وينالون منه الجوائز، وهذه مكانة عالية للشعر، وتقدير كبير للشعراء.
- أكاد أزعم أن الهدف الذي كان من وراء دعوة الهادي الشعراء أن يصفوا السيف ليس الإعجاب بالسيف فحسب، وإنما الهدف أن

يوفر موضوعا جيدا، يصلح أن يكون مادة للشعر، وفكرة يتنافس الشعراء في التعبير عنها بأساليب مختلفة، من الألفاظ والمعاني، فكان غرض الهادي هو الشعر، وليس وصف السيف، وما وصف السيف إلا الموضوع الذي يتنافس في التعبير عنه الشعراء.

- إن الشعراء قد اجتمعوا على باب الهادي الخليفة العباسي، لعلمهم أنهم يحتاج إليهم، ولو أنهم علموا أنهم لا يحتاج إليهم ما وقفوا على باب الخليفة، وهذه عادة الشعراء في العصر العباسي، كما استقرأنا النصوص، والروايات التي رويت عن مجالس الخلفاء، ومناظرات الشعراء، أن يقفوا على أبواب الخلفاء، وأن يرجعوا مظفرين فائزين بالجوائز، والهبات، والعطايا، والصلوات.

- وليس غريبا أيضا أن يقرض الشاعر شعرا على البديهة، ويحيى هذا الشعر على هذه الدرجة العالية، من الجودة، وحسن التعبير، وروعة الألفاظ، وجمال المعنى، والوفاء بالغرض، وما ذلك إلا اثر ثقافة الشعراء، وصقلهم مواهبهم، وتمكنهم من قرائحهم، ومعرفتهم اللغوية والأدبية التي تكون خير معين لهم، عندما يراد منه إنشاد الشعر في موضوع من الموضوعات.

- وفي هذه الرواية دلالة على كثرة الشعراء الذين يستطيعون إجادة القول في الموضوعات المختلفة على البديهة، لأن كلا منهم

معرض أن يقف موقفاً، يثبت به شاعريته، وتفوقه، وما كثرة الشعراء إلا دلالة على أن للشعر دولته، وصولته في عصر بني العباس، فكان الشعر متكسبا عظيماً للشعراء، مما دفع الكثير إلى أن يتقن هذا الفن الجميل، الذي يخلد ذكره على مر التاريخ، ويكسبه في حياته مجداً، وشهرة، ومالا وفيراً، ومجالسة للخلفاء، وهي أعظم مكانة في ذلك العصر، وفي كل عصر.

\*\*\*

وروى أن محمد بن يزيد خرج مع موسى الهادي الخليفة العباسي، من جرجان.

فقال الهادي لمحمد بن يزيد: إما أن تحملني، وإما أن أحملك.

ففهم محمد بن يزيد ما أراد الهادي، فأنشده أبيات ابن صرمة الأنصاري، وهي:

فأوصيكم بالله أول وهلة وأحسابكم والبر بالله أول  
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهمو وإن كنتمو أهل السيادة فاعدلوا  
وإن أنتمو أعوزتمو فتعففوا وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا<sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد ٢٦٦/١

ابن صرمة هو أبو قيس صرمة بن أنس بن صرمة، من بني النجار، وكان قد تهرب في الجاهلية، وفارق الأوثان، حتى قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم، وحسن إسلامه، وكان معظماً لله سبحانه وتعالى في جاهليته، يقول في ذلك أشعاراً منها هذه الأبيات، ويروى البيت الأول هكذا: فأوصيكم بالله بالبر والتقوى، أعوزتم: يروى أمعزتم، وأمعر: افتقر ويروى: أمعزتم: أي أصابتكم شدة، فضل: زيادة، وهلة: لحظة،



وإن نزلت إحدى النواهي بقومكم      فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا  
وإن طلبوا عرفا فلا تحرموهم      وما حملوكم في الملمات فاحملوا<sup>(١)</sup>  
فأمر الخليفة الهادي لمحمد بن يزيد بعشرين ألف درهم.

- فالخليفة الهادي هنا أراد أن ينشد شعرا، أو ينشده رفيقه شعرا، فهو يريد أن يكون تفكّحه بالشعر. مما يدل على مكانة الشعر عنده، وعلى ثقافته، وبصره بالشعر، لأنه يريد سماع الشعر، أو إنشاد الشعر أي يريد أن يكون الشعر هو المقرب بينه وبين مرافقيه.

ومعنى ذلك أنه تلقى تعليمه، وعنى بتأديبه كوكبة من علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقدته، فهو تلميذ لأعلام اللغة والأدب في عصره، مما يجعله محبا للشعر إلى هذا الحد الذي يطلب فيه إنشاد الشعر.

وقد منح رفيقه عشرين ألف درهم نظير إنشاده شعرا ليس له، وإنما لشاعر قديم، وذلك دليل على ثقافته التي عنى بها، وهي الثقافة التي تتخذ من التراث، والشعر القديم منهاجا، ومقياسا،

---

أو برهة، الأحساب: الأصول والأنساب، أعوزتم: افتقرتم واحتجتم، أفضلوا: تفضلوا بمنح الفضل.

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية، ٣٦٨/١  
الدواهي: جمع الداهية، العشيرة: الأهل، عرفا: معروفا، الملمات: جمع لممة، وهي النازلة، أو الداهية، أو ما سُم وينزل، احنوا: أي تحملوا عنهم.

وميزانا للحكم على الشعر القديم، والتي كان لها دور فى الوقوف ضد المحدثين، أو المولدين من الشعراء، والتي اتخذت من اللون القديم للشعر نموذجا صالحا للشعر الذى يجب أن يسمعه الخلفاء، والتي اتهمت بالتعصب للقديم ضد المحدث من الشعر والشعراء، وجعلت من الزمن مقياسا للجودة والرداءة فى الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى، وما بعده.

- إن رفيق الخليفة فى رحلته كان ذا بعد فى الشعر، مما يدل على رغبة الخلفاء فى مجالسة الأدباء، ورواة الشعر، ونقدته، ليكون الشعر حديثهم فى المجالس، والرحلات، والمسائرات، مما يدل على قيمة الشعر التى بلغها فى ذلك العصر الذى صار فيه الشعر وعضا للخلفاء، وسمرا، وتاديبا وتهذيبا، وتعلينا، ودراية، وثقافة، أى صار الشعر هو اللون الغالب للثقافة العالية فى مجالس الخلفاء.

- إن رفيق الخليفة قد اختار قطعة أدبية من قصيدة جميلة، فيها نصائح قيمة، ولعل الاختيار لهذه القصيدة يمثل ما أراد رفيق الخليفة أن يقوله له، لكنه اختاره من الشعر القديم الذى يروق للخليفة، وهذا الاختيار يدل على ذوق، وثقافة، وبصر بالشعر.

\*\*\*

روى أن الخليفة الهادي حين يذكر ما سفكه بنو أمية من دماء بنى هاشم تشتمل عليه الهموم والأحزان، ويجفوه النوم، فلا يهدأ ولا يستريح، حتى يتقدم إليه ابن دأب، يبته شجونه، فيهون عليه ابن دأب بذكر من قتل من بنى أمية، على يدى عبدالله بن على، على نهر الفطرس. ومن قتل منهم على يدى عبدالصمد بن على، أو داود بن على، حين قتل منهم من قتل.

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها أخذى بثأرى من بنى مروان  
ومن آل حرب لیت شیخی شاهد سفكى دماء بنى أبى سفيان<sup>(١)</sup>  
فيعود للهادي سروره، وتنبسط نفسه، وتظهر منه أريحيته.

فهذه الرواية تؤكد تأثير الشعر فى الخليفة الهادي، حتى إنه لينشده ابن دأب ما أنشده عبدالله بن على، أو داود بن على، فيهون عليه همومه وأحزانه، ويرجع إلى نفسه الهدوء، والراحة، ويعود إليه سروره، وتنبسط نفسه، وتظهر منه أريحيته، حين يسمع إنشاد ابن دأب بشعر عبدالله، أو داود ابنى على العباس الذى يقول فيه: لقد شفى نفسى أخذى بالثأر من الأمويين، من بنى مروان، وآل حرب،

---

(١) مروح الذهب ٢٥٨/٢

شفى نفسه: أى من الغضب، أبرأ سقمها: شافها من المرض، من بنى مروان: أى من الأمويين المروانيين: عبدالملك بن مروان، وأولاده، آل حرب: معاوية بن أبى سفيان بن حرب وأولاده، شیخی: يقصد انعباس بن عبدالمطلب، وربما أراد شيخ العلويين، شاهد: حاضر.

ويتمنى أن يكون شيخه شاهد سفكه دماء بنى أبي سفيان بن حرب،  
ثأرا وإنتقاما من الأمويين.

وذلك دليل على تأثير الشعر الشديد على الخليفة الهادي، حتى إن  
الشعر ليزيل حنقه، وغضبه على الأمويين، ويذكره بالتأثر منهم على  
يد بنى العباس.

وهو من قبيل الشعر السياسي الذي يزكى نيران الصراع بين  
العباسين والأمويين.



# الفصل الخامس

الشعر في عصر الرشيد

١٧٠ - ١٩٣ هـ



هارون الرشيد، ١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ، هو أبو محمد هارون الرشيد، أخو الخليفة الهادي، وابن الخليفة المهدي، بويع في اليوم الذي توفي فيه أخوه الهادي، يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وفي هذه الليلة ولد المأمون، الخليفة السابع، وتوفي فيها الهادي، الخليفة الرابع، وقام فيها الرشيد، الخليفة الخامس، ولم يكن في سائر الزمان ليلة مثلها، وتوفي الرشيد في جمادى الأولى، سنة ثلاث وتسعين ومائة، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة، وشهراً، وستة عشر يوماً، أنجب محمد الأمين، الخليفة السادس من زوجته زبيدة، أمة العزيز، أم الواحد، ابنة أبي جعفر المنصور، كما أنجب عبدالله المأمون الخليفة السابع، من زوجته مارجل الفارسية، كما أنجب محمد المعتصم، الخليفة الثامن، من زوجته ماردة التركية، ووزر له جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، وقتله، ثم الفضل بن الربيع، واستحجب محمد بن خالد بن برمك<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

أرى أن الرشيد قد تهيأت في مدة خلافته أسباب، جعلت الشعر تعلق بمنزلته، وترتفع قيمته، لأن الدولة قد أسست، وأقيمت دعائمها، وكان

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٠-٣٠١



للرشيد من فراغ البال، وسعة الثراء، وكثرة الغنى فى دولته ما يسمح له أن ينظر إلى الشعراء، وشعرهم، وأن يثيب الشعراء أعلى إثابة. كما كان الرشيد بحرا فيأضاً يفيض على العلماء ولقهاء من أمثال الأصمعي، والكسائي، وأبى يوسف، والأطباء من مثل جبرائيل بن نجيشوع، فيقال إنه صار إليه فى عهده ما يزيد على أربعة ملايين من الدراهم<sup>(١)</sup>. وقد طرب الرشيد يوماً لغناء محارق، فأقطعه ضيعةً وداراً. ووصله بثلاثة آلاف دينار.

وكان للرشيد زهاء ألفى جارية من المغنيات والخدمة فى الشراب<sup>(٢)</sup>. أما صلته لمغنيه الأثير عنده، وهو إبراهيم الموصلى، فيقال: إنها تجاوزت مائتى ألف دينار<sup>(٣)</sup>.

وروى أن ما كان يحمل إلى بيت المال فى عهد الرشيد سنة سبعة آلاف وخمسمائة قنطار<sup>(٤)</sup>.

وقيل: مات هارون الرشيد وفى بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيف<sup>(٥)</sup>. وقد بنى الرشيد قصراً على نهر دجلة يسمع منه غناء الملاحين<sup>(٦)</sup>.

(١) عيون الأخبار ٨٥/١

(٢) الأغاني ٨٨/٩

(٣) الأغاني ١٩٢/٥

(٤) مقدمة ابن خلدون

(٥) صبح الأعشى ١٧١/٢

(٦) حضارة الإسلام فى دار السلام ص ١٠٠، تاريخ بغداد ٧٥/١

وبلغت أعطيات الرشيد في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حين  
قدمها، ومعه ابنه: الأمين والمأمون ألف ألف دينار وخمسين ألف  
دينار، غير ما فرضه في تلك السنة خمسمائة من وجوه المدينة<sup>(١)</sup>.  
وقد أسرف الرشيد في تشجيع الغناء، وجلس في مجالسه، وافتتن به،  
وطرب له، وخرج به الطرب عن الحد أحيانا<sup>(٢)</sup>.  
ويروى أن الرشيد هو الذي طلب إلى إبراهيم وإسماعيل بن جامع،  
وفليح بن أبي العوراء أن يختاروا له الأصوات المائة التي أدار أبو  
الفرج الأصفهاني، فيما بعد، كتاب الأغاني عليها.  
ويروى أنه لم يجتمع على باب خليفة من العلماء، والشعراء،  
والفقهاء، والقراء، والقضاة، والكتاب، والندماء، والمغنين، ما اجتمع  
على باب الرشيد، وكل يصل كل واحد منهم أجزل صلة، ويرفعه إلى  
أعلى درجة<sup>(٣)</sup>.  
وقد قيل عن الرشيد: إن الطهارة كانوا يطهون له ثلاثين لونا من  
الطعام في اليوم، وإنه كان ينفق على طعامه عشرة آلاف درهم في  
اليوم.

---

(١) تاريخ الطبري ١٠/١٢٣  
(٢) الأغاني ٥/٤٠  
(٣) كتاب التاج للجاحظ ص ٢٧، الفخرى ص ١٧٧-١٧٨

وروى أن الرشيد استكثر هو وزوجته زبيدة من الجوارى والإماء حتى قيل: إنه كان عند كل منهما زهاء ألفين في أحسن زى من الثياب والجواهر<sup>(١)</sup>.

وروى المسعودى أن إبراهيم بن المهدي استزار الرشيد بالرفة، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد، فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب إليه منها جام قريض سمك، فاستصغر القطع، وقال الرشيد لإبراهيم بن المهدي: لم صغر طبأخك في تقطيع السمك؟

فقال إبراهيم بن المهدي: هذه ألسنة السمك، يا أمير المؤمنين. قال الرشيد: فيشبه أن يكون في هذا الجام مائة لسان.

قال مراقب خادمه: يا أمير المؤمنين، فيها أكثر من مائة وخمسين. فاستحلفه الرشيد عن مبلغ ثمن السمك، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم، فرفع الرشيد يده، وحلف ألا يطعم شيئاً، دون أن يحضره مراقب ألف درهم، فلما حضر المال أمر أن يتصدق، وقال: أرجو أن يكون كفارة لسرفك في إنفاقك على جام سمك ألف درهم.

وفاق الرشيد كل من سبقه في ولوعه بالغناء والموسيقى، وأجزل العطاء للمغنين، وجعلهم مراتب وطبقات، وكذلك أهل الموسيقى<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الأغاني ١٠/١٦٢

(٢) كتاب التاج للجاحظ ص ٣٧.

وقد بلغت الدولة العباسية قمة الازدهار فى العهد الأول من عهدها، وأدركت خلافة بغداد أوج عزها بوجه عام فى الحقبة التى بدأت بولاية الخليفة الثالث: المهدي، وانتهت فى زمن الخليفة التاسع؟  
الوائق.

وبوجه خاص أيام هارون الرشيد، وابنه المأمون اللذين ألقيا على هذا العصر هالة مشوقة من النور، بحيث أصبح يعد أزهى عصور التاريخ الإسلامى على الإطلاق.

وقد لمع اسم هارون الرشيد، وأصبح كثير الشيوع فى الغرب والشرق على السواء، ولعل الكثير من هذا يرجع إلى أنه الخليفة المقصود فى قصص ألف ليلة وليلة، تلك الدراما الشيقة التى جذبت أنظار الفقير والغنى على السواء فى أوروبا وآسيا، ولكن شهرته الكبرى مستمدة من تشجيعه العلوم، ومن البهاء والروعة التى ألبسها بغداد، وجعلها أزهر مدن العالم.

وكان يسير فى موكبه العلماء، وأئمة الفقه، والشعراء، والفلاسفة، ومن الشعراء أبو العتاهية، وأبو نواس والأصمعي، وهذا مما أضفى على عهده ذلك البهاء الذى اقترن به<sup>(١)</sup>.

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٢٢٧-٢٢٨

وقد كان موالى الرشيد من البرامكة إذا كسبوا معدما، فإنما هي  
الولاية والنعمة آخر الدهر، لا العطاء الذي يستنفذه يوم أو بعض  
يوم<sup>(١)</sup>.

وكان يحيى بن خالد البرمكى إذا ركب أعد بدرا، فى كل منها مائتا  
درهم، ليعطيها لمن يلتمسون سؤاله فى الطريق.  
وقد أهدت أم جعفر زبيدة زوج الرشيد أبا يوسف الفقيه القاضى  
دراهم، ودنانير، وغلمانا، وتخوتا من ثياب، وحمارا، وبغلا.  
فقال له بعض من حضره: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من  
أهديت إليه هدية فجلساؤه شركاؤه فيها.

فقال أبو يوسف: تأولت الخبر على ظاهره، والاستحسان قد منع من  
إمضائه، ذلك إذ كان هدايا الناس التمر واللبن، لا فى هذا الوقت،  
وهدايا الناس اليوم العين والورق وغيره، وذلك فضل الله يؤتيه من  
يشاء والله ذو الفضل العظيم<sup>(٢)</sup>.

كل ذلك الثراء يدل على أن للشعراء جزءا من هذا الثراء، كما يشجع  
الشعراء على استيهاب جزء من هذه الأموال عن طريق شعرهم لدى  
خليفة يقدر الشعر ودوره، وله من كرمه وأريحيته ما يتيح له أن  
يهب الشعراء ماشاء، وماشاءوا، من أجل فنهم الشعرى الرفيع.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٩

(٢) مروج الذهب ٢/٢٦٥

\*\*\*

روى أن الفراء العالم اللغوى دخل على الرشيد يوما، فتكلم بكلام لحن فيه، فقال له الرشيد: أتلحن يا فراء؟  
قال الفراء: يا أمير المؤمنين، إن طباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطباع لحننت.  
فقبل الرشيد قوله<sup>(١)</sup>.

والشاهد أن الرشيد يراجع الفراء فى النحو، مما يدل على أن الرشيد قد بلغ مبلغا عظيما فى النحو واللغة.

\*\*\*

وروى أن الرشيد كتب فى ليلة من الليالى إلى أبى يوسف الفقيه، صاحب أبى حنيفة: أفتنا، حاطك الله فى هذه الأبيات:  
فإن ترفقى يا هند فالرفق أيمن      وإن تخرقى يا هند فالخرق أشام  
فأنت طلاق والطلاق عزيمة      ثلاثا ومن يخرق أعق وأظلم  
فقد أنشد البيت: عزيمة ثلاث، بالرفع، وعزيمة ثلاثا، بالنصب، فكم تطلق بالرفع، وكم تطلق بالنصب.

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٤١/٢-٤٢

قال أبو يوسف: فقلت في نفسي: هذه مسألة فقهية نحوية، إن قلت فيها بظني لم أمن الخطأ، وإن قلت لا أعلم قيل لي: كيف تكون قاضي القضاة، وأنت لا تعرف مثل هذا؟

ثم ذكرت أبا الحسن حمزة بن علي الكسائي معي في الشارع، فقلت: ليكن رسول الخليفة بحيث يكرم، وذهبت، فدخلت على الكسائي، وهو في فراشه، فأقرأته الرقعة، فقال لي الكسائي: خذ الدواة واكتب. أما من أنشد البيت بالرفع، فإنه طلقها واحدة، وأنبأها أن الطلاق لا يكون إلا بثلاث، ولا شيء عليه.

وأما من أنشد عزيمة ثلاثاً، بالنصب، فقد طلقها، وأبانها، لأنه قال: أنت طالق ثلاثاً.

فأنفذت الجواب، فحملت إلى آخر الليل جوائز، وصلات، فوجهت الجميع إلى الكسائي<sup>(١)</sup>.

والشاهد أن الرشيد يبحث في ضبط ألفاظ بيتين من الشعر، مما حدا به أن يكتب إلى عالم فقهى، مثل أبي يوسف، الذي عرضها بدوره علي الكسائي العالم اللغوى، فكان الجواب الذي أجاز عليه الرشيد أبا يوسف بالجوائز والصلات.

\*\*\*

---

(١) الادب العربي وتاريخه ٢/٣٠٠

روى أنه قد حضر في مجلس الرشيد الأصبغى والكسائي عالما للغة والنحو، ورواة الأدب، فسأل الرشيد عن بيت الراعي:

قتلوا ابن عفان للخليفة محرما ودعا فلم أر مثله مخذولا

فقال الكسائي: كان قد أحرم بالحج.

فضحك الأصبغى، فقال الرشيد للأصبغى: ما عندك؟

فقال الأصبغى: والله ما أحرم بالحج، ولا أراد أيضا أنه دخل في

شهر حرام، كما يقال: أشهر، وأعلم، إذا دخل في شهر، أو علم.

فقال الكسائي: ما هو إلا هذا، وإلا فما المعنى للإحرام؟

قال الأصبغى: فخبرنى عن قول عدى بن زيد:

قتلوا كسرى بليل محرما فتولى لم يمتع بكفن

أى إحرام لكسرى؟

فقال الرشيد: فما المعنى؟

قال الأصبغى: يريد أن عثمان لم يفعل شيئا يوجب تحليل دمه.

فقال الرشيد: يا أصبغى، ما تطاق في الشعر<sup>(١)</sup>.

والشاهد أن جلساء الرشيد كانوا من أمثال الأصبغى والكسائي، وذلك

له دلالة عظيمة على علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقدته، وذوق

الرشيد الفنى والأدبى واللغوى.

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٠-٣٠١



- إن الرشيد سأل الأصمعي والكسائي عن معنى بيت شعري، وعقد مناظرة بينهما، وفي ذلك إثراء لعلمه، وأدبه، وثقافته اللغوية، وذوقه الفني.
- إن الرشيد حكم في النهاية بأن الأصمعي ما يطاق في الشعر، وذلك دليل على علو كعبه في اللغة.
- إن هذه الرواية تثبت أن سمر المجالس للخليفة كان يدور حول اللغة، والشعر، والنقد.

\*\*\*

روى أن الأصمعي قال: بعث إلى الأمين، وهو ولي عهد، فصرت إليه، فقال: إن الفضل بن الربيع يحدث عن أمير المؤمنين أنه يأمر بحملك إليه، وكان بالرقعة يومئذ، فجهزت، وحملت إليه، فلما وصلت أدخلني الفضل بن الربيع على الرشيد، فإذا هو جالس منفرد، فسلمت، فاستدنانى، وأمرنى بالجلوس، فجلست.

فقال الرشيد: يا عبدالمك، وجهت إليك، بسبب جاريتين، أهديتا إلي، قد أخذنا طرفاً من الأدب، أحببت أن تبور ما عندهما، وتشير فيهما بما هو الصواب.

ثم استدعى الجاريتين، فسألت إحداهما عن حروف من القرآن، فأجابتنى، كأنها تقرأ من كتاب، وسألتها عن النحو، والعروض، والأخبار، فما قصرت، ثم سألتها: هل تقرضين الشعر؟

فاندفعت تقول:

يا غياث البلاء من كل محل ما يريد العباد إلا رضاكا  
لا من شرف الإمام وأعلى ما أطاع الإله عبد عصاكا<sup>(١)</sup>  
فقال الأصمعي، يا أمير المؤمنين، ما رأيت امرأة في مسك، أي جلد،  
رجل منها.

وسأل الأصمعي الأخرى، فوجدها دونها، وبعد حديث طويل، وسمرو  
مع الخليفة أمر الرشيد للأصمعي بمائة ألف درهم، وأمر له الفضل  
بعشرة آلاف، وأشركته الجارية الأولى في عطائها.  
والشاهد أن الجوارى في عصر الرشيد كن يعلمن الشعر العربي،  
والقرآن الكريم، والنحو، والعروض، والأخبار، وكن يقرضن الشعر،  
وكن يجلبن لقصر الخليفة بعدما يمتحن.

- إن الشعر الذي أنشدته الجارية الأولى كان مدحا للرشيد،  
فصادف هوى في نفسه.
- إن الأصمعي حكم على الجاريتين، ووافق الرشيد على هذا  
الحكم، وقد استدعى الرشيد الأصمعي لهذا الامتحان، فهو يلجأ  
إلى خبير.

---

(١) الأدب العربي وتاريخه ٣٠٣/٢-٣٠٤  
غياث: مطر، محل: جذب.

- كل ذلك يدل على أن للشعر منزلة عالية عند الرشيد، الخليفة العباسي.

\*\*\*

روى أن رجلا من بنى أمية تصدى لها رون الرشيد الخليفة العباسي،  
فأنشده:

يا أمين الله إني قائل      قول ذي فهم وعلم وأدب  
عبد شمس كان يتلوها شحا      وهما بعد لأم ولأب  
فاحفظ الأرحام فينا إنما      عبد شمس عم عبدالمطلب  
لكم الفضل علينا ولنأنا      بكم الفضل على كل العرب<sup>(١)</sup>  
فأحسن الرشيد جائزته، ووصله.

وهذه الرواية عجيبة، إذ إن القائل أموي، والخلافة العباسية قامت على أشلاء الدولة الأموية، والعباسيون يثبتون حقهم في الخلافة، ويرون أن الأمويين قد اغتصبوهم حقهم، فالنفوس فيها حنق وغضب على الأمويين، وكتب التراث تذكر كثيرا من آثار هذا الغضب، ومع ذلك فهذا الأموي الذي تصدى لها رون الرشيد، وأنشده يعلم ما في نفس الرشيد من الغضب على بنى أمية، لذا فهو يستل غضب

---

(١) العقد الفريد ٢١١/٢

أمين الله: الخليفة الرشيد، عبد شمس: جد الأمويين، هاشم: جد الهاشميين، ومنهم العباسيون، عبدالمطلب: والد العباس الذي ينسب إليه العباسيون، وهما بعد لأم ولأب: أي أصلهما واحد بع عبد شمس وهاشم في النسب.

الرشيد، باستعطافه بهذا الشعر الذى أحسن فيه الاستعطاف، فأحسن إليه الرشيد، ومن ثم فإننى أنوه بذكاء هذا الشاعر.

وقد خاطب الشاعر الرشيد: يا أمين الله، إننى قائل قول الفاهم العالم الأديب: إن عبد شمس جد الأمويين كان تالياً لهاشم جد الهاشميين، وهما بعد ذلك ينتسبان لأب واحد، وأم واحدة، فاحفظ يا أمين الله فينا الأرحام، لأن جدنا عبد شمس كان عم جد الهاشميين، عبدالمطلب بن هاشم، وأنتم، أيها الهاشميون، لكم الفضل علينا، ولنا بكم الفضل على كل العرب سواكم.

فالشاعر هنا استل سخيمة الرشيد، بأن أوضح له أن الأمويين فى الحق يتلون الهاشميين من علويين وعباسيين، وأن الأمويين بهذا لهم الفضل على باقى العرب، فقد أقر بمكانة العباسيين، وحقهم فى الخلافة، ومكانة الأمويين، وشرفهم بالعباسيين الذى يعليهم على باقى العرب، فقد صادف هوى فى نفس الرشيد، لذا أحسن الرشيد جائزته، ووصله.

فهذا الشعر من قبيل الشعر السياسى الذى يثبت حق العباسيين، ويعترف بسبقهم، ويذكر دليلاً على ذلك من العلم بالنسب، وممن؟ من شاعر من بنى أمية.

\*\*\*

روى أنه لما قدم هارون الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد،  
والتصوف، وترك الغزل، فأمره الرشيد أن يتغزل، فأبى أبو العتاهية،  
فحبسه الرشيد، فغنى أبو العتاهية بقوله:

خليلى مالى لا تزال مضرتى      تكون على الأقدار حتما من الحتم  
كفاك بحق الله ما قد ظلمتني      فهذا مقام المستجير من الظلم  
ألا فى سبيل الله جسمى وقوتى      ألا مسعد حتى نوح على جسمى<sup>(١)</sup>  
فأمر الرشيد بإحضاره وقال: بالأمس ينهك أمير المؤمنين المهدي  
عن الغزل، فتأبى إلا لجاجا، ومحكا، واليوم أمرك بالقول، فتأبى  
جراة على، وإقداما.

فقال أبو العتاهية: يا أمير المؤمنين إن الحسنات يذهبن السيئات، كنت  
أقول الغزل، ولى شباب، وجدة، وبنى حراك، وقوة، وأنا اليوم شيخ  
ضعيف، لا يحسن بمنلى تصاب.

فرده الرشيد إلى حبسه، فكتب أبو العتاهية إليه:

أنا اليوم لى والحمد لله أشهر      يروح على الفم منك ويبيكر  
تذكر أمين الله حقى وحرمتى      وما كنت تولينى لعلاك تذكر  
ليالى تبنى منك بالقرب مجلسى      ووجهك من ماء البشاشة يقطر

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٥/١؛

خليلى: مثنى خليل بمعنى صاحب، وهو منادى بحرف نداء محذوف، حتما: لازما،  
المستجير: الذى يطل الإجارة من الظلم، مسعد: اسم فاعل من أسعد الرباعى، أى  
مساعد، أنوح: أبكى.

فمن لى بالعين التى كنت مرة إلى بها من سالف الدهر تنظر  
فبعث الرشيد إليه: لا بأس عليك.  
فقال أبو العتاهية:

كان الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه راس  
أمين الله إن الحبس بأس وقد وقعت ليس عليك باس<sup>(١)</sup>  
فأخرجه الرشيد من السجن.

وهذا الشعر الذى أنشده أبو العتاهية، وغنى الرشيد به هو عرض  
لمظلمته وشكواه، ولا يجرؤ غير الشاعر فى عرض شكواه على هذا  
النحو، فهو يعلن أن الخليفة قد ظلمه، وأنه يستجير من ظلم الخليفة،  
وأعلن أن ما يناله إنما هو فى سبيل الله، من حبس، وضياع قوة،  
فهى شكوى شديدة الوقع على الخليفة، ويؤكد أنه ينوح على إيذاء  
جسمه من قبل الخليفة، من جراء حبسه.

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٤٥/٢-٤٦

يروح: من الرواح، وهو الوقت آخر النهار، ويكرر: من البكور، وهو الوقت أول  
النهار، تذكر: أمر يقصد به الرجاء، والالتماس، أو التمنى، أمين الله، أى يا أمين الله،  
منادى بحرف نداء محذوف، يقصد الرشيد، تدنى: تقرب، البشاشة: السرور، سالف  
الدهر: ما فات منه، راس: رأس، وسهلت الهمزة لضرورة القافية، وكذلك باس،  
أصلها باس، وسهلت الهمزة لضرورة القافية. أمين الله أى يا أمين الله، منادى بحرف  
نداء محذوف.

والرواية تثبت أن الرشيد قد أحضر أبا العتاهية، وعابه بأنه قد نهاه الخليفة المهدي من الغزل، أبو العتاهية، وأن الرشيد يأمره بالغزل، فيأتي أبو العتاهية، أي إنه يعصى الخلفاء، ولا ينفذ لهم رأيا.

فاعتذر أبو العتاهية بأن لكل زمن في الحياة قول، فكان الغزل في أيام الشباب، ولا يحسن في الشيخوخة ولما رد الرشيد أبا العتاهية إلى حبسه كتب إليه أبو العتاهية مظلمة أخرى فيها استعطاف، وخطب ود الخليفة، إذ يقول: إنه يروح عليه الفم، ويبكر منذ أشهر ويلتمس من الخليفة أن يتذكر حقه، وحرمته، وما كان يوليه من نعمة وجميل، وتقريبه من مجلس الخليفة، وبشاشته في وجه أبي العتاهية، ويتمنى أن ينظر إليه الخليفة بعين الإكرام التي كان ينظر بها إليه قبل ذلك.

وقد رد الرشيد على أبي العتاهية بقوله: لا بأس عليك، فأيقن أبو العتاهية أن الأمر الذي كان يضيق منه الخليفة قد خفت حدته، فكتب أبو العتاهية إلى الرشيد قائلا: إن الخلق جسد، وأنت رأسه، وإن الحبس بأس، وقد وقعت في مظلمتي: ليس عليك بأس، يا أمين الله. فعفا عنه الرشيد، وأخرجه من السجن وذلك دليل على قبول مظلمة أبي العتاهية التي عرضها في ثلاثة مواقف شعرية، وأرسلها إلى الرشيد.

\*\*\*

روى أن المعلى بن ظريف حمل إلى الرشيد آله للهو يقال لها الزنج،  
تشبه الصنج، فلما استحضره عرف الرشيد أن المعلى تعلم الضرب  
به، فأمره بالضرب، وأحضر وصيفة، فضرب على الزنج، ونظر  
إلى الوصيفة، ثم غنى المعلى:

ممكورة الساقين صفر الحشا      خلخالها يسقط من رجلها  
لا والذي أصبحت عبدا له      ما نظرت عيني إلى مثلها  
ممشوقة كالغصن ميالة      جارية أفرق من ظلها<sup>(١)</sup>

فقال له الرشيد: لا تفرق من ظلها يا معلى، هي لك، خذها،  
وانصرف إلى عمك، ولست أعزلك عنه ما حييت.

وهذا مجلس من مجالس الخليفة الرشيد، وهي كثيرة، ورويت عنه  
روايات أثبتتها كتب التراث الأدبي، والتاريخي، وهذا المجلس حمل  
فيه المعلى إلى الرشيد آله للهو، ولو علم أن هذه الآلة لن تقع من  
نفسه موقعا حسنا ما حملها إليه.

ثم يأمره الرشيد بالضرب، فضرب، وغنى شعرا.  
والشعر هو مادة الغناء، والخليفة هنا أقر في مجلسه الغناء والشعر،  
مما يدل على حسن موقعهما عنده.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٣٤

الممكورة: المرأة ذات الساق الغليظة المستديرة، صفر: خال، خلخالها يسقط من  
رجلها: لا ستدارة الساقين، الذى أصبحت عبدا له، المفروض أنه هو الله تعالى، لكنه  
هنا يقسم بالرشيد، ممشوقة: قليلة اللحم رقيقة الأعضاء، أفرق: من الفرق، وهو الفزع.



والشعر الذى أنشد فى هذا المجلس شعر غزل ماضى، تجرأ جليس الخليفة فيه على هذا الوصف لوصيفة بيت الخلافة، وهو وصف حسى ماضى، وهو أمر غريب أن ينشد فى مجلس الخليفة، لكن الأغرب من ذلك أن الخليفة الرشيد أهدى جليسه هذه الوصيفة، مع وعد بأن لا يعزله طوال حياته.

وهذا الإهداء منحة كبيرة فى مقابلة ثلاثة أبيات من الشعر، لكن هذا المقابل كان للخليفة، وحظى من الخليفة بإعجاب شديد، فالجائزة تربو لأنها تقع فى مقابلة الإعجاب بالشعر، مما يدل على أن قيمة الشعر، مهما قل هذا الشعر، تعلق عند الخليفة الرشيد، وأن تقديره لهذا الفن تقدير لا يخلو من تمييز الشعر فى بلاطه.

وأكد أزعم أن هذا التقدير لم يكن للغناء، وإنما للشعر، لذا فالرواية تثبت فهم الخليفة الشعر، والجائزة نفسها تدل على تجاوب الخليفة مع الشعر، والشاعر.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد نزل على هرقله بالشام سنة تسعين ومائة، وكان طاعاً للروم نقفور قد هادن الرشيد، ثم نكث، وكان الرشيد مريضاً، فكرهوا تعريفه بذلك لمرضه، فدخل عليه من أنشده:  
نقض الذى أعطاكه نقفور  
وعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنه فتح أذاك به الإله كبير<sup>(١)</sup>  
فقال الرشيد: أو قد فعل؟ ثم جهز، وغزا ملك الروم، فنزل على  
هرقلة هذه.



وروى أن الذى قال هذين البيتين عبدالله بن أيوب التيمى، وروى  
بيتان بعد هذين البيتين، وهما:

نقفور إنك حين تغدر أز، نأى عنك الإمام لجاهل مغرور  
أظننت حين غدرت أنك مفلت هبلتك أمك ما ظننت غرور<sup>(٢)</sup>

وكان الشعر فى هذه الرواية هو مادة الإخبار التى أراد بها الشاعر  
إخبار الرشيد، وهو مريض، بواقعة نقض نقفور العهد الذى هادن به  
الرشيد، وكان الشاعر هو الذى يخبر الخليفة، وكانت وسيلته هى  
الشعر، وقد نجحت هذه الوسيلة، فجهز الرشيد جيشا، وغزا ملك  
الروم، وفتح هرقلة.

فكان الشعر مادة الإخبار، ومادة تحميس الخليفة على حرب الروم.



---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٥٩٢-٥٩٣

نقفور: ملك الروم، البوار: الهلاك.

(٢) تاريخ الطبرى ٩١/١٠

نأى: بعد، الإمام: يقصد هارون الرشيد، مفلت: أى من العقاب، هبلتك: فقدتك.

روى أن هارون الرشيد قال للزهيري: من بالمدينة ممن يحرم الغناء؟ بلغنى أن مالك بن أنس يحرمه.

قال الزهيري: فشهادتى على أبى، أنه سمع مالكا فى عرس ابن حنظلة الغسيل يتغنى:

سليمى أزمعت بينا      فأين بوصيها أيناً<sup>(١)</sup>

فتبسم الرشيد لذلك، إظهاراً لسروره، وموافقته، وما الشعر إلا مادة الغناء.

والرشيد فى هذه الرواية قد تبسم إعجاباً بما سمع أن مالكا تغنى بالشعر، بهذا البيت الشعرى، والشعر هو المادة الأولى للغناء، مما يدل على سروره بهذا الشعر، وهذا الغناء، والشعر هنا لون من الغزل الذى يبين فيه الشاعر أن صاحبه سليمى قصدت الفراق، ونوته، ويتساءل قائلاً: فأين فراقها، أو منزلها؟

\*\*\*

روى أن الخليفة المهدي أمر لمروان بن أبى حفصة الشاعر بأربعين ألف درهم، وفرض له على أهل بيته، وجلسائه ثلاثين ألف درهم. وأمر الخليفة هارون الرشيد بعد ذلك، لما ولى الخلافة لسلم بن عمرو الخاسر الشاعر، وقد مدحه، بسبعين ألف درهم.

---

(١) العقد الفريد ١٠٩/٤

سليمى: تصغير سلمى، أزمعت: انتوت، البين: الفراق.

فقال سلم بن عمرو الخاسر الشاعر للخليفة هارون الرشيد: يا أمير المؤمنين، إن أكثر ما أعطى المهدي "الخليفة العباسي" مروان بن أبي حفصة "الشاعر" سبعون ألف درهم فزدني، وفضلني عليه. ففعل الخليفة هارون الرشيد ذلك، وأعطاه تئمة ثمانين ألف درهم.

فقال سلم بن عمرو الخاسر، الشاعر:

ألا قل لمروان أنتك رسالة لها نبأ لا ينثى عن لقاءكا  
حباتي أمير المؤمنين بنفحة مشهورة قد طاطأت من حباتكا  
ثمانين ألفا حزت من صلب ماله ولم يك قسما من أولى وأولئك  
فأجابه مروان بن أبي حفصة فقال:

أسلم بن عمرو قد تعاطيت غاية تقصر عنها بعد طول عنائك  
فأقسم لولا ابن الربيع ورفده لما ابتلت الدلو التي في رشائك  
وما نلت مذ صورت إلا عطية تقوم بها مصرورة في ردائك<sup>(١)</sup>  
وقد رويت هذه القصة في العقد الفريد لابن عبد ربه، فقال:  
قال شاعر يهجو مروان بن أبي حفصة، ويعيبه بأخذه من العامة،  
ويفخر بأنه لا يأخذ إلا من الملوك، فقال:

(١) مهذب الأغاني ٥٢/٩-٥٣

حباتي: أعطاني، نفحة: هبة أو منحة، مشهورة: مشهورة، طاطأت: خفضت، صلب: يقصد أصل، قسما: مقسوما، تعاطيت: نلت، عناء: تعب، الرشاء: الحبل، لما ابتلت: أي ما نلت، ولا أثريت، ضربه مثلا، صورت: خلقت، بالبناء للمجهول، عطية: منحة، أو هدية أو هبة، مصرورة في ردائك: أي صغيرة، كناية.

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمة من هؤلاء وأولئكا  
وما نلت حتى شبت إلا عطية تقوم بها مصرورة في ردائكا<sup>(١)</sup>  
وهذه الرواية تكشف عن عطاء الخلفاء للشعراء في العصر العباسي  
الأول، فالخليفة المهدي منح مروان بن أبي حفصة الشاعر بأربعين  
ألف درهم، وفرض له على أهل بيته، وجلسائه ثلاثين ألفا، فصار  
عطاؤه سبعين ألف درهم.

فلما أمر الخليفة هارون الرشيد لسلم بن عمرو الخاسر الشاعر  
بسبعين ألف درهم نظير مدحه إياه إلتمس سلم من الرشيد أن يزيده،  
ويفضله على مروان لما أعطى من الهادي فاستجاب الرشيد، وأعطى  
سلما تئمة ثمانين ألف درهم، ليزيد على عطاء المهدي لمروان عشرة  
ألاف درهم.

وفي هذه الرواية مبالغة الخلفاء في مدح الشعراء، وتجاسر الشعراء  
على طلب النوال الذي يحددونه من الخلفاء، واستجابة الخلفاء مطالب  
الشعراء، وزيادة كل خليفة على من سبقه في منح الشعراء.  
أما شعر سلم فهو فخر بأنه ينال عطاء أمير المؤمنين، وليس عطاء  
من غيره، فهو يفاخر مروان بهذا المعنى. فرد عليه مروان بشعر  
بأنه تقصر غايته عن تلك المكانة التي يفاخر بها، وأنه لولا ابن

---

(١) العقد الفريد ٣١٩/١

الربيع ما نال شيئا، وأن العطايا التي ينالها ضئيلة، تصر في الرداء لقلتها، وأنه يتناول بنيل عطايا الخليفة، مع أن غايته لا تصل إلى هذا الحد.

فصار الاتصال بالخلفاء، ونيل عطاياهم فخرا للشعراء، وموضعا للتباهى، والتفاخر.

\*\*\*

روى أن الأصمعي دخل على هارون الرشيد فسأله الرشيد عما أبطأ به، فاعتذر الأصمعي بالاحتجام، فسأله الرشيد عما أكل عليها، فقال الأصمعي: سكباجة وطهباجة.

فقال الرشيد: رميتها بحجرها، أتشرب؟

فقال الأصمعي: نعم، وقال:

اسقنى حتى ترانى مائلا وترى عمران دينى قد خرب<sup>(١)</sup>

قال الرشيد لخدمه: أى شئ معك؟

قال: ألف درهم.

قال الرشيد: ادفعها للأصمعي.

---

(١) العقد الفرید ١٤/٤-١٥، ٣٣٤/٤  
اسقنى: يقصد الخمر، مائلا: غير معتدل القوام، عمران: معمور، أو عامر.

والشاهد هنا أن الرشيد قد منح الأصمعي ألف درهم مقابل بيت واحد من الشعر، وقد سأل خادمه عما معه، فقال الخادم: ألف درهم، فدفعتها للأصمعي.

وهذه الرواية تدل على أن الخادم لو كان معه أكثر من ذلك لأمره الخليفة بدفعتها للأصمعي.

كما تدل الرواية على أن جلساء الخليفة كانوا من علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقده، مما يدل على أن للشعر سوقا نافقة في بلاط الخلافة العباسية.

ومع أننا لا نوافق على هذا البيت الشعري، في معناه، ومضمونه، ودلالته إلا أننا نتخذ منه دليلا على صولة الشعر، ودولته في مجالس الرشيد.

\*\*\*

وهذه الروايات تؤكد أن دولة الشعر كانت ذات أثر بعيد في بلاط الخليفة الرشيد، حيث أن صولة الشعر قد وصلت إلى حد أن وصائف قصر الخلافة في عهد الرشيد قد كتبن على عصائبهن شعرا، والعجيب أنه شعر يعلن عن أنهن فتيات غزل، فهو شعر من قبيل تحسين قيمتهن في أعين من يراهن، أو جلب افتتاح من يراهن، وربما كان ذلك لونا من ألوان إعلاء قيمتهن، أو اثمانهن، وربما كان ذلك لونا من ألوان الدعاية لأنفسهن، أو بيان قيمة نواتهن في دولة

الشعر، والأدب والثقافة الأدبية، كما يعد لونا من ألوان الفخر  
بأنفسهن، فقد أفلتت من حور الجنان، وهن من أراض مقدسة، قد  
أحسن الله خلقهن، ولسن منحسات، ولا موسوسات.  
فالوصيفات يتزين بالشعر.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد كان يجلس ومعه جوار على إحداهن  
عصابة، مكتوب عليها بصفائح الذهب:  
ظلمتني في الحب يا ظالم      والله فيما بيننا حاكم  
وفي عصابة أخرى:

مالي رميت فلم تصبك سهامى      ورميتني فأصبتني يا رامى  
وعلى عصابة أخرى:

وضع الخد للهوى عز  
وفي صدر عصابة أخرى هلال مكتوب عليه:  
أفلتت من حور الجنان  
وخلقت فتنته من يرانى<sup>(١)</sup>

\*\*\*

---

(١) العقد الفرید ٤/٣٨٥



روى أن الأصمعى رأى على باب الرشيد وصائف، على عصابة  
واحدة منهن مكتوب:

نحن خود نواعم      من أرض مقدسة  
أحسن الله رزقنا      ليس فينا منحسة  
فاتق الله يا فتى      لا تدعى موسوسة<sup>(١)</sup>

\*\*\*

روى أن العتّابى الشاعر لقي منصور النميرى الشاعر، فسأله  
العتّابى، فقال منصور: تركت امرأتى، وقد عسر عليها ولادها.  
فقال العتّابى: ألا أدلك على ما يسهل عليها.

قال المنصور: وما هو؟

قال العتّابى: اكتب عليها هارون.

قال منصور: وما معنك فى هذا؟

قال العتّابى: ألسن القائل فيه!

إن أخلف القطر لم تخلف مواهبه      أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع<sup>(٢)</sup>

فقال منصور: بالخلفاء تعرض، وإياهم نتبع.

(١) العقد الفريد ٤/٣٨٨

خود: الفتيات الناعمات، بضم الخاء، مفردا خود، بفتح الخاء، منحسة: من النحس،  
وهو الشؤم، وهو ضد السعد، والقال، موسوسة: بصيغة اسم الفاعل، بمعنى مجنونة،  
إذ كانوا يطلقون على المجانين الموسوسين.

(٢) العقد الفريد ٣/٤٢٦

القطر: المطر، مواهبه: يقصد هباته، ضاق: عسر، يتسع: ينفرج.

فغدا منصور على هارون الرشيد، فأعلمه ما كان من قول العتابي.  
فكتب هارون الرشيد إلى عبدالصمد وإلى المدينة لعقاب العتابي،  
فكتب إلى هارون عمه يشفع لمنصور، فوهبه له.

وهذه الرواية تدل على منافسة الشعراء بعضهم بعضا في مدح  
الخلفاء، ونيل جوائزهم، حيث أن منصور النميري الشاعر كان قد  
مدح هارون الرشيد، بقوله: إنه لم تخلف هباته حتى ولو أخلف  
المطر، ولو ضاق أمر ذكرنا الرشيد، فيتسع هذا الأمر، ويأتي الفرج.  
فلما أخبر منصور الشاعر العتابي الشاعر بعسر ولادة امرأته، داعبه  
العتابي بأن يكتب على جسد امرأته هارون، ليأتي اليسر بعد العسر،  
كما ادعى منصور في مدحه الرشيد.

ولما أدرك منصور أن العتابي يتهم على شعره ألصق به تهمة  
التهكم على الخليفة، وأخبرهن فأمر الرشيد بعقاب العتابي، ولولا عم  
الرشيد الذي شفع لمنصور لعوقب على ذلك.

وذلك يدل على أن معاني الشعراء في مدح الخلفاء كانت تتردد بينهم،  
وهو لون من التنافس على نيل الخطوة عند الخليفة.

كما أن الخلفاء كانوا يشجعون الشعراء على مدحهم، ويدافعون عن  
مدح الشعراء إياهم.

•••

روى أن الأمين العباسي كان رضيع يحيى بن جعفر البرمكي، فمت إليه يحيى بن خالد البرمكي بذلك، فوعده الأمين استيهاب أمه زبيدة، زوج الرشيد إياه، وتكلمها قبيهم، ثم شغله اللهو عنهم، فكتب يحيى بن خالد إلى الأمين، ويقال: إن الذي قال ذلك سليمان الأعمى أخو مسلم بن الوليد، وكان منقطعا إلى البرامكة، يقول:

يا ملاذي وعضمتي وعمادي	ومجيري من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء في كل قلب	زاد فيه البلاء كل مزاد
إنما أنت نعمة أعقبتهَا	نعم نفعها لكل العباد
وعد مولاك أتمننه فابهي الـ	در ما زين حسنه بالعقاد
ما أظلت سحائب اليأس إلا	كان في كشفها عليك اعتمادى
إن تراخت يدك عنى فواقا	أكلتني الأيام أكل الجراد <sup>(١)</sup>

وبعث بها يحيى بن خالد البرمكي إلى الأمين العباسي، فبعث بها الأمين إلى أمه زبيدة، فأعطتها هارون الرشيد.

#### (١) العقد الفريد ٢٦٩/٣

ملاذ: ملجأ، وحصن، عصمة: حماية، وحفظ، ووقاء، عماد: قوتي، وما أقوم عليه، مجير: حام ومنقذ، الخطوب: جنح خطب، وهو الشدة، والنازلة، الشداد: جمع شديد، مزاد: زيادة، أتمننه: أمر مؤكد بالنون، العقاد: أى عمل العقدة فى السلك، أو جمع عقد، سحائب: جمع سحابة، تراخت: استرخت، فواقا: بضم الفاء، وفتحها، ما بين الحلبتين من الوقت، لأن الناقة تحلب، ثم تترك سوية، يرضعها الغسيل، لتدر ثم تحلب، يقال: ما أقام عنده إلا فواقا، وفى الحديث الشريف: للمبادة قدر فواق ناقة.

فلما فرغ الرشيد من قراءتها وقع أسفلها: عظم ذنبك أمات خواطر  
العفو عنك، ورمى بها إلى زبيدة، فلما رأت توقيعه علمت أنه لا  
يرجع عنه.

والرواية تحكى قصة البرامكة مع هارون الرشيد، وما صنعه معهم،  
فإنه لما حبس يحيى بن خالد بن برمك، استشفع خالد بالأمين  
العباسي، عند أبيه الرشيد، لما له من حرمة الرضاع والأخوة  
بالرضاع، ووعداه الأمين أن يكلم أمه زبيدة، لتشفع له عند زوجها  
الرشيد.

فلما شغل الأمين عن ذلك كتب إليه يحيى بن خالد يذكره، ويستشفعه،  
وكانت وسيلته الشعر، فأوصل الأمين الشعر إلى أمه زبيدة التي  
أوصلته بدورها إلى زوجها الرشيد، فقرأ الرشيد الشعر، لكنه لم  
يستجب لهذا الملتمس.

والشاهد أن الشكوى والاستعطاف كانت وسيلتهما الشعر، يقول فيه  
يحيى بن خالد، أو شاعر البرامكة سليمان الأعمى: يا ملاذى،  
وعصمتى، وعمادى، ومجيرى من الخطوب، أنت زجائى، ونعمة  
ونفع لكل البلاد، فأتتم وعدك إياى، فإن أحسن الدر ما زين حسنه  
بالعقد، وأنت الذى تكشف عنى عوامل اليأس، ولو تراخت عنى يدك  
قليلا فقد أكلت أكل الجراد.

فكان هذا الالتماس شعرا سكب فيه يحيى بن خالد بن برمك شكواه،  
 وحاله، وما سوف يتعرض له ويهيب بالأمين إنقاذه.  
 والمعاني تصلح أيضا أن تكون خطابا للرشيد نفسه، وسواء كانت  
 للأمين، وأمه زبيدة، أو للرشيد نفسه فهي نفثة مصدر يتشبهت بخيط  
 الأمل في النجاة من الخليفة عن طريق الفن الجميل، وهو الشعر.

\*\*\*

روى أن يحيى بن خالد البرمكى كتب، وهو فى الحبس إلى هارون  
 الرشيد برسالة، يلتمس فيها العفو عنه، وكتب إليه بهذه الأبيات:

قل للخليفة ذى الصنيعة	عة والعطايا الفاشية
وابن الخلائف من قري	ش والملوك العالية
إن البرامكة الذى	ن رموا إليك بداهية
صفر الوجوه عليهم	خلع المذلة بادية
فكانهم مما بهم	أعجاز نخل خاوية
عمتهم لك سخطة	لم تبق منهم باقية
بعد الإمارة والوزا	رة والأمور السامية
ومنازل كانت لهم	فوق المنازل عالية
أضحوا وجل مناهم	منك الرضا والعافية
يا من يود لى الردى	يكفيك منى ما بيه
يكفيك ما أبصرت من	ذلى ونل مكائيه

وبكاء فاطمة الكئيبة —————  
ومقالها بتوجع  
من لى وقد غضب الزما  
يا لهف نفسى لهفها  
يا عطفة الملك الرضا  
فلم يكن لها جواب من الرشيد.

والشاهد هنا أن يحيى بن خالد بن برمك يستعطف الرشيد، وهو فى الحبس برسالة كتبها شعرا يصف فيها الخليفة أولا بأنه ذو صنائع معروف، وعطايا، وأنه خليفة ابن قرشى ابن خلائف وملوك. ويصف البرامكة وصفا يستعطف به الرشيد، ويرقق قلبه للشفاعة لهم، فهم قد رموا بداهية، صفر الوجوه، أذلاء، كأنهم أعجاز نخل خاوية، سخطت عليهم جميعا فلم تبق منهم باقية، بعد ما كانوا أمراء، ووزراء، وذوى شأن، ولهم منازل عالية.

#### (١) العقد الفريد ٢٧١/٣

الصنيعة: الجميل والمعروف، العطايا: جمع عطية، الفاشية: المنتشرة الكثيرة، خلع: جمع خلعة، وهى ما يخلع من الرداء، على التصوير، بادية: ظاهرة، المذلة: الذل، أعجاز: جمع عجز، وأعجاز النخل: أصولها، خاوية خالية، عمتهم: شملتهم، سخطه: غضبه، باقية: أى لم تبق منهم أحدا، الكئيبة: الحزينة، فاطمة: أم جعفر بن يحيى، وكانت مرضعة الرشيد، المدامع: جمع مدمع: مكان الدموع، جارية: منسكبة، السوأة: الخلة القبيحة، أو الواحدة من السوء، صفر: بضم الصاد، وسكون الفاء، جمع أصفر، مما بهم: أى مما حل بهم، ما بيه: ما حل بى، مكانيه: مكانى، شقائيه: شقائى، من لى: أى من يشفع لى، رجاليه: رجالى، لهف: تلهف، وشوق، ماليه: مالى، ثانيه: مرة ثانية.

فقد أضحوا وأقصى مناهم منك الرضا والعافية، ويكفيك لتشفع لهم ذلي، وبكاء زوجتي فاطمة، أمك من الرضا التي صارت كئيبة، دمعها يجري، وتقول بتوجع: ياسوء حالي، وشقائي، وهلاكى، وقد غضب الزمان على جميع رجالي، ما للزمان ومالي، وتستجدي عطف الملك الرضا العودة ثانية.

وقد عبر عن هذه المعاني شعرا يستجدي به عطف الرشيد عليه، وعلى أسرته الذين كان الرشيد قد غضب عليهم، فهي شكوى واستعطاف بشعر معبر جميل، يقدم للخليفة الذي يرفع حق الشعر، ولنا أن نتصور شكوى بشعر، فالبرمكى يستطيع التعبير عن حاله بالشعر، والشعر يقدم للخليفة الذي يقدر للشعر فنه، ورقى التعبير به.

\*\*\*

روى أن الرشيد توجه إلى خراسان، وبه علة هونها عليه الأطباء، فلما صار إلى طوس اشتدت به، وزادت، واستراب بأطبائه، فبعث إلى متطبيب فارسي، يقال له الأسقف، فأشخصه إليه، وأمر بقوارير، فعرضت عليه، فقال فيها، حتى انتهى إلى قارورة الرشيد، فقال: قولوا لصاحب هذا الماء فليدع الحمية، وليوص، فإنه لا يقوم من مرضه.

فبكى الرشيد بكاء شديدا، وتلملم على فراشه، وجعل يردد هذين البيتين:

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور أتى  
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرئ مثله فيما مضى<sup>(١)</sup>  
روى أن الرشيد كان في مرضه الأخير إذا اشتد به وجعه يقول:  
صبرا لأمر الله، وينشد:

وإني لمن قوم كرام يزيدهم رجاء وصبرا شدة الحدثن<sup>(٢)</sup>  
هاتان الروايتان تدلان على منزلة الرشيد في الشعر، وقيمة الشعر  
عند الرشيد.

فالرشيد بموهبته الفطرية في الشعر، وثقافته الأدبية، وتأديه على يد  
مؤدبيه من العلماء، والفقهاء، ورواة الشعر ونقدته، وعلماء اللغة  
ورواتها قد نمت لديه ملكة الشعر، فنراه يعبر عن المعاني التي يريد  
التعبير عنها.

ففي الرواية الأولى وجد نفسه في موقف لا يحسد عليه، ولنا أن  
نتصور موقفه، وقد سمع ما سمع من قول المتطبب الفارسي، فلم يجد  
ما يهرع إليه سوى الشعر، يقول فيه: إن الطبيب بطبه، ودوائه لا

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٩٩  
طبه: أى فنه وعلمه في الطب، دفاع: دفع، محذور: ما يحذر الإنسان، يقصد الموت،  
الداء: المرض، يبرئ: يشفى.

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٩٩  
الحدثن: الحادثة، وهى بفتح الحاء والذال.



يستطيع دفع محذور، إذ إن الطبيب يموت بالداء الذي كان يشفى مثله قبلا، فقد أتى بالفكرة، واستدل عليها من الواقع.

وفي الرواية الثانية كان الرشيد في مرضه الأخير، إذا اشتد به وجعه لا ينسى أن يعبر عن نفسه فخرا بالشعر قائلا: إنه من قوم كرام تزيدهم شدة الحدثن رجاء وصبرا، وكأنه يتصبر الشعر.

كما تدل هاتان الروايتان على أن الشعر يحتل عند الرشيد منزلة عالية، فالرشيد الخليفة ينشد للشعر لنفسه، وتلك منزلة للشعر عالية عنده.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد كان يوما في مقيله، إذ رأى في منامه كأن رجلا وقف على باب مجلسه، فضرب بيده إلى عمود الباب، ثم أنشأ يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أهله      وأوحش منه ربه ومنازله  
 وصار عميد القصر من بعد بهجة      إلى جدث تبكى عليه جنادله  
 فلم يبق إلا ذكره وحديثه      تبكى عليه بالعويل حلائله<sup>(١)</sup>

\*\*\*

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٩٥  
 باد: ملك، أوحش: خلا، وأقفر، ولم يؤنس، ربه: الربع الدار بعينها حيث كانت، المنزل: الدار، عميد القصر: سيده، جدث: يفتح الجيم والدال، القبر، جنادل: بكسر الدال، جمع جندل، يفتح الجيم والدال، وسكون النون، الحجارة، العويل: رفع الصوت بالبكاء، حلائل: جمع حليلة، وهي الزوجة، أي من تحل مع الزوج في دار واحدة.

ثم خرج الرشيد إلى طوس، فلما نزل حلوان العراق هاج به الدم، فاجتمع المتطببون على أن دواءه الجمار، فوجه إلى دهقان حلوان، فأحضر، فسئل عن النخل، فقال: ليس بهذه البلدة إلا النخلتان اللتان على عقبة حلوان.

فوجه الرشيد إليهما من قطع إحداهما، فأكل هارون الرشيد جمارها، فسكن عنه الدم، فرحل فمر عليهما، فرأى على القائمة منهما كتابا فيه:

أسعداني يا نخلتي حلوان      وابكيا لي من صرف هذا الزمان  
أسعداني وأيقنا أن نحسنا      سوف يلقاكما فتفترقا  
ولعمري لو ذقتما حرق الموتي      ت لأبكا كما الذي أبكاني<sup>(١)</sup>

قال هارون الرشيد: عز والله على أن أكون أنا نحسهما، والله لو علمت بهذا الكتاب ما قطعتهما، ولو كانت نفسى فيها.

\*\*\*

والشاهد في الرواية الأولى أن الرشيد يقول الشعر الذي يعبر به عن حاله، ويكاد يتطير منه، والغريب أنه رواه في منامه، وأن رجلا قاله له في المنام، ولنا أن نتصور أنه يسمع في المنام شعراء، فإما أن

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٩٥-١٩٦  
أسعداني: أعيناني، صرف الزمان: حدثانه ونوائبه، النحس: ضد السعد، حرق: بفتح الجاء والراء، النار، ونخلتا حلوان يضرب بهما المثل، يقال: أطول صحبة من نخلتي حلوان، والشعر لمطيع بن إياس، الأغاني ١٣/٣٣٠، مجمع الأمثال ١/٢٩٧.

يكون هذا الشعر لغيره، رواه الرشيد فيدل ذلك على حفظه الشعر القديم، وتمثله به في المواقف المختلفة، حتى في مواقف المنام والرؤيا.

وإما أن يكون هذا الشعر له أنشأه ابتداء، وهذا أعجب، فهو يحكى عن رؤيا، ومنام، ومع ذلك لم تخل الرؤيا من الشعر.

ومن عجب أن يكون الشعر معبرا عن حاله، وهو مريض، قد أحس بقرب الموت، فيرى في المنام من يقول له: كأنى بهذا القصر، وقد باد أهله، وأوحشت منه داره ومنازله، ومات صاحبه، ودفن في قبره، ولم يبق إلا ذكره، وبكاء زوجاته عليه.

وقد تطير الرشيد من هذه الرؤيا، ومن هذا الشعر الذى ورد فى هذه الرؤيا، فقد تأثر به أشد التأثر، وأنا أتعجب لهذا الشعر الذى ملك على الرشيد لبه، حتى إنه ليراه، وينشده، ويسمعه فى منامه، دلالة على أن الشعر لديه قد بلغ درجة لغة التخاطب عنده، من سهولة الشعر، وسهولة قوله، وحفظه.

أما الرواية الثانية فتحكى أن الرشيد لما قطع إحدى نخلتى حلوان المشهورتين مضطرا متطببا، ومر على مكان النخلتين، ورأى على النخلة القائمة منهما، بعد قطع الثانية، كتابا فيه شعر تأثر بهذا الشعر أشد التأثر، وأقسم أنه لو علم هذا الكتاب قبل أن يقطعها ما قطعها، ولو كانت نفسه فيهما، تأثرا بالشعر المكتوب عليهما، وقال: عز على

أن أكون نحسهما. اما الشعر الذي قرأه مكتوبا على كتاب على النخلة القائمة منهما، بعد قطع الأولى، فيقول قائله: ساعدانى بالدمع يا نخلتى حلوان، وابكيا لى من صروف هذا الزمان، ساعدانى وأيقنا أن نحسا سوف يصيبكما فتفترقان، ثم يقسم بحياته أنهما لو ذاقا نار الموت لأبكاهما ما أبكاه من حرق الموت.

وكان التعليق الفنى الجميل، وهو عز: على أن أكون نحسهما، لأن الشاعر قال عنهما: وأيقنا أن نحسا سوف يلقاكما، فتفترقان، فكان الرشيد النحس الذى لقيهما، فعز عليه ذلك، وتأثر بالشعر أيما تأثر، حتى أقسم لو علم بذلك الشعر قبل قطع النخلة ما قطعها، ولو كانت نفسه فيها.

إلى هذا الحد كان تأثر الرشيد بالشعر.

\*\*\*

روى أن الرشيد جرى بينه وبين ماردة جاريتة عتب، فاستدعى يحيى بن خالد البرمكى العباس بن الأحنف الشاعر، ليقول شعرا، يعبر عن حال الرشيد مع ماردة جاريتة، فقال العباس بن الأحنف معبرا عن حال الرشيد مع ماردة:

العاشقان كلاهما متغضب	وكلاهما متوجد متعب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا	وكلاهما مما يعالج متعب
راجع أحبئك الذين هجرتهم	إن المتيم قلما يتجنب

إن التجنب إن تطاول منكما      دب السلو له وعز المطلب  
وكتب أيضا:

لا بد للعاشق من وقفة      تكون بين الهجر والصرم  
حتى إذا الهجر تمادى به      راجع من يهوى على رغم<sup>(١)</sup>  
ثم وجه العباس بن الأحنف الكتاب إلى يحيى بن خالد البرمكى،  
فدفعه إلى الرشيد، فقال: والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من  
هذا، والله لكأنى قصدت به واستغرق ضاحكا، ثم قال: أى والله،  
أراجع على رغم.

فأمر الرشيد للعباس بن الأحنف بمال كثير، وأمرت له ماردة بمال  
دونه، وأمر له الوزير يحيى بن خالد البرمكى بمال دون ما أمرت به  
ماردة، واشتريت له ضياع بعشرين ألف درهم.  
وهذه الرواية تدل على ما للشعر من قيمة عند الرشيد، الخليفة  
العباسى، وماردة جاريته، ويحيى بن خالد بن برمك، فكل منهم قد  
منح العباس بن الأحنف جائزة على قول الشعر، والتعبير عن حال  
الرشيد الخليفة مع جاريته ماردة.

---

(١) العقد الفريد ٣٦٤/٤

مستوجد: من الوجد، وهو الحزن، متعتب: من العتب والعقاب، يعالج: يعانى، المتيم:  
من تيمه الحب وأضناه، السلو: السلوان، والنسيان، عز: صعيب، والصرم: القطيعة،  
رغم: أى مرغما.

والرواية تثبت أنه جرى عتب بين الخليفة وجاريتته، وأراد الرشيد أن يعبر عما فى نفسه تجاهها، أو وجد يحيى بن خالد الرشيد مهموماً لذلك الذى جرى بينه وبين جاريتته، فأراد أن يجد مخرجاً من هذا الموقف، بأن يلجأ إلى شاعر، ليعبر عن هذه الحال، وقد كان، فقد لجأ إلى العباس بن الأحنف، وهو شاعر الغزل، فهو شاعر هذا الموقف.

وقد عبر العباس بن الأحنف عن هذا الموقف أوضح تعبير، حتى إن الرشيد قد قال: والله، ما رأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر الذى قاله العباس بن الأحنف، والله، لكانى قصدت به، وذلك دليل على أن العباس قد عبر عن الموقف كما هو واقع تماماً. وزاد الرشيد تأثراً بالشعر، حتى إنه قال: أى والله أراجع أحببى على رغم، تأثراً بالشعر، كما ورد فى الأبيات.

أما الأبيات الأولى التى قالها العباس بن الأحنف فيقول فيها: العاشقان كلاهما متغضب متوجد متعتب، فقد صدت مغاضبة، وصد مغاضباً، وكلاهما متعب مما يعانیه، ثم يلتمس من الحبيب مراجعة الأحبة الذين هجرهم، فإن المتيم بالحب قلما يتجنب المحبوب، وإن تطاول التجنب من كل منهما صار كل منهما يسلو الآخر، وعز مطلبه، وضاع الحب بينهما.

أما البيتان الآخران، فيقول فيهما: لا بد للعاشق من وقفة بين الهجر والقطيعة، فإذا تمادى الهجر راجع محبوبه على رغمه، للحب الذي بينهما، فالحب يأمره بهذه المراجعة.

والعجيب أن يعبر العباس عن حال الرشيد مع جاريتته، ولعل هذا الموقف عبر عنه العباس في شعره كثيرا فكان سهلا عليه أن يحل محل الرشيد في التعبير عما يكابده مع جاريتته.

والأعجب أن يكون هذا موقف الرشيد، لكن الرشيد يعد الشعر الفن الراقى الأدبي المعبر عما فى النفس البشرية من معان، فلا غرو أن يذهب الرشيد، وهو الخليفة، وينشد ما ردة جاريتته هذا الشعر، والغريب ألا توافق الجارية على صلحه، حتى يكافئ قائل هذه الأبيات، العباس بن الأحنف، مما يدل على قيمة الشعر عندها، وذلك أكبر دليل على أن الشعر كانت له المنزلة العليا فى قصور الخلفاء.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد قال لجاريتين له: لتقل كل واحدة منكما شعرا فى الغزل، فقالت الأولى:

أنا التى أمشى كما يمشى الوجى  
يكاد أن يصرعنى تفحجى  
من جنة الفردوس كان مخرجى

وقالت الأخرى:

أنا التي لم ير مثلى بشـر  
كلامى اللؤلؤ حين ينتثر  
أسحر من شئت ولست أسحر  
إن سمع الناس كلامى كفروا<sup>(١)</sup>

فقال لهما: قد أحسنتما، وما لواحدة منكما فضيلة على صاحبتهما.  
هذه الرواية تدل على أن سمر الخليفة مع جلسائه ينصب على حديث  
الشعر، حتى كان حديثه مع جاريتيه عن الشعر، فقد أمرهما أن تقول  
كل منهما شعرا فى الغزل، ولما قالت كل منهما شعرا فى الغزل كان  
نقده أنهما قد أحسنتا، وما لواحدة منهما فضيلة على صاحبتهما، فقد  
أمرهما بقول الشعر، وكان هو المحكم بينهما فى نقد هذا الشعر،  
وبيان سبق إحداهما الأخرى فى هذا الفن الجميل، وهذا مجلس نقد  
وتذوق للشعر يعتمد على البصر بالشعر، وفهمه، ومعرفة بشعر  
العرب، ونقدهم، وتذوقهم، وذلك يقتضى الدربة والمران، والتمرس  
بالأساليب العربية، وليس بغريب على مثل الرشيد.

أما شعر الأولى فهو غزل تفخر فيه بوصف جسدها وصفا ماديا،  
ولعل ذلك الوصف مما يناسب الجواري، لأنهما كانتا تتباريان فى

---

(١) العقد الفريد ٤/٢٧٣

الوجى: رقة القدم من كثرة المشى، التفحج: إما بمعنى تدانى صدور القدمين، وتباعدا  
العقبين، أو الصوت، مخرجى: خروجى، ينتثر: يفرق.



الوصول إلى قلب الرشيد، كما عرفنا ذلك من استقراء حياة الخلفاء في العصر العباسي، وتعاملهم مع الجواري، ثم وصفت نفسها بأنها خرجت من جنة الفردوس، بعد وصف نفسها الوصف المادى العجيب.

أما الثانية فقد فخرت بنفسها أيضا بوصف نفسها وصفا ماديا، يلائم أوصاف الجواري في قصور الخلفاء، فهي التي لم ير مثلها بشر، ووصفت كلامها باللؤلؤ المنتثر، وأنها تسحر من تشاء، ولا يسحرها أحد، وأن الناس إن سمعوا كلامها كفروا.

ويتضح أن شعر كل منهما مما يلائم شعر الجواري، وحياتهن في العصر العباسي، وفي المجتمع العباسي عامة، وفي قصور الخلفاء خاصة.

والعجيب أن يستمع الرشيد إلى مثل هذا الشعر، وأن يجلس إليهما مجلس الحكم، وأن يحاولن إغراءه بهذا الشعر، ولا غرابة في ذلك فإن معظم الخلفاء العباسيين كانوا أولاد إماء لذلك الذي نسمعه من مثل هذا الشعر.

\*\*\*

روى أن الأصمعي دخل على هارون الرشيد، وبين يديه جارية، فقال الرشيد للأصمعي: صفها.  
فأنشأ الأصمعي يقول:

كنانية الأطراف سعدية الحشا      هلالية العينين طائية الفم  
لها حكم لقمان وصورة يوسف      ونغمة داود وعفة مريم  
قال الرشيد: أحسنت والله، يا أصمعي، اسمها دنيا.  
فقال الأصمعي:

إن دنيا هي التي      تملك القلب قاهرة  
ظلموها شطر اسمها      فهي دنيا وآخره<sup>(١)</sup>

فأمر الرشيد للأصمعي بعشرة آلاف درهم.

والرواية تثبت أن الأصمعي لما دخل على هارون الرشيد، وأمامه  
جارية، أمر الرشيد الأصمعي أن يصفها، فوصفها الأصمعي، وحكم  
الرشيد على وصف الأصمعي الجارية بقوله: أحسنت، والله  
يا أصمعي.

ولما عرف الأصمعي أن اسمها دنيا، برع في محاولة التلاعب  
بفلسفة هذا الاسم في بيتين آخرين، فلم يملك الرشيد من إعجابه بشعر  
الأصمعي إلا أن يمنح الأصمعي عشرة آلاف درهم مكافأة على  
شعره.

(١) العقد الفريد ٢٧٢/٤-٢٧٣

كنانية: نسبة إلى كنانة، سعدية: نسبة إلى بنى سعد، هلالية: نسبة إلى بنى هلال،  
طائية نسبة إلى طئ، لقمان: هو لقمان الحكيم، يوسف: النبي عليه السلام، داود: النبي  
عليه السلام، مريم أم عيسى عليهما السلام، قاهرة: غالية، شطر نصف.

أما الشعر الذى أنشده الأصبغى فى وصف الجارية فقد اعتمد فيه على صفات مشهورة عند العرب، وهى صفات مادية، من جمال الأطراف، وضمور الحشا، وحسن العينين، وصغر الفم، ثم جعل لها حكم لقمان، وصورة يوسف فى الجمال ونغمة داود فى الصوت، وعفة مريم عليهم السلام، وهى صفات مادية ومعنوية أعجبت الرشيد. أما الشعر الثانى فقد وصف فيها الجارية بأنها تقهر القلب وتملكه، وهو يقصد أى قلب، حتى إنها لتملك قلب الرشيد.

ثم يقول: ظلموها شطر اسمها لما سموها دنيا، فهى دنيا وأخرة، ولو أنصفوا لسموها دنيا وأخرة.

وهى فكرة تعتمد على المعنى، والتفكير، وفلسفة المعانى، أو ما وراء المعانى.

وهذا المجلس يدل على ما بلغه الشعر فى دولة الرشيد، وفى قصره، ومعه، ومع جلسائه، وجواريه.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد الخليفة قال للمفضل الضبى: أنشدنا بيتا، أوله أعرابى فى شملته، هب من نومته، وأخره مدنى رقيق، غذى بماء العقيق.

قال المفضل الضبي: هولت على يا أمير المؤمنين، فليت شعري بأى  
مهر عروس هذا الخدر؟ قال هارون الرشيد: هو بيت جميل بن  
معمر، حيث يقول:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا      أسائلكم هل يقتل الرجل الحب  
فقال المفضل لهارون الرشيد: فأخبرني، يا أمير المؤمنين، عن بيت،  
أولـه أكنم بن صيفى فى إصابة الرأى، وآخره بقراط الطبيب فى  
معرفة بالداء والدواء.

قال هارون الرشيد للمفضل: ما هو؟

قال المفضل: هو بيت الحسن بن هانى، حيث يقول:

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء      وداونى بالتى كانت هى الداء<sup>(١)</sup>  
قال الرشيد: صدقت.

والرواية تدل على أن جليس الخليفة من علماء اللغة والأدب والنقد،  
ومن رواة الشعر، وذلك دليل على ما ينشد فى المجلس من شعر،  
وأدب، وما يكون فى مثل هذه المجالس من أحاديث فى الشعر القديم.  
لذا كان سؤال هارون الرشيد عن بيت جميل بن معمر، أوله أعرابى  
فى شملته، هب من نومته، وهو ألا أيها النوام ويحكم هبوا.

(١) العقد الفريد ٢٧/٤

النوام: جمع نائم، ويح: كلمة ترحم، هبوا: انهضوا واستيقظوا، يقتل الرجل الحب: قدم  
المفعول على الفاعل للقافية، اللوم: العذل، إغراء: حث وتحضيض على شرب الخمر،  
كانت هى الداء: يقصد الخمر.

وأخره مدنى رقيق، غذى بماء العقيق، وهو: أسائلكم هل يقتل الرجل  
الحب.

وكان سؤال المفضل الضبى عن بيت أبى نواس، أوله أكنثم بن صيفى  
فى إصابة الرأى، وهو: دع عنك لومى فإن اللوم إغراء.

وأخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء، وهو: وداونى بالتى  
كانت هى الداء.

وهكذا كان امتحان كل منهما الآخر فى تبصره الشعر العربى، وكان  
الشعر سمر مجالس الخلفاء.

\*\*\*

روى أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى دخل على الرشيد، وعنده  
جارية، وبين يديه طبق ورد، فقال الرشيد لإسحاق: قل فى الورد بيتا  
يشبهه، فقال إسحاق:

كانه خد موموق يقبله      فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فاعترضته الجارية فقالت:

كانه لون خدى حين يدفعنى      كف الرشيد لأمر يوجب الغزلا<sup>(١)</sup>

والشاهد هنا أن الرشيد الخليفة يطلب من جلسه أن يصف الورد فى  
بيت واحد تشبيها، وانصاع إسحاق الموصلى لأمر الخليفة، ووصف

---

(١) المقدم الفريد ٤/٣٧٣

موموق: محبوب، الخجل: لون الحمرة، أبدى أظهر.

الورد بطريق التشبيه، كما أراد الخليفة، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، وإنما تعرض بيت إسحاق للنقد الأدبي من ناقد في المجلس، والمفاجأة أن الناقد هنا جارية الخليفة، إذا اعترضت على بيت إسحاق الموصلي في وصف الورد، وأنت هي ببيت آخر يفوق في رأيها بيت إسحاق الموصلي.

وقد شبه إسحاق الورد في حمرة بخد محبوب يقبله فم الحبيب، وقد ظهر عليه الخجل فاحمر من الخجل.

أما الجارية فقد شبهت الورد في حمرة بلون خدها، حين يدفعها كف الخليفة للغزل، فيحمر وجهها خجلاً.

والمعنيان، معبران عن مقصد الخليفة، لكن بيت إسحاق الموصلي أفضل.

والشاهد أن الخليفة وجليسه، وجاريته كان حديثهم في الشعر، والنقد، والبلاغة، وليته الأمر يقف عند الخليفة والمغني، وإنما تعدى ذلك إلى الجارية.

\*\*\*

روى أن إسحاق الموصلي حضر مسامرة الرشيد، ومعه عيثر المغني، فتذاكروا رقة شعر المدنيين، فأنشد بعض جلسائه أبياتا لابن الدمينة، حيث يقول:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تصدعا

وليس عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا  
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا<sup>(١)</sup>  
فأعجب الرشيد برقة الأبيات، وكان عيثر المغنى فصيحاً متادباً، فقال  
عيثر: يا أمير المؤمنين، إن هذا الشعر مدنى رقيق، غذى بماء  
العقيق، حتى رق وشفاء، فصار أصفر من الهوى، ولكن إن شاء  
أمير المؤمنين أنشدته، هو أرق من هذا، وأحلى، وأصلب، وأقوى،  
لرجل من أهل البادية.

قال الرشيد: وإني أشاء.

قال عيثر: وأترنم به، يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: وذلك لك.

فغنى لجرير:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا  
غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقيننا  
راحوا العشية روحة مشكورة إن حرن حرننا أو هدين هدينا  
فرموا بهن سواهما عرض الفلا إن متن متنا أو حيين حيننا<sup>(٢)</sup>

(١) العقد الفريد ١٢٤/٤

الحمى: بكسر الحاء، ما يجب على الإنسان حمايته، أنثى: أرجع، تصدعا: أى  
تصدعا، وحذف حرف المضارعة، أى تتشقق، عشيات: جمع عشية، وهى الوقت فى  
العشاء، رواجع: جمع راجعة، خل: دع، أو اترك، زجرتها: نهرتها، أسبلتا: مكبتا  
الدمع.

(٢) العقد الفريد ١٢٥/٤

قال الرشيد: صدقت يا عيثر، وخلع عليه، وأجازه.

والشاهد هنا أن مجلس الرشيد كان موضوعه الحديث عن رقة شعر المدنيين، وهذا يكفي لبيان مدى ما وصل إليه الرشيد من فهم الشعر، والبصر به، والاهتمام بمن ينشدونه الشعر، ومعرفة اتجاهات الشعراء، وأغراضهم الشعرية.

وقد أنشد بعض جلساء الرشيد أبياتا لابن الدمينه، وهو شاعر غزل رقيق، فأعجب الرشيد برقة الأبيات، وكان من جلساء الرشيد مغن فصيح متأدب، فأعلن رأيه أن هذا الشعر مدني رقيق، غذي بماء العقيق، حتى رق وصفا، فصار أصفر من الهوى.

وهو نقد يدل على فهم الشعر فهما دقيقا.

واستأذن المغني أن ينشد أمير المؤمنين شعرا أرق من هذا الشعر، وأحلى، وأصلب، وأقوى، لشاعر من البادية، وأن يترنم به، ووافق الرشيد، فأنشد المغني لجرير أبياتا في الغزل الرقيق، فأعجبت الرشيد، وخلع على المغني، وأجازه.

---

غدوا: من الغداة، أول النهار، لبك: عقلك، غادروا: تركوا، وشل: وضر، معينا: سائلا، غيض: قلق، عبرات: جمع عبرة، وهي امتلاء العين بالدمع، الهوى: الحب أو العشق، العشية: وقت العشاء، روحة: اسم مرة من راح، حرن: نون النسوة، وكذلك هدين، ومتن، وحيين، حرنا: نا الفاعلين، وكذلك هدينا، متنا، حيينا، أما هدين، وهدينا: فهما بالبناء للمجهول، الفلا: جمع فلاة، وهي الصحراء.



وهكذا كان مجلس الخليفة مجلس شعر، ونقد، وغناء، وموازنة بين الشعراء فى الأغراض المختلفة، واستعراض أغراض الشعر والشعراء.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد كان قد أراد شراء عنان، جارية الناطفى، ثم أمسك عن شرائها، فغناه أحد المغنين بأبيات جرير، حيث يقول:

إن الذين غدوا بلبك غادروا      وشلا بعينك لا يزال معينا

فطرب الرشيد لها طربا شديدا، وأعجب بالأبيات، وقال لجلسائه: هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمتلهن، وله هذه البدرة؟ وكانت بين يديه بدرة من دنانير.

فلم يصنعوا شيئا، فقال خادم للرشيد: أنا بها لك يا أمير المؤمنين.  
قال الرشيد: شأنك.

فاحتمل الخادم البدرة، ثم أتى عنان جارية الناطفى، وأخبرها الخبر، وأنشدها الأبيات، فأنشدت:

هيجت بالقول الذى قد قلته      داء بقلبي ما يزال كميناً  
قد أينعت ثمراته فى طينها      وسقين من ماء الهوى فروينا  
كذب الذين تقولوا يا سيدى      إن القلوب إذا هوين هويناً<sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد ١٤٢/٤

هيجت: أثرت، داء: مرض، يقصد الحب، كميناً: مكمون دفين، مخفى، متوارى، أينعت: أدركت، طينها: أصلها أو مهدها، الهوى: العشق، روين: ارتون، تقولوا: قالوا كذباً.

فلما أخبر الخادم هارون الرشيد بالأبيات وقائلتها، قال الرشيد: خلعت  
الخلافة من عنقي إن باتت إلا عندي، فاشترأها بثلاثين ألف درهم.  
والأبيات هي:

إن الذين غدوا بلبك غادروا      وشلا بعينك لا يزال معينا  
غيضن من عبراتهن وقلن لى      ماذا لقيت من الهوى ولقينا  
راحوا العشية روحة مشكورة      إن حرن حرنا أو هدين هدينا  
فرموا بهن سواهما عرض الفلا      إن متن متنا أو حين حيننا<sup>(١)</sup>  
والشاهد هنا أن الرشيد طرب لأبيات جرير طربا شديدا، وأعجب  
بالأبيات، حتى إنه قال لجلسائه: هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات  
بمثلهن، وجعل الجائزة بدرة من الدنانير.

ومن عجب أن خادم الرشيد يتعرض لمثل هذا الموقف، وهو أنه  
سيجد من يجيز هذه الأبيات بمثلها.  
ومن عجب أيضا أنه أتى عنان الجارية، فوجد عندها ضالته  
المنشودة، وأجازت الأبيات بمثلها وزنا وثقافية، ومسائرة في الغرض.  
ويمضى بنا العجب إلى الحد الذي يصمم فيه الرشيد على شراء عنان  
في الليلة نفسها، حتى جعل فداء ذلك خلع الخلافة عن عنقه.

---

(١) العقد الفريد ١٢٥/٤  
مضت الأبيات وشرحها

والغريب أن الرشيد اشترى هذه الجارية الشاعرة التي أجازت أبيات  
جرير بمتلها بثلاثين ألف درهم، وما ذلك الثمن إلا لبصرها بالشعر،  
وإجازتها الأبيات.

\*\*\*

روى أن الأصمعي وقف على باب الرشيد، وكان قد هيا شعرا يقوله  
للرشيد هو:

وساع ما تضيق به المعانى	وأى فتى أعير ثبات قلب
ألا لا بل تؤلفه الأمانى	تجاذبه المواهب عن إباء
عن الدرك الجهير لدى الأمانى	فرب معرس لليأس أملى
من المهمات متهم الجنان	وأى فتى أناس من سمو
على العزمات والعضب اليمانى <sup>(١)</sup>	بغير توسع فى الصدر ماض

فخرج خادم وقال: هل بالحضرة أحد يحسن الشعر؟  
فدخل الأصمعي على الرشيد ومعه الفضل بن يحيى، فأمره الرشيد  
أن يدنو، وسأله: أشاعر أم راوية؟  
قال الأصمعي: راوية يا أمير المؤمنين.

(١) العقد الفريد ٣/٤١١-٤١٢

معرس: من التعريس، وهو النزول ليلا، الجنان: العقل، العضب: السيف القاطع  
اليمانى: نسبة إلى اليمن، أعير: بالبناء للمجهول، تؤلفه: تجمعه، العزمات: جمع  
عزمة، وهى ما يعزمة الإنسان.

فسأله الرشيد عن المثل؟ قد أنصف الفارة من راماها، ثم قال له:  
أرويت للعجاج ورؤبة شيئا، ثم مد يده، فأخرج من تحت فراشه  
رقعة، ثم قال: اسمعنى، فأسمعه الشعر المكتوب فيها.  
ثم قال له: أسمعنى كلمة عدى بن الرقاع فى الوليد بن يزيد بن  
عبدالمك قوله:

عرف الديار توها فاعتاده

فمر فى الإنشاء حتى بلغ قوله:

تزجى أغن كان إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها<sup>(١)</sup>

فاستوى الرشيد جالسا ثم قال: أتفظ فى هذا شيئا؟

قال الأصمعى: نعم، يا أمير المؤمنين، كان الفرزدق لما قال عدى:

تزجى أغن كان إبرة روقه

قال لجرير: أى شئ تراه يناسب هذا تشبيها؟

فقال جرير:

قلم أصاب من الدواة مدادها

فما رجع جرير الجواب حتى قال عدى:

قلم أصاب من الدواة مدادها

فقلت لجرير: ويحك، لكان سمعك مخبوء فى فؤاده.

---

(١) العقد الفرید ٤١٤/٣

تزجى: تسوق، أغن: ظبى أغن، الدواة: المحبرة، المداد: الحبر

فقال جرير: اسكت شغلنى سبك عن جيد الكلام.

ثم قال الرشيد: مر فى إنشائك.

فمضى الصمعى حتى بلغ إلى قوله:

ولقد أراد الله إذ ولاكما من أمة إصلاحها ورشادها

قال الفضل بن يحيى: كذب، وما بر.

قال الرشيد: ماذا صنع الوليد بن يزيد بن عبد الملك إذ سمع هذا؟

قال الأصمعى: ذكرت الرواة يا أمير المؤمنين أنه قال: لا حول ولا

قوة إلا بالله.

قال الأصمعى: مر فى إنشادك.

فمضى الأصمعى حتى بلغ إلى قوله:

لم تأت السلاب إلا غنوة غصبا ويجمع للحروب عتادها<sup>(١)</sup>

قال الرشيد: لقد وصفه بحزم وعزم، لا يعرض بيتهما وكل، ولا

استذلال، فماذا صنع الوليد؟

قال الأصمعى: يا أمير المؤمنين، ذكرت الرواة أنه قال: ماشاء الله.

قال الرشيد: أحسبك وهمان.

قال الأصمعى: يا أمير المؤمنين، أنت أولى بالهداية، فليردنى أمير

المؤمنين إلى الصواب.

---

(١) المعقد الفريد ٤١٤/٣

عنوة: قسرا وغبضا، عتاد الحروب: معداتها.

قال الرشيد: إنما هذا عند قوله:

ولقد أراد الله إذ ولاكها من أمة إصلاحها ورشادها

ثم قال الرشيد: والله ما قلت هذا عن سمع، ولكنني أعلم أن الرجل لم يكن ليخطئ في مثل هذا.

قال الأصمعي: وهو والله الصواب.

ثم قال الرشيد: مر في إنشادك.

فمضى الأصمعي في الإنشاد، حتى بلغ إلى قوله:

وعلمت حتى ما أسائل عن حرف لكنني أزدادها<sup>(١)</sup>

قال الرشيد: وكان من خبرهم ماذا؟

قال الأصمعي: ذكرت الرواة أن جريرا لما أنشد عدى هذا البيت

قال: بلى، والله وعشر مئين.

قال عدى: وقر في سمعي أنقل من الرصاص، هذا والله يا أمير

المؤمنين المديح المنتقى.

قال الرشيد: والله إنه لنقى الكلام في مدحه، وتشبيهه.

قال الفضل بن يحيى: يا أمير المؤمنين، لا يحسن عدى أن يقول:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا<sup>(٢)</sup>

---

(١) العقد الفريد ٤١٤/٣

(٢) العقد الفريد ٤١٥/٣

يستقاد: يؤخذ لهم القود، وهو الثار.

قال الرشيد: بلى قد أحسن، ثم التفت الرشيد إلى الأصمعي، فقال: ما حفظت له في هذا الشعر شيئا، حين قال:

أطفأت نيران الحروب وأوقدت نار قدحت براحتيك زنادها<sup>(١)</sup>  
قال الأصمعي: ذكرت الرواة أنه يا أمير المؤمنين حك يمينا بشمال، مقتدحا بذلك، ثم قال: الحمد لله على هبة الإنعام.

قال الرشيد: رويت لذي الرمة شيئا؟

قال الأصمعي: الأكثر يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: والله لا أسألك سؤال امتحان، ولا كان هذا عليك، ولكنني أجعله سببا للمذاكرة، فإن وقع عن عرفانك، وإلا فلا ضيق عليك بذلك عندي.

فما أراد بقوله:

ممرات منية أسدية ذراعية حلالة بالمصانع<sup>(٢)</sup>

قال الأصمعي: وصف يا أمير المؤمنين حمارا وحشيا أسمنه بقل روضة، تشابكت فروعها، ثم تراسخت عروقه، من قطر سحابة، كانت في نود الأسد، ثم في الذراع منه.

---

(١) العقد الفريد

قدحت: أوريت، زنادها: الجزء الأسفل في قدح النار.

(٢) العقد الفريد ٤١٥/٣

ممرات: موضع المرور، أسدية: سحابة في نوء السد، ذراعية: في الذراع منا، حلالة: مبالغة في الحلول، المصانع: الحصون، أو جمع المصنعة، بفتح الميم، وضم النون، وقتحها، كالحوض يجمع فيه ماء المطر.

قال الرشيد: أصبت.

ثم قال الرشيد: أرويت للشماخ شيئاً؟

قال الأصمعي: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: يعجبني من قوله هذا:

إذا رد في ثنى الزمام ثنت له جرابا كحوط الخيزران المعوج<sup>(١)</sup>

قال الأصمعي: يا أمير المؤمنين، هي عروس كلامه.

قال الرشيد: فأيهما الحسن الآن من كلامه.

قال الأصمعي: الرائية، وأنشده أبياتا منها.

قال الرشيد: أمسك، فقد أمتعت منشدا، ووجدناك محسنا في أدبك،

معبرا عن سرائر حفظك.

ثم التفت الرشيد إلى الفضل بن يحيى فقال: لكلام هؤلاء، ومن تقدم

من الشعراء ديباج الكلام الحسن، وأن يزيدك على القدم جدة وحسنا،

فإذا جاءك الكلام المزين بالبديع، جاءك الحرير الصينى المذهب يبقى

على المحادثة فى أنف الروايات، فإذا أمتعته السماع ولد فى القلوب

لها رونق صواب، ولكن فى الأقل.

---

(١) العقد الفريد ٤١٥/٣



ثم قال الرشيد: يعجبني مثل قول مسلم في أبيك، وأخيك، يقصد الفضل بن يحيى، الذين امتدحهما به مخاطبا لحيلته، مفتخرا عليهما بطول الرأي في اكتساب المغانم، حيث قال:

أجذك هل تدرين إن رب ليلة      كان دجاها من قرونك ينشر  
صبرت لها حتى تجلت بغرة      كغرة يحيى حين يذكر جعفر<sup>(١)</sup>  
أفرايت؟ ما أطف ما جعلها معدنا لكمال الصفات ومحاسنها؟

ثم التفت الرشيد إلى الأصمعي، فقال: لعل أبا العباس يكون لذلك أنشط، وهو لنا ضيف في ليلتنا هذه، فأقم عنده مسامرا له، ثم نهض. ثم قال الرشيد: يؤمر للأصمعي بتعجيل ثلاثين ألف درهم في ليلتي هذه.

قال الفضل بن يحيى: لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه أحد غيره لدعوت له بمثل ما أمر به أمير المؤمنين، فدعا الفضل بن يحيى للأصمعي بمثل ما أمر أمير المؤمنين الرشيد إلا ألف درهم. قال الصمعي: فما صليت الظهر إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم.

وكان الرشيد والفضل قد اتفقا على منح الأصمعي.

(١) العقد الفريد ٤١٦/٣

أجذك: أجد منك، أى أبجد منك، الدجى: جمع دجبة، وهى الظلمة، قرونك: قرون شعرك، ينشر: بالبناء للمجهول، الغرة: بياض فى جبهة الفرس، ويقصد هنا نور الجبين، يحيى هو ابن خالد البرمكى، وجعفر هو ابن يحيى بن خالد البرمكى.

وهذا مجلس ليس غريبا على الرشيد، فهو مجلس أدب، وشعر، ونقد، وموازنة بين الشعراء، وبصر بالشعر، ومحاورة فيه. والغريب أن الأصمعي وقف على باب الرشيد، وقد هيا شعرا ينشده الرشيد، مما يدل على أن قد ذهب ببضاعته لمن يحسن مكافأته عليها، ودليل على ثقته في فهم الرشيد الشعر. والعجيب أيضا أن خادم الرشيد خرج وقال هل بالحضرة أحد يحسن الشعر، وذلك دليل على أن الرشيد يطلب من يحسن الشعر، حتى ينشده، ويحادثه في الشعر.

ولما دخل الأصمعي على الرشيد، ويظهر أن ذلك كان في أول وقت معرفة الرشيد الأصمعي، لأن للأصمعي مواقف كثيرة مع الرشيد، لكن الرواية هنا تقول إن الرشيد سأل الصمعي: أشاعر أم راوية، مما يدل على بداية معرفة الرشيد الأصمعي.

وقد سأل الرشيد الأصمعي عن المثل: قد أنصف القارة من راماها، وسأله عن رواية شعر للعجاج وروية الراجزين، ومد يده فأخرج من تحت فراشه رقعة فيها شعر، وأمر الأصمعي أن يسمعه الشعر المكتوب فيها، وكل ذلك دليل على اهتمامه بالشعر أيما اهتمام.

ثم أمر الرشيد الأصمعي أن يسمعه قصيدة عدى بن الرقاع في مدح الوليد بن يزيد بن عبدالمك، ثم تبين أنه يعلم قصة كل بيت قيل، ولا ينتظر الأصمعي حتى يخبره، وإنما يسأل الأصمعي، ويعلم ما حدث

بين جرير والفرزدق حول بيت عدى بن الرقاع، وينقد ما يراه، ثم يأمر الأصمعي أن يمر في إنشاده، ويسأل عما صنع الوليد بن زيد حين سمع الأبيات، ويعرض رأيه في الأبيات، ويصحح للأصمعي بعض ما يروى.

ولما عرض الفضل بن يحيى بيتا من الشعر يرى أن عدى بن الرقاع لا يحسن أن يقول مثله اعترض الرشيد على هذا الرأي. ويسأل الأصمعي عن شعر ذى الرمة ويعجب الرشيد بالأصمعي، ويقول: والله، لا أسألك سؤال امتحان، ولا كان هذا عليك، ولكنني أجعله سببا للمذاكرة.

ويسأل الرشيد عن شعر الشماخ، ويذكر الرشيد ما يعجبه من شعره، وينشده الأصمعي رائية الشماخ، ويذكر الرشيد أن الأصمعي أمتع منشدا، ووجده محسنا في أدبه، معبرا عن سرائر حفظه.

ويعلن الرشيد رأيه النقدي، واتجاهه في شعر القدماء، وميله لمدرسة المحافظين في الشعر بقوله: لكلام هؤلاء القدماء، ومن تقدم من الشعراء ديباج الكلام الحسن، فإذا جاءك الكلام المزين بالبديع، جاءك الحرير الصيني المذهب، يبقى على المحادثة في أنف الروايات، فإذا أمتعته الأسماع، ولد في القلوب لها رونق صواب، ولكن في الأقل، وهي نظرة نقدية، وموقف من مدرستي المحافظين والمجددين في الشعر العربي في العصر العباسي الأول.

وفى النهاية يذكر الرشيد أنه يعجب بشعر مسلم بن الوليد فى  
البرامكة.

ويختم المجلس بالأمر بمكافأة الأصمعى منه، ومن الفضل بن يحيى.  
وذلك كله ليس غريباً على مثل هارون الرشيد.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد وقع فى كتاب ورد عليه من سليمان بن أبى  
جعفر، يذكر فيه وثوب أهل دمشق: فهلا كنت كمروان ابن عمك، إذ  
خرج مصلتاً سيفه، متمثلاً ببيت الجحاف بن حكيم:

متقلدين صفائحاً هندية      يتركن من ضربوا كمن لم يولد<sup>(١)</sup>

وهذا توقيع من الخليفة جعل الشعر وسيلة فى هذا التوقيع، كما  
استشهد من شعر القدماء، ومن حكاية تمثل مروان بشعر قديم.  
وكل ذلك يدل على تبصره بالشعر، وفهمه، وحفظ القديم منه،  
ومعرفته الدقيقة بمعانى الشعر العربى، حتى إنه ليتمثل بها عند  
الحاجة إلى ذلك فى المواقف المختلفة التى تعرض عليه، والعجيب  
أنه تمثل ببيت واحد يؤدى به الغرض، ويفهم الوالى ما يقصد، وتلك  
بلاغة تحسب له.

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٨

صفائح: جمع صفيحة، وهى حديدة السيف، هندية: منسوبة إلى الهند، وهى السيوف  
الهندية.



فقالَت فاطمة أم جعفر: يا أمير المؤمنين، وأقول:

سَنَقَطع في الدنيا إذا ما قطعَتِي يمينك فانظر أي كف تبذل<sup>(١)</sup>  
أولاً: إن الرشيد بعدما نكب البرامكة تمثل ببيت من الشعر يعبر به  
عن موقف البرامكة، وموقفه منهم، ويكشف عن غرض النكبة،  
وسببها.

ثانياً: كانت المحادثة بين الرشيد وبين أمه من الرضاع محادثة أدبية  
نال فيها الشعر النصيب الأوفى، فقد تمثل الرشيد ببيت أبي ذؤيب  
الهدلي، وردت عليه أم جعفر ردا يدل على فهمها الشعر، وأنشدت  
بيتاً آخر من الشعر، فرد عليها بيت ثالث، فأجابته ببيت رابع، وكل  
هذه الأبيات تعبر عما يقصده كل منهما، فهو رد مقصود بمعناه، فهو  
ينشد البيت الأول يبين فيه أن المنية قد وقعت، ولا تجدى التمام،  
فأجابته أم جعفر بأن أفضل ما يعوز الإنسان صالح الأعمال، فأجابها  
الرشيد أن نفسه إذا انصرفت عن الشيء لا تقبل عليه حتى آخر  
الدهر، فأجابته أنه سيقطع يمينه إذا قطعها، فهي يمينه، وهي محادثة  
أدبية شعرية أشبه بمناظرة أدبية رائعة.

---

المشهوره، افتقرت: أعوذت، والتعبير على الخطاب، الذخائر: جمع ذخيرة، وهي ما  
يحفظ ويجمع، ويدخر لوقت الحاجة إليه.

(١) العقد الفريد ٢/٢٦٦-٢٦٨

يمينك: منصوب مفعول، والأصل: سنقطع يمينك في الدنيا إذا ما قطعتي.

ثالثًا: كان البيت الذي أنشده الرشيد يعبر به عن موقف البرامكة  
يقول: من لم يؤدبه الجميل، فإنه صلاحه عقوبته.  
وهكذا كان الرشيد حافظًا للشعر العربي.

\*\*\*

روى أن أعرابيا دخل على هارون الرشيد، فأنشده أرجوزة مدحه  
بها، وإسماعيل بن صبيح الكاتب يكتب بين يديه، وكان من أحسن  
الناس خطأ، وأسرعهم يدا.  
فقال الرشيد للأعرابي: صف الكاتب.  
فقال الأعرابي:

رقيق حواشي العلم حين تبور      يريك الهوينا والأمور تطير  
له قلما بؤس ونعمى كلاهما      سحابته فى الحاليتين درور  
يواجيك عما فى ضميرك خطة      ويفتح باب النجاح وهو عسير<sup>(١)</sup>  
فقال الرشيد: قد وجب لك يا أعرابي عليه حق، كما وجب لك علينا،  
يا غلام، ادفع له دية الحر.  
فقال الكاتب: وعلى عبدك دية العبد.

---

(١) زهر الأدب وثمر الألباب ١٢٦/٢

حواشى: جمع حاشية، وهى من كل شئ طرفه وجانبه، ومن الكتاب ما علق عليه من زيادات وإيضاح، تبور: تكسد، الهوينا: التمهل، تطير: تسرع، بؤس: شدة، نعمى: نعيم، درور: كثيرة الدر والصب والمطر، يواجيك: يسر إليك، النجاح: النجاح، عسير: صعب.

فقد أمر الرشيد من الأعرابي وصف الكاتب، وانصاع الأعرابي لرأى الرشيد ووصف الكاتب شعرا، فأوجب الرشيد للأعرابي على نفسه حقان كما أوجب على الكاتب للأعرابي حقا، فكانت دية الحر ودية العبد، من الرشيد وكاتبه للأعرابي، وهي منحة عظيمة لشاعر أنشد ثلاثة أبيات من الشعر، فقد قدر الرشيد للأعرابي البديهة، والارتجال في شعره، وهو أحق من يقدر ذلك، لتقديره الشعر والشعراء.

وقد وصف الأعرابي الكاتب برقة حواشى العلم، وأنه يمشى الهوينا، على رغم أن أموره تطير، وله قلما يؤس ونعمى يمضى فيهما كالسحابة الدرور، ويناجيك خطه عما فى ضميرك، ويفتح باب النجاح وهو عسير، وهو وصف أعجب به الرشيد حتى كانت هذه الجائزة التى منحها الأعرابي.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد الخليفة العباسى قال: لو قيل للدنيا: صفى لنا نفسك، وكانت ممن ينطق ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبى نواس:

إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق



وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق<sup>(١)</sup>  
أى أن الخليفة الرشيد كان معجبا بهذين البيتين لأبى نواس، من حيث  
إنهما عبرا عن الدنيا أصدق تعبير، ولو أن الدنيا عبرت عن نفسها  
ما عبرت بأحسن من تعبير أبى نواس فى هذين البيتين، وهو فهم  
دقيق لمعنى البيتين، ونقد حسن لهما.

والمعنى الذى أعجب الرشيد فى هذين البيتين هو أن الدنيا لو امتحنها  
لبيب لعرف أنها عدو تلبس ثوب الصديق، وما الناس إلا هالك وابن  
هالك، وذو نسب عريق فى الهالكين، كأن الدنيا عدو، والناس إلى  
هالك، وهو معنى فى غاية الصدق مع أنه صدر من مثل أبى نواس،  
ومن ثم كان إعجاب الرشيد بالبيتين، فهما موعظة جميلة، وحكمة  
صادقة، وفكرة قديمة جديدة باقية مؤثرة.

\*\*\*

روى أن يعقوب بن صالح بن على بن عبدالله بن عباس دخل يوما  
على الرشيد الخليفة العباسى، وهو متغيظ متردد، فندم على دخوله  
عليه، وقد كان يفهم غضبه فى وجهه، فسلم يعقوب، ثم قال يعقوب:  
داهية ناد، ثم فأوما الرشيد إلى يعقوب، فجلس.

---

(١) العقد الفريد ١٢٢/٢

لبيب: حضيف عاقل أريب، عريق: قديم، هالك: باعتبار ما سيؤول إليه، فى ثياب:  
يقصد فى مظهر، نسب: صلة وقربى.

فالتفت إليه الرشيد، وقال: لله عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقد نطق بالحكمة، حيث قال:

يا أيها الزاجري عن شيمتي سفها عمدا عصيت مقام الزاجر الناهي  
اقصر فإنك من قوم أرومتهم في اللؤم فافخر بهم ما شئت أو باهي  
يزين الشعر أقواما إذا نطقت بالشعر يوما وقد يزرى بأفواه  
قد يرزق المرء لا من فضل حيلته ويصرف للرزق عن ذي الحيلة لداهي  
لقد عجبت لقوم لا أصول لهم أثروا وليسوا وإن أثروا بأشباه  
ما نالني من غنى يوما ولا عدم إلا وقولي عليه الحمـد لله<sup>(١)</sup>  
فقال يعقوب: يا أمير المؤمنين، ومن ذا الذي بلغت عليه المقدرة، أن يسامى مثلك، أو يدانيه.

قال الرشيد: لعله من بنى أبيك وأمك.

وهذه الرواية تثبت أن الرشيد كان يتمثل بالشعر في كل موقف وحالة تطرأ عليه، وقد تمثل هنا بالشعر الذي يبين معنى هو أن بعض الناس لا ينزجرون، ولا ينتهون عما هم فيه، ويعصون زجر الزاجر للإقلاع عن شيمهم، ويقولون للزاجر: اقصر، فإنك من قوم لئام، ثم يقول: يزين الشعر أقواما ويزرى بأخرين، وقد يرزق المرء غير ذي

(١) انعقد ألفريد، المكتبة التجارية ٢٥١/١-٢٥٢

شيمتي: خلقى، الزاجري: الناهي، السفه: الطيش، اقصر: أرى عن الزجر، أرومتهم: أصلهم، ومحتدم، باهي: فاخر، يزرى: يحقر، الداهي: الداوية، الشديد المكر والحيلة، أشباه: أكفاء، يرزق، ويصرف: بالبناء للمجهول.

الحيلة، ويحرم الأريب من الرزق، وأن ثمت من يثرى وليس شبيها،  
ولا أنال من غنى، ولا عدم إلا وقولى على ما نالنى: الحمد لله.  
وهى معانى طيبة استحسناها الرشيد، وتمثل بها، وهى جديرة أن  
يتمثل بها فى موقفة الذى كان فيه، وحاله الذى كان عليه.

\*\*\*

روى الأصمعى أنه كان عند الرشيد الخليفة العباسى، إذ دخل عليه  
إسحاق بن إبراهيم الموصلى، فأنشده:

وأمره بالبخل قلت لها أقصرى      فليس إلى ما تأمرين سبيل  
فعالى فعال المكثرين تجملا      ومالى كما قد تعلمين قليل  
فكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى      ورأى أمير المؤمنين جميل<sup>(١)</sup>  
فقال له الرشيد الخليفة العباسى: لله در أبيات تأتينا بها، ما أجسن  
أصولها، وأبين فصولها، وأقل فضولها، يا غلام أعطه عشرين ألفا.  
قال إسحاق: والله لا أخذت منها درهما واحدا.  
قال الرشيد: ولم؟  
قال إسحاق: لأن كلامك، والله يا أمير المؤمنين، خير من شعرى.  
قال الرشيد: أعطوه أربعين ألفا.

---

(١) العقد الفريد ١/٢٩٩، الأغانى ٥/٥٢٢، الأمانى ١/٣١  
وأمره: بالجر، فعالى فعال: بفتح الفاء فيهما، المكثرين: بصيغة اسم الفاعل، تجملا:  
مصدر تجمل الخماس، بفتح التاء والجيم، وضم الميم المشددة، أحرم الغنى: بالبناء  
للمفعول.

- قال الأصمعي: فعلمت والله أنه أصيد لدرهم الملوك منى.
- فى نقد الرشيد الأبيات التى أنشدها إسحاق الموصلى ما يدل على فهمه الشعر، ومعرفة جيدة من رديئه، حين قال: لله در أبيات تأتينا بها، ما أحسن أصولها، وأبين فصولها، وأقل فضولها، وهو نقد ينم عن بصر بالشعر، ولا غرو فقد كانت تربيته على الشعر القديم، الذى سمعه من رواة الشعر ونقدته، وعلماء اللغة، فكان ذلك النقد ثمرة ثقافته الأدبية.
- إن الرشيد منح إسحاق الموصلى على هذه الأبيات أربعين ألف درهم، وهى قيمة ثلاثة أبيات قالها إسحاق، مما يدل على مبلغ قيمة الشعر فى بلاط بنى العباس فى العصر العباسى الأول.
- إن إسحاق الموصلى قد أعجب بنقد الرشيد الأبيات، وقال: إن كلام الرشيد خير من شعرى، وهذا دليل على استحسان إسحاق نقد الرشيد.
- إن الأصمعي قد أعلن أن إسحاق بشعره أصيد لدرهم الملوك منه بعلمه، ولغته، وروايته الشعر فكان الذى يتنازع دراهم الملوك الشعراء، والمغنون بالشعر، ورواة الشعر، وعلماء اللغة، وفى ذلك إعلاء لقيمة الشعر عن العباسيين.
- إن جلساء الخليفة الرشيد كانوا من الشعراء، والمغنين بالشعر، وعلماء اللغة، ورواة الشعر، فلا ننتظر من مثل هؤلاء إلا أن

يكونوا الدوافع، والبواعث التي تبعث الخلفاء العباسيين على إعلاء قدر الشاعر، ورفع قيمة الشعر في بلاطهم، وسمو المكافآت التي تنهال على الشعراء منهم إلى أعلى مرتبة.

- إن الشعر الذي أنشده إسحاق الموصلي فيه مدح جميل للخليفة، على طريق الحوار بينه وبين زوجته، حين تحاوره أمره إياه بالبخل، فيرد عليها أن تقصر في أمرها، فليس ثمت سبيل إلى البخل، ويتساءل قائلا: كيف أخاف الفقر، أو كيف أحرم الغنى، ورأى أمير المؤمنين جميل في، وفي شعري، أي أنه لا يخاف الفقر، ولا يحرم الغنى طالما عرف رأى الخليفة فيه، لذلك سيكون نواله من الخليفة عظيما وستظل فعالة فعال الكثيرين، أما ماله القليل فسوف يكثر بمنح الخليفة، وعطاياه، وهذا تلاعب جميل بالمعاني، والمدح، مما يجعل الخليفة يمنحه، وقد منحه فعلا عشرين ألف درهم.

- ولما تيقن أن الخليفة منحه هذه الدراهم على جودة شعره رجا الخليفة أن لا يأخذ منها درهما واحدا، وبين السبب الذي جعل الخليفة يزيده في العطاء ليصل إلى أربعين ألفا، حين قال للخليفة: لأن كلامك خير من شعري.

- ففي هذا القول تأدب، وذكاء، وبديهة حاضرة، وذهن متيقظ، وفهم لطبيعة سمات الخليفة، أو طبيعة شيم عليه الناس.

- وهذا هو دور الشعر والشاعر، فهما يخاطبان النفس الإنسانية،  
وليس بأسر النفس الإنسانية إلا مثل هذا التأدب.

\*\*\*

وروى الأصمعي أن هارون الرشيد ركب إلى الميدان لشهود الحلبة،  
فدخل الأصمعي الميدان لشهودها فيمن شهد من خواص أمير  
المؤمنين.

والحلبة يومئذ أفراس للرشيد، ولولديه الأمين، والمأمون، وسليمان  
بن أبي جعفر المنصور، ولعيسى بن جعفر.

فجاء فرس أدهم يقال له: الربد، بفتح الراء، وكسر الباء، وذال  
معجمة، بمعنى السريع، أو الزبد، بفتح الزاي، وكسر الباء، لهارون  
الرشيد سابقا.

فابتهج لذلك ابتهاجا علم ذلك في وجهه، وقال: على بالأصمعي.  
فنودي له من كل جانب، فأقبل سريعا، حتى مثل بين يديه، فقال  
الرشيد: يا أصمعي، خذ بناصية الربد، ثم صفه من قونسه إلى  
سنيكه، أي من أعلى رأسه إلى طرف حافرة، فإنه يقال: إن فيه  
عشرين اسما من أسماء الطير.

قال الأصمعي: نعم، يا أمير المؤمنين، وأنشدك شعرا جامعا لها، من  
قول أبي حذرة، يقصد جرير بن عطية الخطفي، الشاعر المشهور.  
قال الرشيد: فأنشدنا، لله أبوك.

قال الأصمعي: فأنشدته:

وأقرب كالسرحان تم له ما بين هامته إلى النسر<sup>(١)</sup>

فأمر الرشيد الخليفة العباسي للأصمعي بعشرة آلاف درهم.

- والعجيب أن الرشيد يعرف أن في الفرس عشرين اسما من أسماء الطير، ذكرها الأصمعي في شعره.

- والأعجب أن الأصمعي يحفظ قصيدة جرير التي ذكر فيها عشرين اسما من أسماء الطير للفرس.

- أما ما هو أمر معتاد أن الرشيد طلب الأصمعي، وأمره بوصف الفرس، واستمع إلى الشعر الذي أنشده الأصمعي لجرير في وصف الفرس، ووجد فيه ضالته المنشودة.

- وقد أمر الرشيد الأصمعي أن ينشده شعرا جامعا لهذه الصفات التي ذكرها.

- والغريب أيضا أن الشعر الذي أنشده الأصمعي الخليفة الرشيد قد ذكر فيه جرير عشرين اسما للطير هي أسماء أعضاء في جسد الفرس، وهي كما ذكرها جرير الهامة، والنسر، والنعامة، والفرخ، والسررد، والعصفور، والديك، والدجاجة، والصلصل،

---

(١) العقد الفريد ١/١٩٤-٢٠٠

أقرب: المنطوى البطن، السرحان: الذئب، شبهه به في ضموره، وعدوه به، الهامة: أعلى الرأس، وهي أم الدماغ، وهي من أسماء الطير، النسر: بفتح النون المشددة، هو ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه، كأنه النوى، أو الحصى، وهو من أسماء الطير.

والناهض، والغر، والسمانى، والغراب، والخطاف، والشمامة، أو السمامة، والقطاة، والحر، والخرب، والحدأة<sup>(١)</sup>.

- إن الخليفة كان يسير فى موكبه، ويشهد الحلبة معه كوكبة من العلماء، ورواة الشعر، ونقدته، وعلماء اللغة، لذا حين سر ابتهاجا بفرسه نادى الأصمعى، وأمره أن يصف الفرس من قونسه إلى سنبكه، وكأنه يريد أن ينهى هذه السعادة بسعادة أكثر، وهى الشعر الذى يتم عليه ما يريد، وكان الشعر هو فارس هذا الموقف، وليس السبق للفرس.

- إن الخليفة الرشيد كان على دراية بأن للفرس عشرين اسما لموضع منه هى نفسها أسماء للطيور، وهذه ثقافة عالية للخليفة، ويأمر الأصمعى أن يصف الفرس، وأن يذكر هذه الأسماء العشرين للفرسن والطيور، فهو يطلب الأدب، شعرا، أو نثرا فى مثل هذا الموقف، وذلك دليل على مكانة الشعر عنده، لذا اختار الأصمعى شعرا لجريير، يمثل هذه المواصفات التى ابتغاها الخليفة، وأنشده إياها، فسر بذلك الرشيد لأنه محب للشعر، ذو بصر به، وفهم له.

---

(١) العقد الفريد ١/١٩٤-٢٠٠

الهامة: طائر زعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل تقول: اسقونى من دم قاتلى، الناهض: فرخ القطا، والغز: هو ما يسمى بالرخمة، والحر: ذكر الحمام، والخرب: ذكر الحبارى.





روى أن الرشيد الخليفة العباسي قال لبعض الشعراء: هل أحدثت فينا شيئاً؟

قال: يا أمير المؤمنين، المدح كله دون قدرك، والشعر فيك كله فوق قدرى، ولكنى أستحسن قول العتابي:

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديس وتطهير  
فت الممدوح إلا أن ألسنا مستنطقات بما تخفى الضمائر<sup>(١)</sup>  
والشاهد أن الرشيد سأل الشاعر عما أحدث في الرشيد والعباسيين  
من شعر، ولعله بذلك يكون متتبعا لشعر هذا الشاعر، وأخر ما قاله  
فيهم، ويسألاه عما قال بعد ذلك، لعله أحدث فيهم شعرا لم يسمعه  
الرشيد.

وكان رد الشاعر جميلا، فقد قال: المدح كله دون قدرك، والشعر فيك  
كله فوق قدرى، ولكن استحسن قول العتابي، وذكر بيتين للعتابي،  
ومعناهما ماذا يقول فيك مادح يثني عليك، وقد أثنى عليك وناداك  
الوحي في اسمك: رجل رشيد، وأنت قد فت الممدوح إلا أن ألسنة

---

(١) العقد الفريد، المطبعة التجارية ٢٢٦/١

ناداك في الوحي تقديس وتطهير، يقصد قول الله تعالى في حكاية لوط عليه السلام مع قومه، عند قدوم الملائكة: أليس منكم رجل رشيد، فت: سبقت، أو علوت، مستنطقات: أى ناطقة، الضمير: يقصد السر، أو الباطن، الضمائر: صيغة منتهى الجموع.

الشعراء مستتطقة بما يخفى الضمير. وهذا مثال من أمثلة اهتمام  
الرشيد بالشعر.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد كان يقتل أولاد فاطمة رضى الله عنها، بنت  
النبي صلى الله عليه وسلم، من العلويين، وشيعتهم.  
وكان مسلم بن الوليد، صريع الغواني، قد رمى عنده بالتشيع، فأمر  
الرشيد بطلب مسلم، فهرب منه، ثم أمر الرشيد بطلب أنس بن أبي  
شيخ، كاتب البرامكة، فهرب منه، ثم وجد أنس، هو ومسلم بن الوليد  
عند قينة ببغداد.

فلما أتى بهما، قيل له: يا أمير المؤمنين، قد أتى بأنس بن أبي شيخ،  
ومسلم بن الوليد.

فقال الرشيد: الحمد لله الذى أظفرنى بهما.  
وأحضرهما فلما دخلا عليه، نظر إلى مسلم، وقد تغير لونه، فرق له،  
وقال: إيه يا مسلم، أنت القاتل:

أنس الهوى ببني على فى الحشا وأراه يطمح عن بنى العباس  
قال مسلم: بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين:

أنس الهوى ببني العمومة فى الحشا مستوحشا من سائر الإيناس

وإذا تكاملت الفضائل كنتم أولى بذلك يا بني العباس<sup>(١)</sup>  
فعجب هارون الرشيد من سرعة بديهته، وقال له بعض جلسائه:  
استبقه، يا أمير المؤمنين، فإنه من أشعر الناس، وامتحنه، فسترى  
منه عجا.

فقال الرشيد لمسلم: قل شيئاً في أنس.

فقال مسلم: يا أمير المؤمنين، أفرخ روعتي، أفرخ الله روعك يوم  
الحاجة إلى ذلك، فإني لم أدخل على خليفة قط، ثم أنشأ يقول:

تلمظ السيف من شوق إلى أنس فالموت يلحظ والأقدار تنتظر

فليس يبلغ منه ما يؤمله حتى يؤمر فيه رأيك القدر

أمضى من الموت يعفو عند قدرته وليس للموت عفو حين يقتدر<sup>(٢)</sup>

فاجلسه هارون الرشيد وراء ظهره، لئلا يرى ما هم به، حتى إذا  
فرغ من قتل أنس، قال لمسلم: أنشدني أشعر شعر لك.

---

(١) العقد الفريد ٢٥٠/١-٢٥١، شرح ديوان صريع الغواني ص ٣٥٧، ٣٢٤  
الهموى: السود والحب، بنى على: العلويون، الحشا: ما انضمت عليه الضلوع، يقصد  
القلب أو الصدر، يطمح: يعلو ويرتفع، بنو العمومة: يقصد العباسيين، مستوحشا: من  
الوحشة، وهي ضد الأنس، الإيناس: إما مصدر أنس، أو يقصد الإناس، جمع إنس،  
والمد لضرورة الوزن، الفضائل: جمع فضيلة، وهي المحامد والمكارم.

(٢) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٥١/١  
التلمظ: هو مسح الفم من خارجه باللسان، يدل على الرغبة في الطعام، والمعنى هنا  
أن السيف يتشوق لقتل أنس، يلحظ: يرى، الأقدار: جمع قدر، يؤمر: يتقبل الأمر، أو  
يطلب الأمر، أمضى: اسرع، يقتدر: يصير قادراً.

فكلما فرغ مسلم من قصيدة، قال له الرشيد: التي تقول فيها الوحل،  
فإني رويته وأنا صغير.

فأنشده مسلم شعره الذي أوله:

أديرا على الراح لا تشربا قبلي ولا تطلب من عند قاتلتى ذحلي  
حتى انتهى قوله:

غدونا على اللذات نجنى ثمارها ورضا حميدى العيش متقى الشكل  
أقامت لنا الصهباء صدر قناتها ومالت علينا بالخدبة والختل  
إذا ما علت منا ذوابه شارب تمتت به مشى المقيد فى الوحل<sup>(١)</sup>  
فضحك الرشيد وقال: عليك، أما رضيت أن قيدته، حتى يمشى فى  
الوحل، ثم أمر له بجائزة وخلي سبيله.

فالرواية تقول إن الرشيد ذكر البيت الذى يظهر مسلم بن الوليد  
متشيعا للعلويين، راغبا عن العباسيين، فغيره مسلم على البديهة

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٥١/١، ديوان صريع الغواني ص ٣٣-٤٢،

محاضرات الأدباء ٢٦/٢، طبقات الشعراء ص ٢٣٥

يقول لصاحبيه مخاطبا على عادة الشعراء القدماء، أديرا على: أى اجملاها تدور  
عليه، ليشرب، الراح: الخمر، الذحل: طلب الدم، أى لا تطلبا دمي من قاتلى، ولا  
تطلبا ثارا منه، غدونا: الوقت أول النهار، ورحنا: الوقت آخر النهار فى الرواح من  
وسط النهار إلى الليل، نجنى ثمارها: ننال منها ما اشتيننا، متقى الشكل: شكلهم  
متفق، أى اصحابه، ونفسه، ثمار اللذات: أطايبها، أقامت لنا الصهباء صدر قناتها:  
قومت لهم أمرها، فاستقام لهم شربها، وضرب القناة مثلا، ثم يقول: خدعتنا فى  
عقولنا، الختل: استتزاز العقول بالختل، وهو الاستراق، ثم يقول: إذا ما علت الخمر  
على رأس شارب مشى تقيلا، كما يمشى المقيد فى الوحل، وهو الطين الذى  
يغرق فيه.

والارتجال إلى إظهار الود للعباسيين دون الناس جميعا، وأن الفضائل إذا تكاملت كان العباسيون أولى بها، فعجب الرشيد من سرعة بديهة مسلم بن الوليد.

كما تثبت الرواية أن بعض جلساء الرشيد قال للرشيد: استبقه، فإنه من أشعر الناس، وامتحنه، فسترى منه عجا، وذلك دليل على مكانة جلساء الرشيد في الشعر.

وقول الرشيد لمسلم: قل شيئا في أنس، وخوف مسلم، وإنشاده ثلاثة أبيات في موقف الخليفة من أنس، ومدح الخليفة، ثم أمره أن ينشد أشعر شعر له، وكلما أنشده مسلم قال له الرشيد: التي تقول فيها الوحل، فابنى رويتها وأنا صغير، فلما أنشده مسلم القصيدة التي يقصدها الرشيد، عقب عليها الرشيد، وأمر له بجائزة.

ولعل شعر مسلم بن الوليد، ومدحه الخليفة، وإنشاده شعره، ونجاحه على البديهة في الشعر، لعل كل ذلك قد نجاه من القتل. وذلك دليل على قيمة الشعر عند الرشيد.

\*\*\*

روى سراحيل بن معن بن زائدة قال: حج هارون الرشيد وكنت كثيرا ما أسايره، إذ عرض له أعرابي من بنى أسد، فأنشده شعرا مدحه فيه، وأفرط.

فقال هارون الرشيد للأعرابي: ألم أنك عن مثل هذا في مدحك يا  
أخا بنى اسد؟ إذا قلت فينا، فقل كقول القائل فى أب هذا، يقصد قول  
مروان بن أبى حفصة يمدح معن بن زائدة، بقوله:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها فى غيل خفان أشبل  
هم يمنعون الجارحتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل  
لها ميم فى الإسلام سألوا ولم يكن كأولهم فى الجاهلية أول  
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا فى النائبات وأجملوا  
هم للقوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطبوا وأجزلوا  
ثلاث بأمثال الجبال حباهم وأحلامهم منها لى للوزن أثقل<sup>(١)</sup>  
وقد روى ابن الأعرابي هذه الرواية، وقال: وقف مروان بن أبى  
حفصة على معن بن زائدة، فأنشده هذه الأبيات، فأمر له بصلة سنية،  
وخلع عليه، وحمله، وزوده.

(١) العقد الفريد ٣٥٦/١-٣٥٧، ٣/٤٠٠-٤٠١، مهذب الأغاني ٨٢/٩  
الغيل: الشجر الكثير الملتف، خفان: بفتح الخاء والفاء المشددة، موضع كثير الغياض  
قرب الكوفة، وهو ماسدة، أشبل: بفتح الهمزة وسكون الشين، وضم الباء، جمع شبل،  
وهو ولد الأسد، هم: تنطق همو، لضرورة الوزن الشعرى، السماكان: مثنى سماك  
وهما نجمان نيران، أحدهما فى الشمال، وهو السماك الرامح، والآخر فى الجنوب،  
وهو السماك الأعزل، ويقال: بلغ السمك، أى بلغ مرتبة عالية، والسماك: بكسر السين  
المشددة، لها ميم: جمع لهميم، وهو السابق الجواد، أو جمع لهموم، بضم اللام، وهو  
الكثير الخير، النائبات: جمع نائبة، وهى النازلة، أطابوا: أعطوا عطاء طيبا، ثلاث:  
تلف وتعصب، أحلامهم: عقولهم، اللقاء: الحرب، الغيل: الأجمة من القصب، وموضع  
الأسد، والبهلول: السيد الجامع لصفات الخير، والمرح الضحاك، أجملوا: من جمال  
الأفعال.

ثم قال ابن الأعرابي: لو أعطى معن بن زائدة مروان بن أبي حفصة كل ما يملك لما وافاه حقه.

وكان ابن الأعرابي يختم بمروان بن أبي حفصة الشعراء، وما دون لأحد بعده شعرا<sup>(١)</sup>.

والشاهد هنا أن الرشيد سمع من هذا الأعرابي شعرا قبل ذلك، ونهاه عن الإفراط في المدح، وهي نظرة نقدية صحيحة.

- إن الرشيد قد رسم للشاعر طريقة المدح، وضرب له المثل بشعر مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة، وهو مثال أراد الرشيد للأعرابي أن يحتذيه.

- كان مدح مروان بن أبي حفصة معن بن زائدة منصبا على وصف قومه بالشجاعة، وحمى الجار، والسيادة في الجاهلية والإسلام، وأنهم في فعلهم الحسن أعلى مكانة من غيرهم، ولا يستطيع أحد فعالهم، وهم مصيبون في القول، مجيبون في الدعاء، مجزلون في العطاء، وأنهم في علو الجبال، وأحلامهم أنقل منها.

---

(١) مهذب الأغاني ٨٢/٩

- إن رأى الرشيد قد وافق رأى ابن الأعرابي مما يدل على أن  
للرشيد نظرة نقدية دقيقة، حتى كأنه من كبار النقاد فى العصر  
العباسى.

\*\*\*

روى أن إبراهيم الموصلى دخل على هارون الرشيد، فأخذ الرشيد  
فى حديث الجوارى، وغلبتهن على الرجال فغناه الموصلى بأبياته  
التى يقول فيها:

ملك الثلاث الأنسات عنانى      وحلن من قلبى بكل مكان  
مالى تطاوعنى البرية كلها      وأطيعهن وهن فى عصيانى  
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى      وبه قوين أعز من سلطانى<sup>(١)</sup>  
فارتاح الرشيد، وطرب، وأمر لإبراهيم الموصلى بعشرة آلاف  
درهم.

وهذه الرواية تكشف عن بعض الشعر للرشيد نفسه، فقد غناه إبراهيم  
الموصلى أبياته التى يظهر فيها أنه قد ملك عليه قلبه ثلاث أنسات،  
يطيعهن وهن فى عصيانه، مع أن البرية كلها تطيعه، ويبين تعليلاً

---

(١) العقد الفريد ١٣٤/٤

الأنسات: جمع أنسة، وهى الفتاة الطيبة النفس، المحبوب قربها وحديثها، يؤنس بها،  
عنانى: زمام، البرية: الخلق، الهوى: الحب، سلطان: سطوة.



لذلك بقوله: ذلك لأن سلطان الهوى أعز من سلطاني، فقد قواهن  
حتى ملكن زمامي.

وقد ارتاح الرشيد، وطرب، وأمر لإبراهيم الموصلى بعشرة آلاف  
درهم، إعجابا بغنائه شعر الرشيد.

\*\*\*

روى أن العماني الشاعر لما أنشد هارون الرشيد الخليفة العباسي  
يصف فرسا:

كان أذنيه إذا تشوفا قادمة أو قلما محرفا

ولحن، فنصب خبر كان، فهم ذلك أكثر من حضر.

فقال الرشيد للعماني: اجعل مكان: كان، تخال.

فعجبوا لسرعة بديهته<sup>(١)</sup>.

فقد صوب الرشيد بيت العماني الشاعر نحويا، مع الحفاظ على  
المعنى، وذلك أمر لا يستطيعه إلا الناقد الحصيف، المتمرس بأدب  
القدماء وشعرهم، البصير بنقد النقاد من الطراز الأول، مما يدل على

---

(١) زهر الآداب وثمر الآليات ٢/٢٣، المقد الفريد ٤/١٨

تشوفا: ارتفع إلى أعلى أو إلى بعيد، قادمة: ريشات تظهر إذا ضم الطائر جناحيه،  
عكس الخوافي، محرفا: بصيغة اسم المفعول، من حرف، الرباعي، بتشديد الراء أي  
مانلا، أذنيه: يقصد أذنى الفرس، والقوادم: عشر في كل جناح، والخوافي: ريشات  
تخفي إذا ضم الطائر جناحيه، تشوفا: أي الأذنان يسمع بهما من بعيد، أو ينظر.

أن الرشيد قد استفاد بتعليم المؤدبين إياه على لغة قومه الصحيحة،  
وشعر العرب السليم.

\*\*\*

روى أنه قدم على هارون الرشيد الخليفة العباسي أعرابي من باهلة،  
فمثل بين يدي الرشيد.

فقبل له: خذ في شرف أمير المؤمنين.

فاندفع الأعرابي في شعره، فقال الرشيد: يا أعرابي، اسمعك  
مستحسنا، وأنكرك متهما، فقل لنا بيتين في هذين - يعنى محمدا  
الأمين، وعبدالله المأمون ابنيه، وهما عن حفاقيه.

فقال الأعرابي: حملتني على الوعد القردد، ورجعتني عن السهل  
الجدد، روعة الخلافة، وبهر الدرجة، ونفور القوافي على البديهة،  
فأروني تتألف لي نوافرها، ويسكن روعي.

قال الرشيد: قد فعلت، وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك.

قال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، نفست الخناق، وسهلت ميدان السباق.  
فأنشأ يقول:

ذرا قبة الإسلام فاخضر عودها  
وأنت أمير المؤمنين عمودها<sup>(١)</sup>

بنيت لعبد الله ثم محمد  
هما طنباها بارك الله فيهما

---

(١) العقد الفريد ١/٣٥٨-٣٥٩

فقال الرشيد: وأنت يا أعرابي، بارك الله فيك، فسل، ولا تكن مسألتك دون إحسانك.

قال الأعرابي: الهنيدة، يا أمير المؤمنين.

فأمر الرشيد له بمائة ناقة، وسبع خلع.

وهذه الرواية تدل على تذوق الرشيد الشعر، وفهمه، ومعرفة جيدة من رديئه، فهو كالصيرفي الذي يعرف الجيد من الرديء من الدنانير، فقد سمع شعرا جيدا، وارتاب في الشاعر، فأراد امتحانه ليعرف قدره في هذا الفن.

- إن الرشيد قد عرف أن الشعر الذي أنشده الأعرابي له، من اعتذاره، وجعل اعتذاره بدلا من امتحانه، وذلك دليل على فهم دقيق للأدب العربي، وأساليب الأدباء، وارتباط الأساليب بعضها ببعض، حتى بين الشعر والنثر، وتلك منزلة عالية في فهم الأدب العربي.

---

القردد: ما ارتفع من الأرض، بفتح القاف وسكون الراء، الجدد: بفتح الجيم والذال، الأرض الغليظة المستوية، عبدالله: هو المأمون، محمد: هو الأمين، ذرا: جمع ذروة، وهي أعلى الشيء، اخضر عودها: نمت وعلت، طنبان: مثني طنب، بضم الطاء والسنون، جبل طويل يشد به سرادق البيت، أو هو الوتد، أمير المؤمنين: منادى حذف منه حرف النداء، عمود: هو أساس الخيمة. الهنيدة: بضم الهاء وفتح النون، وسكون الياء، وفتح الذال، تصغير هند، اسم للمائة من الإبل، أو لما فوقها ودونها، أو للمائتين، خلع: بكسر الخاء، جمع خلعة: وهو ما يخلع من الثياب.

- إن الرشيد عقد امتحانا للأعرابي في الشعر، بأن حدد له موضوع الشعر، وهو مدح ابنه: الأمين، والمأمون، واستحسن الرشيد شعر الأعرابي في مدح ولديه.
- إن الشعر الذي أنشده الأعرابي جعل فيه الرشيد بانيا ذرا قبة الإسلام لولديه، وقد قويت واخضر عودها بهما، فهما طنبا البيت، وهو عمود البيت، وهو مدح يعلو عند الرشيد، ويلائم بدواة الأعرابي فأيقن الرشيد أن الشعر له.
- إن الرشيد أعجب بالشاعر حتى قال له: سل، ولا تكن مسألتك دون حاجتك، ومنحه جائزة عظيمة.
- وهكذا كان الرشيد ناقدا حصيفا في الشعر العربي.



روى أن الأصمعي كان عند هارون الرشيد، فقدمت إليه فالوذجة، فقال الرشيد للأصمعي: حدثني بحديث مزود أخى سماح. فحكى الأصمعي هذه القصة، وهى أن مزودا كانت أمه تؤثر عيالها عليه، وكان جشعانها، وكان ذلك يحفظه، فذهبت يوما فى بعض حقوق أهلها، وخلفت مزودا فى بيتها، فدخل الخيمة، فأخذ صاعين من دقيق، وصاعا من عجوة، وصاعا من سمن، فضرب بعضه ببعض، فأكله.

ثم أنشأ يقول:

ولما مضت أمى تزور عيالها      أغرت على العكم الذى كان تمنع  
خلطت بصاعى حنطة صاع عجوة      إلى صاع سمن فوقه يتربع  
وذيلت أمثال الأثنى كأنها      رؤوس رجال قطعت لا تجمع  
وقلت لبطنى أبشرى اليوم إنه      حمى أمن مما تفيد وتجمع  
فإذا كنت مصفورا فهذا دواؤه      وإن كنت غرثانا فذا يوم تشبع<sup>(١)</sup>  
فاستضحك الرشيد فمد يده، وقال للأصمعى: خذ، فذا يوم تشبع، يا  
أصمعى.

والشاهد أن الرشيد يعرف هذه القصة الأدبية التى روى فيها هذا الشعر، وهى طرفة جميلة أراد الرشيد الحديث فيها، لكنه يريد أن يسمعها من الأصمعى الراوية الثقة.

- إن الأصمعى حكى هذه القصة والشعر الذى قيل فيها وذلك دليل على أن الأصمعى بلغ حدا عظيما فى رواية الشعر العربى، والرشيد يعلم ذلك.

(١) المعقد الفريد ٣١٢/٤

العكم: بكسر العين وسكون الكاف، العدل، بكسر العين، أو الشد بحيل أو خيط، فيكون بفتح العين وسكون الكاف، حنطة: قمح، الأثافى أحجار من ثلاث جهات للنار، مصفورا: من الصفر، بفتحين، وهو فيما تزعم العرب حية فى البطن تعفض الإنسان إذا جاع، واللذع الذى يجده عند الجوع من عضه، الغرثان: العطشان الجائع.

- إن الرشيد كان يجلس إليه علماء اللغة ورواة الشعر القديم، حتى يسمع منهم الشعر العربي القديم، لذا كان من مدرسة المحافظين في العصر العباسي الأول.
- إن الرشيد أعجب بالأصمعي، لذا كانت الجائزة التي يشبع بها في ذا اليوم الأصمعي، تقديرا لروايته الشعر العربي.
- إن الرشيد هو الذي سأل الأصمعي عن هذه القصة، وذاك الشعر مما يدل على حبه الشعر العربي، حتى ليجعله سمر مجالسه الأدبية.



روى أنه دخل سهل بن هارون، على هارون الرشيد، فوجده يضاحك ابنه المأمون، فقال سهل: اللهم زده من الخيرات، وأبسط له في البركات، حتى يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمره، مقصرا عن غده.

فقال له الرشيد: يا سهل، من روى من الشعر أحسنه، وأجوده، ومن الحديث أصحه، وأبلغه، ومن البيان أفصحه، وأوضحه، إذا رام أن يقول لم يعجزه؟

قال سهل: يا أمير المؤمنين، ما ظننت أحدا تقدمني إلى هذا المعنى، أو سبقني إلى هذا المعنى.

فقال الرشيد: بل سبقك أعشى همذان، حيث يقول:

وجدتك أمس خير بنى لوى وأنت اليوم خير منك أمس  
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا كذاك تزيد سادة عبد شمس<sup>(١)</sup>

والشاهد هنا أن الرشيد يسأل سهل بن هارون الأديب عن روى من الشعر أحسنه، وأجودهن ومن الحديث أصحه وأبلغه، والبيان أفصح، وأوضحه، إذا رام أن يقول لم يعجزه القول، وهو سؤال عالم بالشعر والأدب يريد أن يتعرف على الدرر والقلائد، مما يدل على مبلغ مكانته الأدبية.

- إن سهل بن هارون رد على الخليفة بأنه ما ظن أن أحذا تقدمه في المعنى الذى عبر عنه فى دعائه للمأمون، حين وجد الرشيد يضحكه، وهو أن يكون يومه موفيا على أمسه، مقصرا عن غده.

- إن الرشيد ذكر لسهل بن هارون أن هذا المعنى سبقه إليه أعشى همدان فى بيتين من الشعر، رواهما الرشيد، مما يدل على حفظه الشعر العربى، ووصوله إلى درجة عالية فى فهم الشعر القديم، ومعرفة معانيه، ورواياته، وشعرائه، والسبق فى المعانى

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٧٧/١، زهر الآداب وثمر الآلاب ٢٥٣/٢،  
العقد الفريد ٤/٤

يروى: حسبتك، بنى لوى: قبيلة عربية، ضعفا: ضعف الشيء ما كان معه ما يماثله، سادة: جمع سيد، عبد شمس: قبيلة قرشية بمكة، ويروى: خير بنى معد، ويروى: تزيد الضعف خيرا.

المختلفة، وتلك منزلة عالية في الشعر العربي للرشيد الخليفة  
العباسي.

\*\*\*

روى أن عبد الملك بن صالح دخل على الرشيد الخليفة العباسي  
يوماً، فلم يلبث في مجلسه أن التفت الرشيد، فقال متمثلاً:

أريد حياته ويريد قتلى      عذيرك من خليلك من مراد

فقال عبد الملك بن صالح: كنت كما قال الشاعر أخو بني كلاب.

ومقام ضيق فرجته      بلساني ومقامي وجدل

لو يقوم الفيل أو فياله      زل عن مثل مقامي وزحل<sup>(١)</sup>

فرضي عنه الرشيد، ورحب به، وقال: وريت بك زنادي.

والشاهد أن الرشيد تمثل ببيت شعري لموقف تعرّض له، وأنشده  
جليسه.

- إن جليسه كان من رواة الشعر، وحفظته، فهو من البيت  
العباسي، ربي في حضن الخلافة، وغذى بالشعر العربي، فتمثل  
بشعر في موقف الخليفة يعبر عن حاله، والمعنى الذي يقصده،  
فكانت مساجلة بين الرشيد وجليسه في الشعر العربي القديم، سعد

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٣٥/١  
فياله: سائسة، زل: سقط، زحل: كوكب



لها الرشيد، ورضى عن جلسه لحفظه الشعر، ورحب به لذلك،  
وقال له: وريت بك زنادى.

- وهذه قيمة كبيرة للشعر فى مجالس الخليفة الرشيد.
- إن الرشيد ذكر بيتا فيه أن من يعينه يريد الرشيد حياته، ويريد هو قتل الرشيد، فكان بيتا جلسه مدحا للرشيد بأن ذلك مقام لا يقومه إلا الرشيد، أى أنت أهل له أيها الخليفة، ولا يقوم مقامك الفيل أو فياله، وإلا زل عن هذا المقام.
- إن الرشيد سعد بهذا المعنى، وارتاح له.

\*\*\*

روى أنه لما عقد الرشيد، الخليفة العباسى، للأمين ابنه، وهو أصغر من المأمون، ابنه، بولاية العهد، لأجل أمه العربية زبيدة، وكلام أخيها عيسى بن جعفر، وقدمه على المأمون، لأن أمه فارسية، جعل الرشيد يرى فضل عقل المأمون، فيندم على ذلك، فقال الرشيد:  
لقد بان وجه الرأى لى غير أننى غلبت على الأمر الذى كان أحزما  
فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما توزع حتى صار نهبا مقسما  
أخاف التواء الأمر بعد استوائه وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما<sup>(١)</sup>

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢/٢٤٨-٢٤٩

بان: ظهر، وجه الرأى: وجهته، وبعده، غلبت: بالبناء للمجهول، أحزم: أكثر حزما وسدادا، الدر: در اللبن من الضرع، الضرع: لكل ذات ظلف أو خف، توزع: تقسم،

والشاهد أن الرشيد قد أنشد شعرا فى موضوع تعرض له، وكان موضوع ولاية العهد، وقد عبر عنه تعبيرا غاية فى الدقة، والوضوح، بأسلوب سهل، وألفاظ معبرة واضحة، ومعان ملائمة، وتصوير جميل، وهى درجة عالية فى الشعر العربى.

- إن الرشيد أتى بتصوير جميل معبر مطابق، ملائم للبيئة العربية فى البيتين الثانى والثالث، فى قوله: فكيف يرد الدر فى الضرع، وقوله وأن ينقض الحبل الذى كان أبرم.

- إن الرشيد ينشد الشعر، ويعد ذلك إضافة جيدة إلى ثقافته الأدبية وليس عيبا يعيبه، فالشعر فن راق لا يأنف منه عليه القوم، ويسمو به وإليه الناس.

\*\*\*

روى أن المأمون دخل على والده هارون الرشيد، وعنده مغنية تعنيه، فلحنت، فكسر المأمون عينه عند استماعه اللحن، فتغير لون الجارية، وفتن الرشيد لذلك، فقال: أعلمتها بما صنعت؟

قال المأمون: لا والله يا مولاي.

قال هارون الرشيد: ولا أومات إليها.

قال المأمون: قد كان ذلك.

---

نهبا: منهوبا، التواء: عدم صحة الرأى، استوائه: صحته، ينقض: يهدم، الحبل: الصلة، أبرم: بالبناء للمجهول، أى قتل وقوى.

فقال هارون الرشيد: كن منى بمرأى ومسمع، فإذا خرج إليك أمرى،  
فانته إليه.

ثم أخذ هارون الرشيد دواة وقرطاسا، وكتب إلى المأمون:

يا أخذ اللحن على الـ      قينة عند الطرب  
تريد أن تفهمها      حد لغات للعرب  
أقسم بالله ومـ      سطر أهل الكتب  
للكلب خير أبا      من بعض أهل الأندب<sup>(١)</sup>

والشاهد هنا أن الرشيد أنشد الشعر في موقف ابنه المأمون، الذي  
حدث في الوقت نفسه الذي أنشد الرشيد فيه الشعر على البديهة،  
والارتجال، وهي مكانة عالية في الشعر.

- إن المأمون والرشيد قد عرفا موطن لحن المغنية، فقد كسر  
المأمون عينه عند لحن الجارية، وفطن الرشيد لذلك، وعرف أن  
المأمون أوما إليها بخطئها.

- إن هذه الرواية تدل على مكانة الرشيد والمأمون في الشعر،  
والنحو، واللغة، وأولهما الخليفة، وثانيهما صار خليفة أيضا.

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٣

اللحن: توقيع الغناء على الشعر، القينة: الجارية المغنية، الطرب: الغناء، حد: قانون  
أو قواعد، سطر: كتب.



روى أن الأصمعى قال: ما رأيت الرشيد مبتذلاً قط إلا مرة كتبت إليه عنان الجارية الناطفى رفعه فيها:

كنت فى ظل نعمة بهواكا      أمنا منك لا أخاف جفاكا

فسعى بيننا الوشاة فاقرر      ت عيون الوشاة بى فهناكا

ولعمرى لغير ذا كان أولى      بك فى الحق يا جعلت فداكا<sup>(١)</sup>

فأخذ هارون الرشيد الرقعة بيده، فقال: أيكم يشير إلى المعنى الذى فى نفسى، فيقول فيه شعراء، وله عشرة آلاف درهم، وكان فى مجلسه الأصمعى وأبو جعفر الشطرنجى، فبدر أبو جعفر فقال:

مجلس ينسب السرور إليه      لمحِب ريحانه نكراكا<sup>(٢)</sup>

فقال الرشيد: يا غلام، بدره.

فقال الأصمعى.

لم ينلك الرجاء أن تحضرينى      وتجاقت أمنيتى عن سواكا

قال الرشيد: أحسنت والله يا أصمعى، لها ولك بهذا البيت عشرون

ألفاً، قال جرير:

---

(١) العقد الفريد ١٤٢/٤

هواك: حبك، جفاك: إعراضك، وبعدك، وبفضك، سعى: مشى بالنميمة، الوشاة: جمع الواشى، وهو النمام، أقررت: طمأنت، هناك: أى هناؤك وسعادتك، جعلت فداكا: جملة دعائية، بمعنى: جعلنى الله فداء حياتك، أو حياتى فداء حياتك.

(٢) العقد الفريد ١٤٢/٤

ريحانه: عطره، وكانوا يضعون الريحان فى المجلس.

كلما دارت الزجاجة والكاس أعارته صورة فبكاكا

ثم قال الرشيد: أنا أشعركم، حيث أقول:

قد تمنيت أن يغشني اللـه نعاسا لعل عيني تراكا<sup>(١)</sup>

قالوا له: صدقت والله يا أمير المؤمنين.

والشاهد أن جارية الرشيد قد كتبت إليه شعرا تعبر به عن حالها معه، وتلك منزلة عالية تسمو بها الجارية في بيت الخلافة، وكانت الجوارى يرببن في بيوت المقينين في العصر العباسي على الأدب، والشعر، والقصص، والسمر، ثم يبعن، ليصلن إلى قصور الخلافة أفضل ما يكن في الأدب والشعر والغناء.

- إن الرشيد عرض على جلسائه أن يشيروا إلى المعنى الذي في نفسه، ويقولوا فيه شعرا، وعقد مساجلة بينهم، يكون لأحدهم عشرة آلاف درهم.

- إن جلساءه قال كل منهم بيتا من الشعر، ومنح الأول بكرة من المال، ومنح الأصمعي والجارية عشرين ألف درهم.

---

### (٣) العقد الفريد ١٤٢/٤

لم يملك: لم يملك، تحضريني: تحضري عندي، تجافت: بعدت، وتباعدت، الزجاجة: يقصد الخمر، والكاس: الكوب فيه الشراب، دارت: أى وزعت على الشاربين، أعارته: منحته، صبوة: فتوة وقرّة وجهالة الشباب والصبا، بكسر الصاد، يغشيني: يغطيني، ويشملني، النعاس: النوم، تراك: أى فى المنام.

- إن الرشيد روى بيتا لجرير، ثم قال: أنا أشعركم، وأنشد بيتا من الشعر هو أقوى ما قيل في موضوعه في الشعر الذي أنشد في هذا المجلس.
- لنا أن نتصور مجلسا أدبيا رويت فيه هذه الرواية، وأنه مجلس الخليفة الرشيد.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد قال في قينه له:

تبدى صدودا وتخفى تحته مقة فالنفس راضية والقلب غضبان  
يا من وضعت له خدى فذله وليس فوقى سوى الرحمن سلطان<sup>(١)</sup>  
وروى أن ماردة عتبت على هارون الرشيد، فكانت تظهر الكراهة،  
وتضمر المحبة، فقال فيها الرشيد البيتين السابقين.  
والشاهد أن الرشيد أنشد هذين البيتين، سواء أنشدهما في ماردة  
جاريته، التى تزوجها بعد ذلك، أو فى غيرها، لكنهما بيتان فى  
الغزل.

- إن البيتين يعبران عن حال الرشيد أصدق تعبير، فقد وضع خده  
لجاريته فذلته، مع أنه الخليفة الذى لا يعلو عليه فى المنزلة فى  
دولته أحد، وقد ذلته جارية.

---

(١) العقد الفريد ١٤٥/٤-١٤٦، العقد الفريد ٣٧٨/٤  
صدود: إعراض، مقة: حب.

- إن البيت الأول وصف جميل لصدود المحب الوامق، فالنفس راضية، والقلب غضبان، معنى مبتكر طريف، برع فيه الرشيد.
- إن اللغة التي كانت بين الرشيد وجواريه هي لغة الشعر، وتلك منزلة عالية للخليفة في دولة الشعر، وللجارية أيضا.

\*\*\*

روى أن الرشيد كتب على قرطاس لجارية من جواري زبيدة:

قبلته من بعيد                      فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس، ف وقعت فيه

فما برحت مكاني                      حتى وثبت عليه

فكتبت إليه زبيدة زوجه:

وعاشق صب بمعشوقه                      كأنما قلباهما قلب

روحاهما روح ونفساهما                      نفس كذا فليكن الحب<sup>(١)</sup>

والشاهد هنا أن الرشيد قد عقد مساجلة شعرية بينه وبين جاريته، فقد عبر لها عن معنى في نفسه شعرا، وردت عليه بالشعر أيضا، فكان الشعر همزة الوصل بين الخليفة والجارية، ولنا أن نتصور ذلك الفن الذي يسوى بين الخليفة والجارية.

---

(١) المعقد الفريد ٢٧٧/٤  
الصب: المحب، أو رقة الشوق وحرارته.

- إن الرشيد لم يتأفف من مخاطبة جاريتة بالشعر، ولا من مخاطبة الجارية إياه بالشعر أيضا.
- إن بيت الرشيد غزل صريح، ردت عليه الجارية بغزل صريح أيضا.
- إن زبيدة زوج الرشيد عتبت عليه بشعر أيضا، عبرت في عتابها عن غزل أيضا عما يجب أن يكون الحب.
- إن بيت الخليفة من الخليفة، وزوجه، وجاريتة كان الشعر لغة التخاطب فيه، وهي منزلة عالية للشعر في عصر الرشيد.

\*\*\*

روى أن الرشيد كان إذا أطل على الملاحين في الزلاجات بدجلة من قصره سمعهم يغنون، فيعجبه غناؤهم، إذا ركب الزلاجات، وينادى بلحنهم، فقال يوما: قولوا لمن معنا من الشعراء يعلموا لهؤلاء شعرا يغنون به.

ف قيل له: ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس. فوجه إليه الرشيد، يأمره بعمل الشعر، ولم يأمر بإطلاقه، فغاضه ذلك، وعمل شعرا في الوعظ والتذكير بتقلب الأيام، لينغص على الرشيد سروره إذا سمعه، وأقسم على ذلك، فدفع الشعر إلى الملاحين. وكان الرشيد سريع التأثر يبكي وينتحب إذا مرت الموعظة بأذنه، فكان إذا سمع الملاحين يتغنون بما صنعه أبو العتاهية لهم يبكي، فلما ركب الحراقة سمع الشعر، وهو قول أبو العتاهية.



أيهـا القلب الجموح	خانك للطرف الطموح
دنـو ونزوح	لدواعى الخير والشر
توبة منه نصوح	هل لمطلوب بذنب
إنما هن قـروح	كيف إصلاح قلوب
ن الخطايا لا تقوح	أحسن الله بنا أذ
بين ثوبيه فضوح	فإذا المستور منا
طويت عنه الكشوح	كم رأينا من عزيز
صائح الدهر الصدوح	صاح منه برحيل
ض على قوم فتوح	موت بعض الناس فى الأرح
جسدا ما فيه روح	سيصير المرء يوما
علم الموت يلـوح	بين عيني كل حى
موت يغدو ويروح	كلنا فى غفلة والـ
يا غبوق وصبوح	لبنى الدنيا من الدنـ
ن عليهن المسوح	رحن فى الوشى وأصبحـ
ر له يوما نطوح	كل نطاح من الدهـ
كين إن كنت تتوح	نح على نفسك يا مسـ
مرت ما عمر نوح <sup>(١)</sup>	لتموتن وإن عـ

---

(١) عصر المأمون ٢/٣٧٢

فلما سمع ذلك الشعر الرشيد جعل يبكى، وينتحب، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة، وأشدهم عسفا في وقت الغضب والغلظة، فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أوماً إلى الملاحين أن يسكتوا.

والشاهد هنا أن الرشيد كان يعجبه غناء الملاحين، ويتأذى بلحنهم، فأراد أن يصنع لهم شعر يتغنون به، خال من اللحن، وذلك دليل على حبه الشعر العربي، واهتمامه به، وباللغة والنحو العربي.

ولما صنع أبو العتاهية هذا الشعر عرف أن الرشيد يتأثر بالشعر، فأقسم على أنه سيصنع شعرا يحزنه ولا يسر به، والعجيب أن ذلك قد وقع، فلما سمع الرشيد الشعر جعل يبكى وينتحب، حتى إن الرواية تثبت أن الفضل بن يحيى لما رأى كثرة بكاء الرشيد أوماً إلى الملاحين أن يسكتوا، وذلك دليل على غاية التأثر من الرشيد بالشعر، وغاية الفهم الدقيق لمعانيه.

---

طمح الطرف: نظر إلى أعلى، الطرف: البصر، الجموح: النفور، دنو: قرب، نزوح: بعد، توبة نصوح: لا ذنب بعدها، قروح: جمع قرح، بمعنى جرح، الخطايا: جمع خطيئة لا تفوح: لا تنتشر، فضوح: ما يفضح من عمل، الكشوح: جمع كشح: وهو جانب الجسد من الإبط إلى الخاصرة، الصدوح: الصادق، أو عالي الصوت، فتوح: جمع فتح بمعنى الخير، علم: دلالة، يلوح: يظهر، بنو الدنيا: البشر، غبوق وصبوح: شرب اللبن مساءً وصباحاً، ثم استعمل لشرب الخمر، المسموح: جمع مسح بكسر الميم، هو البلاس، وهو فارس معرب، ثوب ممسوح، نطاح: مبالغة في النطح، وهو الضرب بالرأس من الحيوان، نح: من النواح، وهو البكاء بصوت، عمر نوح: أي عاش عمرا طويلا، ألف سنة وخمسين عاما.



# الفصل السادس

الشعر في عصر الأمين

١٩٣ - ١٩٥ هـ



الأمين، ١٩٣هـ - ١٩٨هـ، هو أبو عبدالله محمد الأمين بن هارون الرشيد، من زوجته زبيدة، وأخو المأمون، والمعتصم، وكلهم أولاد هارون الرشيد، لكن أمهاتهم مختلفات، فأم الأمين زبيدة حفيدة الخليفة أبي جعفر المنصور، لذا قدم على المأمون، وهو أصغر منه، بفضل أمه، وبفضل جعفر البرمكي ببيع للمأمون بعده، لأن أمه فارسية، تدعى مراجل، وبفضل الوزير عبدالملك بن صالح ببيع للمعتصم، أو المؤتمن، لأن أمه تركية<sup>(١)</sup>، وهي ماردة<sup>(٢)</sup>.

وبويق له بالخلافة فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقُتل يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وأياما، صفا له الأمر من جملتها سنين وشهرا، وكانت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون سنين، ووزر له الفضل بن الربيع، وكان حاجبه العباس بن الفضل بن الربيع<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

وقد كان يؤدبه من المرابين أفاضل الرواة، واشياخ العربية، فقد أدبه خلف الأحمر النحوى، ثم أدبه الكسائى<sup>(٤)</sup>.

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/١٢١

(٢) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٢٥٣

(٣) العقد الفريد ٣/٣٠١

(٤) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٩

وعلى رغم قصر المدة التي حكم فيها الأمين إلا أنه كان له دور في رفع منزلة الشعر والشاعر، لما كان من الثراء والغنى في عهده، وما كان من التبذير والإسراف في الإنفاق، حتى أعد في إحدى حفلاته بهو المآدب الحافلة المزينة بأندر أنواع السجاد، والوسائد، والزخارف، وأنواع الزينة، وحضرها مائة مغنية انتظمن في عشر فرق، في أيديهن سعف النخيل، يخطرن بالغناء في حضرته، ثم انقلب الخليفة، وقد لبس الحفل أزهى حله إلى ما يشبه المخمور، فحطم الحفل، وأظهر التساوم، وعصف بكل ما فيه من زينة<sup>(١)</sup>.

ويقال: إن صلات الأمين تجاوزت كل حد، فقد طرب ليلة لغناء اسحاق الموصلي، فأعطاه ألف ألف درهم.

وأهدى بذل المغنية ما فاق كل تصور، فيقال: إنه أهداها من الجواهر ما لم تملك واحدة مثله<sup>(٢)</sup>.

وقد وجه الأمين إلى جميع البلدان في طلب الملهين، وضمهم إليه، وأجرى لهم الأرزاق، ونافس في ابتياع فرو الدواب، وأخذ الوحوش والسباع والطيور، وقسم ما في بيوت الأموال، وما بحضرته من

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٢٥٨

(٢) في الأدب العباسي، العصر الأول ص ٥٥

الجوهر، والخزائن، والسلاح، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته،  
ومواضع خلوته، ولهوه ولعبه<sup>(١)</sup>.

كل ذلك حمل الشعراء على أن يكون لهم نصيب في هذا التبذير،  
والإنفاق، والأموال، وهم يحملون في قلوبهم فنا له قيمته، ودوره في  
الحياة في العصر العباسي.

\*\*\*

روى أن أبا الشيص رثى هارون الرشيد الخليفة العباسي، ومدح ابنه  
محمدًا الأمين بقوله في قصيده له اجتمع فيها الرثاء، والمدح،  
والتهنئة معا:

جرت جوار بالسعد والنحس	فنحن في وحشة وفي أنس
العين تبكي والسن ضاحكة	فنحن في ماتم وفي عرس
يضحكننا قسيم الأمين ويبـ	كينا وفاة الإمام بالأمس
بدران بدر أضحي ببغداد في الـ	خلد وبدر بطوس في الرمس <sup>(٢)</sup>

(١) تاريخ الطبري ٢١٥/١٠

(٢) العقد الفرید ١٩٩/٢

جوار: جمع جارية، وهي البينة، أو ما يجري على العباد من أقدار، النحس: الشؤم،  
السن ضاحكة: هذا التعبير شائع، لأن الضحك يظهر السن، ماتم: كل مجتمع في حزن  
أو فرح، ثم خص بمجتمع الحزن، وأصله عند العرب نساء يجتمعن في الخير والشر،  
وعند العامة المصيبة، قسيم: نصيب، الأمين: الخليفة العباسي ابن هارون الرشيد، في  
الخلد: قصر الخلد في بغداد، طوس: بلدة فيها قبر الرشيد، الرمس: القبر.



والشاهد أن هذا الموقف، وهو موقف الرثاء والمدح والتهنئة معا استطاع الشعر أن يوجد له مكانا على يد شاعر هو أبو الشيص، وأمام خليفة هو الأمين، والشعر هنا عرف قدر الشعر عند الأمين، فكان منه هذا الشعر في مثل هذا الموقف، ولو لم يعرف أبو الشيص أن شعره سيكون مقبولا لدى الخليفة في مثل هذا الموقف ما أنشد شعره، لكنه يعرف بكل تأكيد تقدير الخليفة شعره، فكان هذا الشعر الذي اجتمع فيه الرثاء، والمدح، والتهنئة معا في أبيات أربعة غاية في دقة التعبير عن هذا الموقف العجيب.

\*\*\*

روى أن اسحاق بن إبراهيم الموصلى قال: دخلت على الخليفة الأمين محمد بن زبيدة، ومعه وصائف، بيدوصيفة منهن مروحة مكتوب عليها:

بي طاب العيش في الصيـ	ف وبي طاب السرور
ممسكى ينفى أذى الحر	ر إذا اشتد الحرور
الندى والجود في وجـ	ه أمين الله نور
ملك أسلمه الشـ	ه وأخلاه النظير <sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد ٣٨٥/٤

الحرور: بفتح الحاء، الريح الحارة، وهى بالليل كالسوموم بالنهار، وقيل: الحرور بالليل وقد يكون بالنهار، الشبه: الشبيه، والنظير كذلك.

وفى عصابة:

أشمس فى العصابة أم هلال

ألا بالله قولوا يا رجال

وفى عصابة أخرى:

أتهوون الحياة بلا جنون

فكفوا عن ملاحظة العيون<sup>(١)</sup>

وذلك دليل على قيمة الشعر، وقدره، حتى إنه ليكتب على عصائب الوصائف هذا الشعر.

والأبيات الأولى فى عمل المروحة، ومدح الأمين.

والبيت الثانى غزل يعد من قبيل الفخر بالنفس على طريقة الغزل.

والبيت الثالث غزل أيضا، فيه قدر كبير من الفخر على طريقة الغزل.

وذلك كله لوصائف الخليفة، وفى مجلسهن مما يدل على غلبة الشعر حتى على عصائب الوصائف ومراوجهن.

\*\*\*

روى أن إبراهيم الموصلى غنى محمدا الأمين بشعر الحسن بن هانىء، يقول فيه:

خلت الدنيا من الفتن

رشأ لولا ملاحظته

حسنه عبدا بلا ثمن

كل يوم يسترق له

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٨٦  
العصابة: ما تعصب به الرأس.

يا أمين الله عش أبدا      دم على الأيام والزمن  
أنت تبقى والغناء لنا      فإذا أفنيتنا فكُن  
سن للناس القرى فقروا      فكان البخل لم يكن<sup>(١)</sup>

فاستخف الطرب الأمين، حتى قام من مجلسه، وأكب على إبراهيم  
الموصلى يقبل رأسه، فقام إبراهيم من مجلسه يقبل أسفل رجله، وما  
وطئنا من البساط، فأمر الأمين لإبراهيم بثلاثة آلاف درهم.  
فقال إبراهيم: ياسيدى قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف  
درهم.

قال الأمين: وهل لك ذلك إلا خراج بعض الكور؟  
وهذه الجائزة، أو لنقل الجوائز التي بلغت عشرين ألف ألف درهم  
على غنائه وشعره.

- إن الرواية تثبت أن الطرب قد استخف الأمين، حتى قام من  
مجلسه، وأكب على إبراهيم الموصلى يقبل رأسه.  
- إن الأمين يستقل جوائز إبراهيم الموصلى، ويقول: وهل لك ذلك  
إلا خراج بعض الكور؟

---

(١) العقد الفريد ١٣٤/٤

رشا: ولد الطيبة إذا تحرك ومشى، وهو الغزال، ملاحظته: بهجته وحسن منظره، الفتن:  
جمع الفتنة، بمعنى الإفتان، يسترق: يجعله رقيقا، أو يستعيد، عبدا: يقصد المحب،  
سن: استن طريقة وسنة، القرى: بكسر القاف، الكرم، أو ما يقدم للضيهان، قرؤا،  
فدموا القرى، والرشا على التصوير، أمين الله: يقصد الأمين.

- إلى هذه الدرجة، وإلى هذا الحد كان طرب الأمين للغناء  
والشعر.

\*\*\*

روى أنه لما رزق الخليفة الأمين بولد هو موسى، وهو من أم ولد  
تدعى نظما، لقبه الناطق بالحق، وضرب اسمه على الدراهم، فكتب  
على الدراهم:

كل عز ومفخر      فلموسى المظفر  
ملك خط نكره      فى الكتاب المسطر<sup>(١)</sup>

والشاهد أن الشعر قد سيطر على الحياة فى عصر الأمين، حتى إن  
الدراهم ليكتب عليها الشعر، وقد كتب الأمين على الدراهم شعرا فى  
ولده موسى الذى نسب إليه كل عز ومفخر، وجعله مظفرا، وفخرا  
بأن اسمه ورد فى القرآن الكريم، وهى لقطة ذكية تدل على فهم  
الأمين، وإن كان الشعر بسيطا، يلائم أن يكتب على الدراهم، فليس  
ذلك موضع الشعر الجزل، إذ إن لكل مقام مقالا.

\*\*\*

---

(١) العقد الفريد ٣٠٢/٣

مفخر: فخر، فهو مصدر ميمي، أو اسم مكان، المظفر: بصيغة اسم المفعول،  
المنتصر، خط: بالبناء للمجهول، كتب، المسطر: يقصد المكتوب، وهو القرآن الكريم،  
وهو بصيغة اسم المفعول.

روى أن نظماً أم ولد الأمين الخليفة العباسي لما ماتت، اشتد جزع الأمين عليها، فدخلت زبيدة أمه معزية له، فقالت:

نفسى فداؤك لا يذهب بك التآف      ففى بقائك ممن قد مضى خلف  
عوضت موسى فكانت كل مرزية      من بعد موسى على مفقوده سلف<sup>(١)</sup>  
وهاذان البيتان قالتها زبيدة أم الخليفة الأمين، وحفيدة الخليفة أبي جعفر المنصور، وزوج الخليفة هارون الرشيد، مما يدل على مكانة الشعر فى البيت العباسى.

والبيتان فيهما تعزية خالصة لابنها فى فقد زوجته، تقول فيهما: نفسى فداؤك، وتحذره من التآف، وتؤكد له أن بقاءه خلف ممن مات، وأن موسى ابنه عوض عن أمه، فقد مضت كل مرزية عن مفقود موسى، وهى أمه، لأنه عوض عنها، وتلك تعزية جميلة صادفت موقعها عند الأمين.

\*\*\*

روى أن محمدا الأمين قال للشعراء: مصعب، والرقاش، وأبى نواس: ليقل كل واحد منكم شعرا، يكون آخره: كلام الليل يحويه النهار.

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٢

فداؤك: أى أفديك، خلف: بقاء من السلف، عوضت موسى: كما عوضك موسى ابنك عن أمه، مرزية: رزء ومصيبة، سلف: مضى وقديم وزوال.

فأنشأ الرقاشى يقول:

متى تصحو وقلبك مستطار  
وقد تركتك صبا مستهما  
وقد منع القرار فلا قرار  
فتاة لا تزور ولا تزار  
إذا استجزت منها الوعد قالت  
وقال مصعب:

أتعذلى وقلبك مستطار  
كئيب لا يقر له قرار  
بحب مليحة صادت فؤادى  
بالحاظ يخالطها احورار  
فقلت لها عدينى منك وعدا  
فقالته فى غد منك المزار  
فلما جننت مقتضيا أجابت  
كلام الليل يحويه النهار  
وقال أبو نواس:

وخود أقبلت فى القصر سكرى  
ولكن زين السكر الوقار  
وهز المشى أردافا تقالا  
وغصنا فيه رمان صغار  
فقلت الوعد سيدتى فقالت  
كلام الليل يحويه النهار<sup>(١)</sup>  
فأمر لكل واحد منهم بأربعة آلاف درهم.

(١) العقد الفريد ٤/٣٧٧

مستطار: خائف، أو تائه، أو لا يقر، الصب: المحب حبا شديدا، مستهام: هائم، تعذل: تلوم، كئيب: حزين، خود الشابة الناعمة الحسنة الخلق، أو الخلقة، بفتح الخاء وسكون الواو، الردف: بكسر الراء، وسكون الدال، الكفل والعجز.

والشاهد أن الأمين عقد مساجلة بين الشعراء: مصعب، والرقاش، وأبي نواس في قول الشعر، وحدد الموضوع: كلام الليل يمحوه النهار.

- إن الأمين لم يستطع تفضيل أحد الشعراء الثلاثة على صاحبيه، فمنح كل واحد منهم أربعة آلاف درهم.
- إن هذه المناظرة، أو المساجلة الأدبية تدل على سمر الخليفة في مجالسه، كما تدل على مجالسيه، وقدّر الشعر في بلاطه.

\*\*\*

روى أن الأمين لما أعيته مكائد طاهر قال:

بليت بأشجع الثقلين طرا      تزول الراسيات وما يزول  
له مع كل ذى بدن رقيب      يشاهده ويعلم ما يقوّل  
فليس بمغفل أمرا عناه      إذا ما الأمر ضيعه الجهول<sup>(١)</sup>

والشاهد أن الأمين ينشد الشعر الذى يحكى فيه موقفا تعرض له، وهو مكائد طاهر التى أعيته، وعانى منها، فكان منه هذا الشعر الذى يعبر به عن مكائد هذا الداهية الأريب، كما وصفه الأمين فى أبياته.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٥٠

بليت: بالبناء للمجهول، الثقلان: الإنس والجن، طرا: جميعا، الراسيات: الجبال، مغفل: بصيغة اسم الفاعل، تارك، عناه: أهمه.

والأبيات فى وصف طاهر بالشجاعة، والثبات، وكثرة رقبائه، وأنه لا يغفل أمرا قصده مهما ضيع الجهول الأمر. والشعر وصف معنوى يعلى منزلة الموصوف، لكن الأمين يقول: إنه بلى بهذا الموصوف، مما أفهمنا أنه أمام خصم عنيد. والأبيات معبرة، صادقة فى التعبير، مؤثرة، دقيقة فى الوصف، سهلة الألفاظ، واضحة المعانى، يكاد الشعر ينساب بسهولة، أو يذوب بساطة، وهى منزلة عالية فى فن الشعر.

\*\*\*

روى أن الخليفة محمدا الأمين قال عند اشتداد الحصر عليه فى الماصر:

يا فضل قد حاصرني طاهر      إني على ما نابني صابر  
لم يبق من ملكي إلا الذي      تراه والجسران والماصر<sup>(١)</sup>  
يحكى تجربة مرة، وموقفا صعبا، من حصار طاهر إياه، وصبره، وأنه فقد ملكه إلا القليل.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٥١٩-٥٢٠  
الفضل: وزيره، طاهر: قائد جيش المأمون، الجسران: مثنى جسر، الماصر: مكان، وهو الحبل الذى يوضع على النهر لتوقيف السفن، واقتضاء الضريبة منها عند المرور، ولعل المكان سمي كذلك لهذا السبب.



والأبيات نشتم منها رائحة الحزن، والألم الذي يعتصر قلبه، والتحسر على ملكه الضائع، ومملكته الزائلة، وهي نفثة مصدر جاءت معبرة عن حالة أصدق تعبير.

\*\*\*

روى أن إبراهيم بن المهدي كان مع محمد الأمين، فلما أمر الجارية بالغناء غنت أولا بشعر النابغة الجعدى.

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم  
فنظر الأمين إلى إبراهيم بن المهدي، واشتد عليه، فقال لها: غنى  
غير هذا، فغنت:

أبكى فراقهم عيني وأرقها إن التفرق للأحباب بكاء  
ما زال يعد وعليهم صرف دهرهم حتى تغانوا وصرف الدهر عدا  
فصاح عليها المأمون: لعنك الله، أما تعرفين من الغناء غير هذا؟  
فقالت: ما تغنيت إلا ما عهدتك تحبه، ثم غنت:

أما ورب السكون والحرك إن المنايا كثيرة الشرك  
ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء فى فلك  
إلا بنقل السلطان من ملك قد انقضى ملكه إلى ملك  
وملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشرك<sup>(١)</sup>

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٥٨

فصاح بها الأمين: قومي، غضب الله عليك، ولعنك.  
فقامت مذعورة، وعثرت بقدر بلور، فكسرتة، فزداد تشاؤما،  
وتطيرا، وقال: أما ترى، يا عم، ما قد منيت به الليلة؟ ما أرى  
السرور إلا قد قوض، والأمر قد اقترب، وما بعد الفأل دليل.

\*\*\*

روى أن محمدا الأمين استدعى إبراهيم بن المهدي، ودعا بجارية  
تسمى: ضعفاء.

قال إبراهيم بن المهدي: فتطيرت من اسمها.

فقال لها الأمين: غني.

فوضعت العود في حجرها وغنت:

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم<sup>(١)</sup>

فتطير الأمين من قولها، وقال لها، اسكتي.

ثم أقبل عليها، وقال: هاتي ما عندك.

فقالت:

---

الحرك: جمع حركة، المنايا: جمع منية، الشرك: حبات الصائد، فلك: واحد أفلاك  
النجوم، وهو مدار النجم.

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٨٨-١٨٩

كليب: هو كليب وائل الذي ضرب به المثل في العزة، فقيل: أعز من كليب وائل، وقد  
قتله جساس بن مرة، وكان ذلك سببا في حرب البسوس، لعمرى: قسم، ناصرا: أكثر  
ناصرين، جرما: ذنبا، أيسر: أسهل، ضرج بالدم: تلتخ بالدم، أو أدمى، أو قتلى،  
مرازبه: أعوانه وناصروه، أو خدمه أو حشمه.

هم قتلوه كي يكونوا مكانه      كما غدرت يوما بكسرى مرأبه  
فأسكتها، ثم أقبل عليها الثالثة، فقال: غنى.  
فغنت:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا      أنيس ولم يسمر بمكة سامر<sup>(١)</sup>  
قال لها الأمين: قومي.

يقول إبراهيم بن المهدي: فما قعدنا بعدها معه، حتى قتل.  
والشاهد أن المجلس كان مجلس غناء وشعر، وأن الأمين كان يهرع  
إلى هذا الغناء وذلك الشعر ليسلو به عن حاله.

- إن الأمين كان يجلس إليه إبراهيم بن المهدي، وهو شاعر ينشد  
بالألحان، وذلك دليل على أن الأمين كان يطرب لذلك.

- إن الأمين ربط بين الموقف الذي هو فيه، وبين الشعر والغناء  
الذي أنشد في مجلسه، فتطير، وقال للمغنية: اسكتي، ثم أمرها  
بالغناء، لعلها تغني ما يتفاعل به، فلما غنت أسكتها، وعاود الأمر  
ثالثة، فلما غنت أمرها بأن تقوم من مجلسه، مما يدل على أنه  
يفهم الشعر، ويتأثر به، ويؤمن بالتطير، والعجيب أنه قتل بعد  
ذلك.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٨٨  
الحجون: بفتح الحاء، جبل بمكة، وهي مقبرة، الصفا: جبل معروف، أنيس: كل ما  
يؤنس به، والمعنى: كان لم يكن أنيس: أي أحد، السامر: المتحدث ليلا، أو القوم  
يتحدثون ليلا، يسمر: يتحدث ليلا مع السامر.

فالشعر كان سمر الأمين، حتى في مواقفه التي لا يحسد عليها.

\*\*\*

روى أن محمد بن هارون الأمين تنفس في مجلس أيام الحصار،  
فالتفت إلى محمد بن سلام صاحب المظالم، فقال له: أترانى؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، ذكرت قول الشاعر:

ذكر الهوى فتنفس المشتاق      وبدأ عليه الذل والإطراق

يا من يصبرنى فأصبر بعده      الصبر ليس يطيقه العشاق

ثم التفت إلى جليس له آخر، فقال: ويحك، أترانى؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، ذكرت قول الأحنف:

تذكرت بالريحان منك شمائلًا      وبالراح عذبا من مقبلك العذب

ثم التفت إلى كوثر الخادم، وقال: ويحك، أترانى؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، ذكر قول ابن نفيلة الغساني:

إن كان دهر بنى ساسان فرقمهم      فإنما الدهر أطوار دهارير

وربما أصبحوا يوما بمنزلة      تهاب صولتها الأسد المهاصير<sup>(١)</sup>

قال الأمين: صدقت.

---

(١) العقد الفريد ٢٧٤/٤

يطبقه: يقدر عليه ويستطيعه، الشمائل: الأخلاق، جمع الشمال، بكسر الشين، الإطراق: السكوت، وعدم الكلام، أو إرخاء العينين والنظر إلى الأرض، مقبل: بصيغة اسم المكان، يقصد الفم، بنى ساسان: الفرس، الصول: الاستطالة والثوب، المهاصير: جمع المهصار، وهو الذى يهصر الفريسة.

والشاهد أن جلساء الخليفة كانوا من الشعراء، مع أنهم فى قصره  
عمال، فأولهم صاحب المظالم، وثانيهم جليس له، وثالثهم خادمه،  
وكل منهم أنشد شعرا فى وصف حال الأمين.

- فالأول فقد جعل تنفس الأمين تنفس العشاق، وبنى بيته على هذا  
المعنى.

- والثانى جعل تنفس الأمين تنفس المحب بذكر شمائل المحبوب  
بالريحان، وعذوبة فمه بالراح.

- والثالث جعل تنفسه تنفس الضيق لحالة فى الحصار، وأتى بما  
يسرى عنه هذا الموقف، من أن بنى ساسان تفرقوا، وسوف  
ترجع صولتهم يوما.

- إن الأمين قد أعجب بالخادم فى شعره، لذا قال له صدقت،  
وفضله على صاحبيه.

وهكذا كان الشعر الملاذ الذى يرجع إليه الأمين فى كل موقف يطرأ  
له.

\*\*\*

روى أنه لما خلق المأمون الخليفة العباسى، أخاه الأمين محمد بن  
زبيده، وهما معا ولوا الرشيد الخليفة العباسى، لكن أم الأمين كانت  
عربية، وأم المأمون فارسية، فوجه المأمون طاهر بن الحسين

لمحاربة الأمين أخيه، فكان المأمون يعمل كتباً بعيوب أخيه، تقرأ على المنابر بخراسان.

فكان مما عاب المأمون أخاه الأمين به أن قال: إنه استخلص رجلاً، شاعراً، ماجناً، كافراً، يقال له: الحسن بن هاني، واستخلصه، ليشرب معه الخمر، ويرتكب المآثم، ويهتك المحارم، وهو أبو نواس، الذي يقول:  
ألا فاسقتي خمراً وقل لي هي للخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر  
وبح بلسم من تهوى ودعني من لكني فلا خير في اللذات من دونها ستر<sup>(١)</sup>  
ويذكر أهل العراق فيقول: أهل فسوق، وخمور، وماخور، وفجور، ويقوم رجل بين يديه، فينشد اشعار أبي نواس في المجون.

فاتصل ذلك بالأمين، فنهى أبا نواس عن الخمر، وحبس ابن أبي الفضل بن الربيع، ثم كلمه فيه الفضل، فأخرجه، بعدما أخذ عليه أن لا يشرب خمراً، ولا يقول فيها شعراً، فقال أبو نواس:

ما من يد في الناس واحدة	كيد أبو العباس مولاهما
نام التفات على مضاجعهم	وسرى إلى نفسي فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمنني	من أن أخافك خوفك الله

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/١٢٨

ألا: استفتاحية، بح: أفس، تهوى: تحب من هوى، بكسر الواو، يهوى، بفتح الواو، دعني: اتركني، الكنى: بضم الكاف، جمع كنية، وأصلها ما صدرت باب أو أم، لكنه بقصد الكناية، وهي التعبير بالكناية البلاغية، ستر: بفتح السين مصدر ستر، أو بكسرها بمعنى ستر.

فعفوت عنى عفو مقتدر      وجبت له نعم فآلقاها<sup>(١)</sup>  
ومن قول أبى نواس أيضا فى ترك الشراب:  
أيها الرائحان باللوم لوما      لا أدوق المدام إلا شميما  
نالنى بأعلام فيها إمام      لا أرى لى خلافة مستقيما  
فاصرفاها إلى سواى فابنى      لست إلا على الحديث نديما  
جل حظى منها إذا هى دارت      أن أراها وأن أشم النسيما  
فكانى وما أزين منها      قعدى يزين التحكيما<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو نواس أيضا فى ترك الشراب:

عين الخليفة بى موكله      عقد الحذار بطرفها طرفى  
صحت علانيتى له وأرى      دين الضمير له على حرف  
ولئن وعدتكم تركها عدة      ابنى عليك لخائف خلفى  
سلبوا قناع الدن عن رمق      حتى الحياة مشارف الحنف

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١٢٨/٢

يد: يقصد القدرة، أو النعمة، أبو العباس: يقصد الأمين، الثقات: جمع ثقة، مضاجعهم: جمع مضجع، نعم: جمع نعمة، آلقاها: طرحها.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ١٢٨/٢

الرائحان باللوم: يخاطب صاحبيه على عادة الشعراء القدامى، وليس المقصود بالروح وقته، وإنما المقصود الفعل، وهو اللوم، المدام: الخمر، شميما: أى يشم رائحتها بانفهِ، إمام: الأمين العباسى، خلافة: مخالفته، مستقيما: طريقا مستقيما، اصرفاها: ابعداها، السنديم: هو المشارك فى الشراب، جل: أكثر، دارت: أى على الشاربين، النسيم: الرائحة، أزين: أظهر الشئ مزيئا له، ومغريا به، قعدى: منسوب إلى القعيد، وهم القعيدية، وهى فرقة من الخوارج يأمرون بالخروج، ولا يخرجون، وزعم المبرد أنه لم يسبق إلى هذا المعنى.

فتفتست فى البيت اذ مزجت      كتفتس الرىحان فى الأنف<sup>(١)</sup>  
وقال أبو نواس أيضا فى ترك الشراب:

غننا بالطلول كيف بلينا      واسقنا نعطق الثناء الثمينا  
من سلاف كأنها كل شئى      يتمنى مخير أن يكوننا  
أكل الدهر ما تجثم منها      وتبقى لبابها المكنونا  
فإذا ما اجتليتها فهباء      يمنع الكف ما تبيع العيوننا  
ثم شجت فاستضحكت عن لآل      لو تجمعن فى يدك لاقتيننا  
فى كؤوس كأنهن نجوم      دائرت بروجها أيدينا  
طالعات مع السقاء علينا      فإذا ما غربن يغبيننا  
لو ترى الشرب حولها من بعيد      قلت قوما من قرّة يصطلونا  
وغزال يديرها بيننا      ناعمات يزيدها الغمز لنا  
كلما شئت على برضاب      يترك القلب للسرور قرينا  
ذاك عيش لو دام لى غير أنى      عفته مكرها وخفت الأميننا<sup>(٢)</sup>

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٢٩/٢

عين الخليفة: يقصد جواسيسه، الخليفة: المأمون العباسى، الحذار: المجازة، أى إنه يحاذر عيون الخليفة بطرفه، علانيتى: أى ظاهرى، الضمير: يقصد باطنه، دين الضمير: أى رأى الضمير، على حرف: أى ليس موافقا للظاهر، أى فى قلبه خلاف ما يظهر، والتعبير مقتبس من القرآن الكريم، تركها: أى الخمر، وعدتك، يقصد الخليفة حين وعده بترك الشراب، وترك شعر الخمر، لخائف خلقى: أى يخشى أخلاقه فى عدم الوفاء بالوعد، قناع: غطاء، الدن إناء الخمر الذى تعتق فيه، رمق: بقية الحياة، الحثف: الهلاك، تفتست: ظهرت رانحتها، مزجت: خلطت بالماء، الرىحان: لبث ذو رائحة عطرة.

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣٠/٢



وقال أبو نواس أيضا في ترك الشراب:

أعاذل أعتبت الإمام وأعتبا وأعربت عما في الضمير وأعربا  
وقلت لساقبها أجزها فلم أكن ليأبى أمير المؤمنين وأشربا  
فجوزها عنى سلافا ترى لها لدى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا  
إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا  
ترى حيث ما كنت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه من البيت مغربا  
يدور بها رطب البنان ترى له على مستدار الخد صدغا معقربا  
سقاها ومنانى بعينيه منية فكانت إلى قلبى أذو أطيبا<sup>(١)</sup>

غنا: أمر لصاحبه، الطلول: جمع طلل، وهو ما تبقى من آثار الديار، الثمين: غالى الثمن، سلاف: خمر، مخير: بصيغة اسم المفعول، ما تجثم: ما بقى، أو صار فى قاع السدن، لباب: جوهر، المكنون: المحفوظ، أو المستتر، اجتليتها: عرفت حقيقتها، هباء: ذرات متطايرة، شجت: صارت مشجوجة بالماء، لال: درر، لاقتينا: صار دار يقتنى، البروج: كل ما دار حول شئ، أو كل ما يدور حوله شئ، غربن: غبن، الشرب: بفتح الشين المشددة: جماعة الشاربين، قرة: برد، يصطلى: يستدفئ حول النار، غزال: يقصد الساقى، بنان: جمع بنانه، وهى طرف الإصبع، علنى: أى سقانى مرة بعد مرة، رضاي: خمر، قرينا: مقارنا وملازما، علقته: كرهته، ومحجته، مكرها: بصيغة اسم المفعول، الأمين: يقصد الأمين العباس الذى نهى عن شرب الخمر، وعن شعر الخمر.

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣١/٢

أعاذل: نداء بالهمزة، ينادى لائمه، أعتبت الإمام وأعتبا، أى عاتبنى وقبلت عتابه، أعربت: أفصحت، الضمير: السر أو الباطن، الأمير: يقصد الأمين العباس، ساقبها: ساقى الخمر، أجزها: مر بها مجتازا إياى، أمير المؤمنين: يقصد الأمين، جوزها: مر بها بعيدا عنى، سلافا: خمرا، الشرف: المكان المشرف على غيره، شعاع: وهج، مطنبا: بصيغة اسم المفعول، بمعنى أنه كالأطناب، أى الحبال، عب: شرب، داج: مظلم، كوكب: نجم، مشرق: مكان الشروق، مغرب: مكان الغروب، البنان: جمع بنانه، وهى طرف الإصبع، مستدار: ما أدير، صدغا: يقصد شعرا ينزل على الصدغ، أو الصدغ نفسه، وهو الخد، أو جانب الوجه، معقرب: يشبه العقرب، أو أحمر من لدغه العقرب، منية: ما يتمناه الإنسان.

# الفصل السابع

الشعر في عصر المأمون

١٩٨ - ٢١٨ هـ



المأمون، ١٩٨هـ - ٢١٨هـ، هو الخليفة السابع من خلفاء الدولة العباسية، وهو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، بويع بالخلافة بعد قتل أخيه الأمين يوم الخميس، خمس خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة، وتوفي سنة ثمانى عشرة ومائتين، لثمان خلون من رجب، وكانت خلافته عشرين سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشر يوماً، وتزوج أم عيسى بنت موسى الهادى، وتزوج بوران بنت الحسن بن سهل، ووهب لأبيها عشرة آلاف ألف درهم، ولولده ألف ألف درهم، ووزر له الفضل بن سهل ذو الرياستين، والحسن بن سهل، وأحمد بن يوسف<sup>(١)</sup>.

فصل ابن خلدون مقادير ما كان يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع الأمصار وهى مقادير فى غاية الضخامة<sup>(٢)</sup>.  
وروى أن وليمة زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل قد أعد لها بدار الطبخ من الحطب نقل مائة وأربعين بغلا، مدة عام كامل، ثلاث مرات فى كل يوم، وفنى الحطب لليلتين، فأوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت، وأمروا بإحضار السفن إجازة الخواص من الناس برحلة من بغداد إلى قصور الملك، بمدينة المأمون، لحضور

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٢-٣٠٣

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٩-١٨٠، تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول ص ٧١.

الوليمة، فكانت السفن المعدة لذلك ثلاثين ألفاً أجازوا الناس فيها  
أخريات نهارهم.

وبعثت كرات من المسك على الحضور، فتزاحموا لتلقفها، فوجدوا  
في كل رقعة، تتضمن اسم ضيعة، أو جارية، أو جواد، فيذهب  
المدعو لتسلمها، وذلك عد الدينير والدرهم، ونوافح المسك والعنبر،  
والخلع السنية التي كانت تنثر على الحضور نثراً<sup>(١)</sup>.

ونثر الحسن بن سهل في هذا الحفل على طبقات الناس بنادق المسك  
ملثوثة على رقاع بالضياع، والعقار، وبدر الدينير، والدرهم.

وقد أمهر المأمون بوران ألف حصاة من الياقوت، ليلة زفافها، وأوقد  
شموع العنبر، في كل واحدة مائة من، وهو رطل وتلثان، وفرش لها  
الحصير المنسوج بالذهب المكمل بالدر والياقوت<sup>(٢)</sup>.

وقد نثرت أم الفضل بن سهل، والحسن بن سهل، جدة العروس على  
الخليفة وعروسه ألف لؤلؤة، فأمر الخليفة بجمعها، ونظمها عقداً،  
أهداه إلى بوران.

وقد أوقدت شمعة من العنبر، زنتها ثمانون رطلاً، في شمعدان من  
الذهب الخالص.

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٢٧٦.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٣، تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول ص ٧٣.

وقد أنفق الحسن بن سهل فى هذا الحفل أموالا تقدرها الروايات العربية بخمسين ألف ألف درهم.

وقد عوض المأمون الحسن بن سهل عن هذا البذخ خراج الأهواز، وفارس، سنة كاملة<sup>(١)</sup>.

وروى أن أحد وزراء المأمون خلف بعد وفاته ثمانين ألف ألف دينار، ولما علم المأمون، قال: هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا<sup>(٢)</sup>.

وروى أن المأمون فرق فى ساعة واحدة أربعة وعشرين ألف ألف درهم.

وروى أن المأمون ظل عشرين شهرا بعد قدومه بغداد لا يسمع غناء، ثم سمع وشرب<sup>(٣)</sup>.

وسأل اسحاق الموصلى المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرواة، لامع المغنين، فإن أراده للغناء غناءه، فأجابه إلى ذلك، ثم سأله بعد حين. أن يأذن له فى الدخول مع الفقهاء، فأذن له، فكان يدخل عليه، ويده فى يد يحيى بن أكرم، قاضى القضاة، حتى يجلسا بين يدي المأمون.

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتها ص ٢٧٥-٢٧٦

(٢) النجوم الزاهرة ٢/٢٢٧، فى الأدب العباسى، العصر الأول ص ٥٤

(٣) الأغاني ٥/١٠٦، تاريخ الطبرى ١٠/٢٥٦

ثم سألته أن يأذن له في لبس السواد، زى العباسيين، يوم الجمعة،  
والصلاة معه في المقصورة، فضحك المأمون، وقال: ولا كل ذا  
يا إسحاق وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم، وأمر له  
بها<sup>(١)</sup>.

روى أن النضر بن شميل كان يدخل على الخليفة المأمون في سمره،  
فدخل عليه ليلة، فدار الحديث على ذكر النساء، فقال المأمون: حدث  
هشام، عن مجاهد، عن الشعبي، عن ابن عباس، رضى الله عنهما،  
قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إذا تزوج الرجل المرأة  
لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز، فأورده بفتح السين.

قال النضر: صدق، يا أمير المؤمنين، هشام، حدثنا عوف بن أبي  
جميلة، عن الحسن، عن علي كرم الله وجهه، عن رسول الله، صلى  
الله عليه وسلم: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد  
من عوز، وأوردها بكسر السين.

وكان المأمون متكئا، فاستوى جالسا، وقال: يا نضر، كيف قلت:  
سداد، بكسر السين؟

فقال النضر: نعم، لأن السداد، بفتح السين، هنا لحن.

قال المأمون: أو تلحنني؟

---

(١) الأغانى ٢٨٦/٥

قال النضر: إنما لحن هشام، وكان لحناء، فتبع أمير المؤمنين لفظه.

قال المأمون: فما الفرق بينهما؟

قال النضر: السداد، بالفتح، القصد في الدين والسبيل، وبالكسر البلغة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد.

قال المأمون: أو تعرف العرب ذلك؟

قال النضر: نعم، هذا العرجي يقول:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

وذكر سداد، بكسر السين.

قال المأمون: قبح الله من لا أدب له، وأطرق ملياً، ثم قال: ما حالك يا نضر؟

قال النضر: أريضة لى بمرؤ، أتصابها، وأتمزها، أى أشرب صبابتها.

قال المأمون: أفلا أفيدك ما لا معها؟

قال النضر: إني إلى ذلك لمحتاج.

فأخذ المأمون القرطاس، والنضر لا يدرى ما يكتب، ثم قال المأمون: كيف تقول فى الأمر من أن يترب الكتاب، بالبناء للمجهول؟ قال النضر: أتربه.

قال المأمون: فمن الطين؟

قال النضر: طنه.



قال المأمون: فما هو؟

قال النضر: مطين.

قال المأمون: هذه أحسن من الأولى ثم قال: يا غلام، تبلغ به إلى الفضل بن سهل.

فلما قرأ الفضل الكتاب قال: يا نضر، إن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب؟ فأخبره النضر، ولم يكذبه.

قال الفضل: لحتت أمير المؤمنين؟

قال النضر: كلاء، إنما لحن هشام.

ثم أمر الفضل للنضر من خاصة ما له بثلاثين ألف درهم، فأخذ النضر ثمانين ألفاً بحرف استفيد منه<sup>(١)</sup>.

ومن كان على هذه الشاكلة من الإنفاق، والثراء، والبذخ، والتبذير، إذا أضفنا تقديره العلم والعلماء، والأدب والأدباء فإنه يكون ملجأ الشعراء، وملاذهم، ومصدر ثرائهم، وموضوعاً لشعرهم، وهذا ما حدث فعلاً.

\*\*\*

---

(١) الأدب العربي وتاريخه ٢/٣٠٢-٣٠٣

روى أن كلثوم العتابي كان أيام هارون الرشيد في ناحية المأمون ابنه، في مقابلة الأمين، أخى المأمون، فلما خرج إلى خراسان ووقف على سنداد كسرى قال له المأمون: لا تدع زيارتنا إن كان لنا من هذا الأمر شيء.

فلما أفضت الخلافة إلى المأمون، وفد إليه العتابي زائراً، فحجب عنه، فتعرض العتابي ليحيى بن أكنم القاضي، ليشفع له عند المأمون، فلم يأذن له المأمون، وشغل عنه، فلما رأى العتابي جفاءه، وقد تمادى، كتب إليه:

ما على ذا كنا افترقنا بسندا د ولا هكذا رأينا الإخاء  
لم أكن أحب الخلافة يزدا د بها ذو الصفاء إلا صفاء  
تضرب الناس بالمتقفة السم ر على غدرهم وتنسى الوفاء (١)  
فلما قرأ المأمون أبيات العتابي دعا به، فلما دنا منه، سلم بالخلافة، ووقف بين يديه، فقال المأمون: يا عتابي، بلغتنا وفاتك فغممتنا، ثم انتهت إلينا وفادتك فسرتنا.

فقال العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قسم هذا البر على أهل منى وعرفات لوسعهم، فإنه لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك.

---

(١) العقد الفريد، المطبعة التجارية ٢١٠/١  
سنداد: موضع بفارس، ذو الصفاء: يقصد المأمون، المتقفة: بصيغة اسم المفعول، الرماح، السمر: جمع أسمر.

قال المأمون: سل حاجتك.

قال العتّابي: يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسأله.

فأحسن المأمون جائزته وانصرف.

والشاهد أن العتّابي استطاع الوصول إلى الخليفة المأمون بشعره،  
ونيل جائزة الخليفة على هذا الشعر، الذي عاتب فيه الشاعر الخليفة  
على ضياع الإخاء، والصفاء، والوفاء، ويذكره أنه ما افترق عنه  
على ذا، وإنما على عكسه، وهى جرأة قوية من الشاعر، ومع ذلك  
فإن المأمون قبلها منه، بل منحه جائزة، وتسامح معه، لفنه الشعرى،  
الذى يحتل مكانة عالية عند المأمون.

\*\*\*

روى أن المأمون الخليفة العباسى دخل بغداد، فلتقاه وحده أهلها، فقال  
له رجل منهم: يا أمير المؤمنين، أنت كما قال الأول!

مازلت فى البذل والنوال وإطـ لاق لعان بجرمه علـق  
حتى تمنى البراء أنهـم عندك أسرى فى القيد والحلق<sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد، المطبعة التجارية ٢٢٦/١

المعاني: الأسير، حرم: ذنب، علق: متعلق، البراء: البرئ، الحلق: بفتح الحاء واللام:  
جمع حلقة، وهى حلقة الحديد فى المجس.

والبيتان فيهما مدح جميل، فهو يمدح المأمون بأنه متعلق بالبذل،  
والنوال، وإطلاق المحبوسين بجرمهم، حتى تمنح البرئ أن يكون  
أسيرا عنده.

وهي مبالغة لكنها مقبولة بقوله: تمنى، فهي أمنية من الأمانى، وهي  
مدحة جيدة قبلها المأمون، وكان وقعها عظيما في نفسه في هذا  
الاستقبال الذي يعد ترحيبا جيدا بالمأمون.

\*\*\*

روى أن أبادلف دخل على المأمون الخليفة العباسي، وقد كان عتب  
عليه، ثم أقاله، فقال له المأمون، وقد خلا مجلسه: قل أبا دلف، وما  
عسيت أن تقول، وقد رضى عنك أمير المؤمنين، وغفر لك ما فعلت.  
فقال أبو دلف: يا أمير المؤمنين.

ليالى تدنى منك بالبشر مجلسى      ووجهك من ماء البشاشة يقطر  
فمن لى بالعين التى كنت مرة      إلى بها فى سالف الدهر تنظر<sup>(١)</sup>  
والبيتان من قبيل الاستعطاف، والاسترضاء، يبين بهما أن وجهه  
يقطر بشاشة، فلا خوف من الشر عنده، أو منه، ويتمنى أن ينظر

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٤١/١-٢٤٢  
البشاشة: طلاقة الوجه والسرور، ماء البشاشة: رواؤها، يقطر: يسيل، سالف: قديم  
أو سالف.

المأمون إليه بعين المودة والعطف التي كان ينظر المأمون إليه بها سابقا، أي يستجديه، ويستعطفه، ويسترحمه على نفسه. وقد استجاب المأمون لاستعطاف الشاعر الوالي أبي دلف، وكافاه على هذا الشعر، برجوعه إلى ما كان من الولاية، والطاعة، والمناصحة.

\*\*\*

روى أن جارية من جواري المأمون أهدت تفاحة له، وكتبت إليه رسالة، ذكرت فيها بيتين من الشعر قال فيهما الشاعر:

حمرۃ التفاح مع حضرته      أقرب الأشياء من قوس قزح  
فعلی التفاح فاشرب قهوة      واسقنيها بنشاط وفرح<sup>(١)</sup>

هذه الواقعة حدثت بين المأمون وجارية من جواريه، صنعت ما صنعت، ثم كتبت إليه رسالة، وذكرت فيها بيتين من الشعر تصف فيها التفاح، ولونه الأحمر مع الأخضر، يشبه ألوان قوس قزح، ثم الإلتماس، أو النصح بشرب القهوة، وهي قهوة الخمر، والتماس سقى القائل منها بنشاط وفرح.

---

(١) العقد الفريد ٣٠٤/٤

قوس قزح: القزح، الطرائق، وهي خطوط من صغره وخضرة وحمره، وروى عن ابن عباس: لا تقولوا قوس قزح، فإن قزح اسم شيطان، ولكن قولوا: قوس الله، قهوة: قد يقصد بها الخمر.

وهى جراءة قوية من الجارية، ودلالة على ثقافتها، وبصرها  
بالشعر، وحفظها إياه، ودلالة على أنها تعلم أن المأمون يعتز بالشعر،  
ويعلى مكانته، لذا كانت رسالتها مضمنة شعرا.

\*\*\*

روى أن أحمد بن يوسف وزير المأمون كان منصرفا عن غسان بن  
عباد، وجرت بينهما هنأت بحضرة المأمون، الخليفة العباسي.  
فقال المأمون يوما بحضرة خاصة خاصة أصحابه: أخبروني عن  
غسان بن عباد، فإني أريده لأمر جسيم.

وكان قد عزم على تقليده السند، مكان بشر بن داود، فتكلم كل فريق  
بما عنده في مدحه، ومدحه أحمد بن يوسف.  
فقال له المأمون: لقد مدحته على سوء رأيك فيه.

قال أحمد بن يوسف: لأنى فى أمير المؤمنين. كما قال الشاعر:

كفى ثمنا لما أسديت أنى      نصحتك فى الصديق وفى عدائى  
وأنى حين تندبنى لأمر      يكون هواك أغلب من هوائى<sup>(١)</sup>

فأعجب المأمون ذلك منه، وشكره له غسان بن عباد، وتأكدت الحال  
بينهما.

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١٤٨/٢

أسديت: قدمت من جميل، تندبنى: تطلبنى، هواك: حبى إياك، هوائى: حبى لنفسى،  
عدائى: أعدائى، أغلب: أقوى.

والشاهد أن أحمد بن يوسف وزير المأمون يخاطب المأمون بالشعر،  
أو يستشهد للمأمون بالشعر، أو يتمثل بالشعر الذي يوضح موقفه من  
المأمون، أو نصحه إياه، وقد أتى ببيتين من الشعر في غاية الدقة في  
التعبير عن الموقف الذي عرض له مع المأمون.

وذلك دليل على أنه يعرف أن المأمون إذا تمثل له بشعر فإنما ظفر  
منه بالافتناع، والفهم لموقفه، فكان الشعر هو الوسيلة إلى ما يريد من  
المأمون.

\*\*\*

روي أنه لما ظفر المأمون الخليفة العباسي بأبي دلف، وكان يقطع  
في الجبال، أمر بضرب سهله، فقال أبو دلف: يا أمير المؤمنين،  
دعني أركع ركعتين.

قال الخليفة: افعل.

فركع أبو دلف، وحبر أبياتا، ثم وقف بين يدي المأمون، فقال:

خلف ممن تببيع

بع بي الناس فإني

قلصت عنه الدروع

واتخذني لك درعا

فأنا السهم السريع<sup>(١)</sup>

وارم بي كل عدو

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٤٥-٢٤٦

بي: تفتح الباء لضرورة الوزن الشعري، خلف: يأتي بعد السلف، درعا: يقصد درعا  
تقيه، قلصت: يقصد قصرت، السريع: يقصد سرعة الإصابة، أو سرعة الاستجابة.

فأطلقه، وولاه ناحية، فأصلحها.

والشاهد أن المأمون عفا عن أبي دلف الوالى لثلاثة أبيات من الشعر  
أنشدها أبو دلف للمأمون، ليسترضيه، ليعفو عنه.  
والعجيب أن المأمون قد عفا عنه، ولم يكتف بذلك، وإنما كافاه أيضا.

\*\*\*

روى أن المأمون قال للفضل بن الربيع، لما ظفر به، يا فضل، أكان  
فى حقى عليك، وحق أبائى، ونعمهم عند أبىك، وعندك، أن نتلبنى،  
وتسببنى، وتحرض على دى، أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى؟  
فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، أنت كما قال الشاعر فىك:

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرما  
وليس يبالى أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما<sup>(١)</sup>  
وهذا الشعر للحسن بن رجا بن أبى الضحاك.

والشاهد أن المأمون عندما عتب على الفضل بن الربيع، لما ظفر به،  
استعطفه الفضل بشعر، يصفه فيه بالصفح، والعفو، وأنه بصفحه عن  
الإجرام، وعفوه عن المجرمين، لا يرى من الناس مجرما، ولا يبالى  
أن يكون به الأذى مادام الأذى لا يضيب مسلما.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢٥٢/٢  
صفوح: مبالغة من الصفع، يغش: يلحق، بالكره: المكروه



فما كان من المأمون إلا أن عفا عنه بهذا الشعر الذي استعطفه به  
والذي تمثّل به الفضل من شعر رجاء بن أبي الضحاك، لفضل يعتذر  
بالشعر، والمأمون يقبل الشعر، وكان الشعر هو اللغة المعتمدة بينهما.

\*\*\*

روى أن إبراهيم بن المهدي حكى للخليفة المأمون أنه حضر مجلسا  
غنت فيه جارية تقول:

توهمها طرفي فأصبح خدها      وفيه مكان الوهم من نظري أثر  
وصافحها كفي فألم كفهها      فمن مس كفي في أناملها عقر  
فجعت إبراهيم بن المهدي يطرب لحسن شعرها، ثم غنت على الوزن  
نفسه قولها:

أشرت إليها هل عرفت مودتي      فردت بطرف العين بني على العهد  
فجئت عن الإظهار عمدا لسرها      وحللت عن الإظهار أيضا على عمد  
فضرب إبراهيم بن المهدي طربا لا يملك به نفسه، ثم غنت على  
الوزن نفسه قولها:

أليس عجيبا أن بيتا يضمني      وإياك لا تحلو ولا نتكلم  
سرى أعين تشكو الهوى بجفونها      وتقطيع أنفاس على النار تضرم  
إشارة أفواه وغمز حواجب      وتكسير أجفان وكف يسلم<sup>(١)</sup>

---

(١) المعقد الفريد ٢٥٠/٤

قال إبراهيم بن المهدي: فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذقها،  
ومعرفتها بالغناء، وإصابتها لمعنى الشعر، وأنها لم تخرج من الفن  
الذي ابتدأت به.

ثم غنى إيراهيم بن المهدي:

ما للمنازل لا يجبن حزيننا      أصممن أم قدم المدى قبلينا  
راحوا العشية روحة منكورة      إن متن متنا أو حين حيننا  
وغنى أيضا:

أبى الله أن تمشى ولا تذكرينى      وقد سفحت عيناي من ذكرك الدما  
فردى مصاب القلب أنت قتلته      ولا تتركه ذاهل العقل مغرما  
إلى الله أشكو نجلها وسماحتى      لها عسل منى وتبذل علقما  
إلى الله أشكو أنها أجنبيّة      وأنى لها بالود ما عشت مكرما  
وغنى ثالثا:

هذا محبك مطوى على كبده،      حرا مدامعه تجرى على جسده  
له يد تسأل الرحمن راحتته      مما جنى ويد أخرى على كبده<sup>(١)</sup>

---

الطرف: العين، الوهم: التوهم، أنامل: جمع أنمله، وهى من الأصابع العقدة،  
أورؤوس، أو المفصل الذى فيه الظفر، عقر: جرح، طرف العين: مصدر طرف  
يطرف، أو جانب العين، حاد: مال، تضرم: تلتهب وتضطرم، جفون: جمع جفن،  
أنفاس: جمع نفس، أفواه: جمع فوه، حواجب: جمع حاجب، أجفان: جمع جفن.

(١) العقد الفريد ٢٥١/٤

صممن: من الصمم، وهو عدم القدرة على السمع، المدى: العهد، أو الزمن، بلين:  
فنين، العشية: الوقت فى العشاء، روجه: اسم مرة من الرواح، وهو الوقت آخر  
النهار، منكورة: إما منكرة، أو مستورة، سفحت: نزفت، ذاهل: غافل، أو متناسى،

والشاهد أن هذا المجلس بين المأمون، وإبراهيم بن المهدي كان مجلس غناء، والغناء لا يتم إلا بالشعر.

فقد حكى إبراهيم بن المهدي، وهو من بيت الخلافة، للمأمون أنه حضر مجلس غناء، غنت فيه جارية بعض الشعر، وردده أمام المأمون، ثم غنى هو لنفسه بعض الشعر.

والشعر الذي غنت به الجارية غزل رقيق، فيه معان جميلة، وإن كانت تخرج أحيانا إلى حد لا نرضاه، مع جمال الألفاظ، وروعة التعبير، وسهولة الأسلوب.

أما شعر إبراهيم بن المهدي الذي تغنى به أمام المأمون فهو شعر المحب الحزين الذي يبغى من محبوبه الوصل، ورضاها عنه، كما يصور حاله في بعد المحبوبة عنه.

كل ذلك في مجلس الخليفة المأمون المحب للشعر والغناء.

\*\*\*

روى أن إبراهيم بن المهدي حدث المأمون يوما بحكاية سفره مع أخيه الرشيد، والد المأمون بطريق مكة، وتخلفه عن الرفقة، وعطشه، وأنه أتى إلى بئر، فإذا حبشى، فالتمس منه إبراهيم أن يسقيه، فرفض الحبشى، فخطر صوت ببال إبراهيم، فترنم به؛ وهو

---

أوتائه، مغرما: شديد الغرام، وهو الحب، علقم: صاب أو مر، مطوى: مغلق، راحته: باطن الكف.

كفنانى إن مت فى درع أروى واسقيانى من بئر عروة ماء<sup>(١)</sup>  
فقال الحبشى: هذه بئر عروة، وهذا قبره، وسقاه الحبشى على أن  
يغنيه، وأن يدلّه على موضع العسكر، حتى أتى إبراهيم بن المهدي  
الرشيد أخاه، وحدثه بهذا.

فلما رجعا، فتلقاها الحبشى بقوله: مغن، فقيل له أتقول هذا لأخي أمير  
المؤمنين؟

فأمر إبراهيم له بصلة وكسوة، وأمر له الرشيد بكسوة.  
فضحك المأمون، وطلب منه أن يغنى هذا الصوت، فافتتن به، وكان  
لا يقترح على إبراهيم غيره.

والشاهد أن إبراهيم بن المهدي غنى للحبشى شعرا يذكر فيه بئر  
عروة، وكانت المفاجأة أن البئر الذى يريد الشرب منه هو بئر عروة  
نفسه.

- إن المأمون طلب إلى إبراهيم بن المهدي أن يغنيه، وافتتن  
بغناؤه، وكان لا يطلب منه إلا هذا الصوت فى الغناء.

- إن ذلك دليل على قيمة الشعر والغناء فى عصر المأمون.

- إن إبراهيم بن المهدي المغنى هذا هو أخو الخليفة هارون الرشيد  
بن المهدي، وعم الخليفة المأمون، فكان الغناء بين إبراهيم بن

---

(١) العقد الفريد ٤/١٢٧  
درع: قميص، أروى: صاحبة الشاعر.

المهدى، وبين ابن أخيه المأمون، ولا حرج فى ذلك عليهما فى  
نظرهما، لأن الشعر والغناء لهما صولة فى دولة المأمون  
العباسى.

\*\*\*

روى أن المأمون استحضر الجلساء، والمغنين، ومنهم الحسين بن  
الضحاك، آخر جلسة جلسها بدمشق، وقد عزم على الخروج إلى  
البذنون التى مات فيها، وقال لمخارق وعلوية: غنيا.

فسبق مخارق، فغنى بشعر جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقنى      صوت الدجاج وقرع بالنواقيس  
فقلت للركب إذ جد المسير بنا      يا بعد بيرين من باب الفرديس  
فغنى علوية فى معنى شعر:

الحين ساق إلى دمشق وما      كانت دمشق لأهلنا بلدا<sup>(١)</sup>

وقال: خذوا بيد هذا الجاهل، أو النذير، واعطوا مخارقا ثلاثة آلاف  
درهم.

وتفوض المجلس، ولم يعد بعد.

قال علوية: وكنت أحبس لولا كرم المأمون.

---

(١) التروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٨٨  
النواقيس: جمع ناقوس، الديرين، بيرين، مكانان، الحين: الهلاك.

وذلك الخبر دليل على فهم المأمون الشعر، وتأثره به، حتى إنه أجاز  
مخارقاً بثلاثة آلاف درهم، وطرد علوية، ولم يمنحه، تطيرا بما قال،  
حتى إنه كاد أن يحبسه، لغناؤه شعرا يتطير منه، فتطير المأمون،  
وضاق بعلوية، ومنح مخارقاً جائزة.

إن المأمون استحضر الجلساء، والمغنين والشعراء، فقد كان ممن  
استحضرهم الحسين بن الضحاك، وذلك دليل على اتجاه المأمون في  
سمره في مجالسه، وحببه الشعر، والغناء الذين كان لهما صولات في  
قصر الخلافة في عصر المأمون العباسي.

\*\*\*

روى أن المأمون وعد جارية وأخلفها الوعد، فكتبت إليه:

أرقت عيني ونامت	عين من هنت عليه
إن نفسي فاعذرنيها	أصبحت في راحتيه
رحم الله رحيماً	دل عيني عليه <sup>(١)</sup>

فلما قرأ رقعتهما ضحك، ونفذ وعده.

وذلك دليل على أن للشعر مكانة في قصر المأمون، وعند جواريه،  
وعنده هو، فهو يميل إلى الشعر، ويجب أن يخاطب به، وأن يكون  
الحديث به، والعتاب به أيضاً.

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٧٦

هنت: ضعفت منزلها، راحتيه: باطنا كفيه، تقصد في يديه.

والعجيب أن المأمون قبل من الجارية هذا الشعر الذى هو مزيج من العتاب والغزل، والغريب أيضا أن الجارية تخاطب الخليفة خطاب المحب للمحبوب، فقد رفعت الجارية التكلف بينها وبين المأمون وذلك أمر فى غاية الغرابة.

وربما كان هذا لونا من الغزل الصناعى الذى يقبل فى الشعر، لكنه على أية حال غزل أنشدته الجارية للخليفة المأمون، دلالة على قيمة الشعر التى جعلت جارية فى مستوى محادثة الخليفة على هذا النحو.

\*\*\*

روى أن العباس الهمدانى كتب إلى الخليفة المأمون فى يوم نيروز يقول:

أهدى لك الناس المرا	كب والوصائف والذهب
وهديتى حلو القصا	ئد والمدائح والخطب
فاسلم سلمت على الزما	ن من الحوادث والعطب <sup>(١)</sup>

فقال المأمون: احملوا إليه كل ما أهدى لنا فى هذا اليوم.

---

(١) العقد الفريد ٣٠٤/٤

المراكب: جمع مركب، وهو كل ما ركب، الوصائف والوصفاء جمع وصيف ووصيفه، والوصيف: الخادم دون المراهق، والوصيفة: الجارية، وصيف وصفاء، ووصيفة وصائف، المدائح: جمع مدحه، وهى قصيدة المدح، الخطب: جمع خطبة، الحوادث: جمع حادثة، العطب: الهلاك.

فقد أعجب المأمون بالشعر الذى يحكى فيه الشاعر عن هدايا الناس  
للمأمون، وهديته هو، ودعائه للمأمون بأن يسلم على الزمان، لذا كان  
تشجيع المأمون الشاعر بهذه الهدايا.

وقد سوى الشاعر بين شعره وحلو قصائده، وبين الهدايا الثمينة،  
وربما كان يرى أن هديته أفضل، وأعلى مرتبة عند المأمون، وقد  
صدق حسه، حتى إن المأمون أهدى الشاعر بشعره كل ما أهدى  
للمأمون فى هذا اليوم، فكان شعر الشاعر يفوق فى قدره كل هذه  
الهدايا التى أهديت إلى المأمون فى يوم النيروز.  
وهذا تقدير للشعر يتصاغر أمامه كل تقدير.

\*\*\*

روى أن اليزيدى شرب عند المأمون الخليفة العباسى، فلما أخذت منه  
الكأس أقبل يعتز عليه بتعليمه إياه، وساء مخاطبته.  
فلما أفاق اليزيدى من سكره عرف ما جرى، فلبس أكفانه، ووقف  
بين يدي المأمون، فأنشده:

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع      ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو  
ثملت فأبديت منى الكأس بعض ما      كرهت وما لن يستوى السكر والصحو  
ولا سيما إن كنت عند خليفة      وفى مجلس ما إن يجوز به اللغو



فإن تعف عنى ألف خطوى واسعا وإلا يكن عفو فقد قصر الخطو<sup>(١)</sup>  
 فقال المأمون: لا تثريب عليك، فالنبيذ بساط يطوى بما عليه.  
 وهذا العفو، لم يكن إلا لهذه الأبيات الأربعة التي يعتذر فيها الشاعر،  
 ويعترف بأنه مذنب خطأ، لكن عضو الخلافة أوسع، ولو لم يكن  
 ذنب لما عرف العفو، ويحكى ما حدث منه فى مجلس الخليفة،  
 ويستكبر ما صنع، إذ هو لا يجوز فى مجلس الخليفة، ثم يلتمس عفو  
 الخليفة.

والغريب أن الشاعر قد نال هذا العفو الذى كان يبتغيه، ويقصده،  
 ويريده من المأمون شعره هذا.

\*\*\*

روى أن المأمون كان له مغن، يسمى سوسنا، فنظرت إليه جارية  
 للمأمون، وغنت:

ما مررت بالسوسن الغض إلا      كان دمعى لمقلتى نديما  
 حبذا أنت والمسمى به أنى      ت وإن كنت منه أذكى نسيما<sup>(٢)</sup>

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١٦٢/٢

ثملت: سكرت، عرف: بالبناء للمجهول، أبدت: أظهرت، اللغو: الساقط من الكلام،  
 ألف: أجد، الخطاء: مبالغة فى الخطأ، المذنب: بصيغة اسم الفاعل، العفو واسع: أى  
 بال العفو واسع، أو العفو مجاله واسع، وما إن: أى لا بالنفى، الصحو: أى الإفاقة بعد  
 السكر، خليفة: المقصود المأمون الخليفة العباسى، مجلس: أى مجلس الخليفة، الخطوا:  
 هو طول ما بين القدمين عند المشى، أو الجرى.

(٢) العقد الفريد ١٤٣/٤

فوهب المأمون الجارية للمغنى.

وهذه رواية غريبة تدل على أن المأمون كان يحب الشعر، ويشجع عليه، مهما قيل، وممن قيل، فهذا مغن، تغزلت فيه جارية للمأمون ببيتين من الشعر، فما كان من المأمون إلا أن أهدى الجارية للمغنى، لما عرف من شعرها تغزلها فيه حبا.

والعجيب أن تتجرأ جارية المأمون بمثل هذا الشعر، لولا أنها تعتقد أن للشعر منزلة عالية عند الخليفة.

والعجيب أيضا أن يكافئها الخليفة على هذا الشعر، ويحقق لها رغبتها.

لكنه الشعر الذى يعلى قيمة الجارية فى نظر المأمون.

\*\*\*

روى أنه لما أفضت الخلافة إلى المأمون أقام عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء، ثم غناه أبو عيسى المغنى، وسأل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى، فحرجه عند المأمون بعض من حسده، فأمسك المأمون عن ذكر إسحاق.

فجاء علوية المغنى إسحاق، فذكر إسحاق له شعرا يغنى المأمون به، ليسأل المأمون عن هذا الشعر، فيقول له علوية: إنه لإسحاق.

---

الغض: الطرى الناضر، النديم: المشارك فى الشراب، أنكى: أطيب، وأشد عطرا، نسيما: رائحة طيبة.

وفعل علوية وغنى المأمون بالشعر، وهو:

يا مشرع الماء قد سدت مسالكه      أما إليك سبيل غير مسدود  
لحائم حار حتى لا حياة به      مشرد عن طريق الماء مطرود<sup>(١)</sup>  
فلما سمعه المأمون: ويلك، لمن هذا؟

قال علوية: يا سيدي لعبد من عبيدك جفوته، واطرحته.

قال المأمون: إسحاق؟

قال علوية: نعم.

قال المأمون: ليحضر الساعة، فحضر، فأكرمه أيما إكرام.

فقد اصطنع إسحاق بن إبراهيم الموصلي حيلة لإيصال شعره إلى المأمون، لتقته في ذوق المأمون، وأنه إذا سمع شعره سوف يستدعيه، ويرضى عنه، وقد صدق حسه، فاستدعاه المأمون، وسمع غناؤه، وأجازته الجوائز الكثيرة.

- إن المأمون غناه أبو عيسى المغنى، وعلوية المغنى، ثم إسحاق المغنى.

- إن مجلس الخليفة كان مجلس شعر، وغناء، وذلك إعلاء لقيمة الشعر والغناء في عصره.

---

(١) العقد الفريد ١٢٤/٤

مشرع الماء: مورد الشاربة، سدت: بالبناء للمجهول، مسالك: جمع مسلك، وهو طريق السلوك، مسدود: بصيغة اسم المفعول، حائم: اسم فاعل من حام بمعنى دار، حار: من الحيرة، مشرد: بصيغة اسم المفعول، مبعد: مطرود بصيغة اسم المفعول.

\*\*\*

روى أن إبراهيم بن المهدي كان شاعرا مغلقا، وكان يصوغ فيجيد، وكان قد خالف على المأمون، ودعا إلى نفسه، فظفر به المأمون فعفا عنه.

وقال إبراهيم لما ظفر به المأمون:

ذهبت من الدنيا كما ذهبت مني هوى لدهر بي عنها وأهوى بها عني  
فإن أبك نفسي أبك نفسا عزيزة وإن أحتبسها أحتبسها على ضنبي<sup>(١)</sup>  
وغنى بهما بين يدي المأمون، فأعجب المأمون به، وكان أثر الناس عنده، ينادمه، ويسامره، ويغنيه.

والرواية تثبت أن المأمون برغم مخالفة إبراهيم بن المهدي عليه، ودعوته إلى نفسه، قد عفا عنه، لاعتذاره ببيتين من الشعر، يبين فيهما أنه هالك، لا محالة.

ومع ذلك فإن المأمون عفا عن إبراهيم بن المهدي، وصار أثر الناس عنده، ينادمه، ويسامره، ويغنيه، وذلك لبراعة في الشعر والغناء، وذلك دليل على قيمة الشعر والغناء عند الخليفة المأمون.

\*\*\*

روى أن زلزل المغنى غنى المأمون:

---

(١) العقد الفريد ١٢٧/٤  
هوى: سقط، أهوى: أسقط، أو أبعد، ضنى: بخل، وشحى، وأثرتى.

ألا إنما المأمون للناس عصمة      مميزة بين الضلالة والرشد  
رأى الله عبداً خيراً عباده      فملكه والله أعلم بالعبد<sup>(١)</sup>  
وذلك دليل أن المأمون كان يحب الشعر، ويسمع الغناء.

أما هذان البيتان فيحملان معنى جميلاً، فالمأمون عصمة للناس مميزة بين الرشد والضلالة، وأن الله تعالى هو الذى ولاه على الناس، فقد رأى الله تعالى المأمون خيراً عباده، فجعله ملكاً، والله أعلم بالعبد، فذلك فعل الله تعالى الذى يعرف الخير للناس، فقد جعل خلافة المأمون دينية، من عند الله تعالى، فلا غرو أن يسمع المأمون الشعر غناء.

\*\*\*

روى أنه لما مات على بن موسى الرضا فى حياة المأمون الخليفة العباسى بطوس، وكان المأمون قد ولاه عهده، وعقد له الخلافة بعده، ونزع السواد من بنى العباس، وأمرهم بلباس الخضرة، وكان شعار العباسيين لبس السواد، وكان لباس الخضرة شعار أهل البيت، وكان على بن موسى الرضا من آل البيت، فشق قبر الرشيد، ودفن فيه

---

(١) العقد الفريد ١٢٧/٤  
عصمة: حماية من الزلل، مميزة: مفرقة، عبداً: أى المأمون، ملكه: جعله ملكاً، أى خليفة، العبد: على عموم المعنى.

على بن موسى الرضا، تبركا به، وكان الرشيد قد مات بطوس، فدفن هناك.

ولذلك قال دعبل بن على الخزاعي:

أربع بطوس على قبر الزكى بها      إن كنت تربع من دين على وطر  
ما ينفع للرجس من قرب للزكى ولا      على للزكى بقرب للرجس من ضرر  
هيهات كما امرئ رهن بما كسبت      له يداه فخذ من ذاك أو فذر  
قبران فى طوس خير للناس كلهم      وقبر شرهم هذا من العبير<sup>(١)</sup>

- وهذا الهجاء للرشيد بعد موته أمر ذو بال، لا يستطيعه إلا شاعر، وفى مثل موهبة دعبل بن على الخزاعي، فهذا أمر جد عجيب.

- أمر آخر هو أن المهجو، وهو الرشيد الخليفة العباسى والد الخليفة المأمون، ومن عجب أن يكون هذا الهجاء فى عهد المأمون، ولا يعاقب هذا الشاعر الذى تجاوز قدره، وتجاوز قدر الخليفة، وتجاوز قدر الإنسانية التى تأبى هذا الهجاء للخليفة بعد وفاته، حتى لو كان هذا الخليفة قد تجاوز فى عمله.

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١٣٣/١

ربع: أقام، الزكى: الطاهر، وطر: حاجة، هيهات: اسم فعل بمعنى بعد، رهن: مرهون، نر: دع، العبر: جمع عبرة، وهى العظة.

- إن الشاعر يظهر فى هذه الأبيات علويته، وتشيعه للعلويين بوضوح تام، فهو يعلى من قدر على بن موسى الرضا، الزكى، خير الناس، ويخفض من قدر هارون الرشيد، الرجس، شر الناس، وتلك شيعية ما كانت لتقبل فى دولة بنى العباس الذين أشبعوا العلويين قتلًا وتكفيلًا، حتى إننا لا نبالغ إذا قلنا: إن العلويين قد نالوا من أبناء عمومته العباسيين القتل، والتعذيب أكثر مما ناله العلويون من الأمويين خصومهم الحقيقيين.
- ربما يقلل من أثر هذه الأبيات من الشعر فى حق الرشيد أن المأمون كان يميل إلى العلويين، وكاد أن يمنحهم الخلافة، لولا أحداث حالت دون تحقيق ذلك.
- إن هذا الشعر يعد من الشعر السياسى الذى يظهر فيه كل شاعر حق الحزب الذى ينتمى إليه، ومن ثم يكون هناك تجاوز فى الحقائق، والمبالغات فى المساجلات الشعرية فى الشعر السياسى، حيث يحاول كل فريق من الشعراء الانتصار بالقلم، أو الأدب، أو الشعر لمن يرتضيهم حكما فى الدولة العربية الإسلامية، وكان الشعر سلاحا ذا بال فى هذه المعارك السياسية، والحزبية.

\*\*\*

روى أن المأمون الخليفة العباسى جلس للمظالم يوما، فكان آخر من تقدم إليه، وقد هم بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة.

فوقفت بين يديه، وألقت عليه السلام، فرد عليها يحيى بن أكثم.

فقال لها يحيى بن أكثم: يا أمة الله، تكلمى بحاجتك.

فقالت:

يا خير منتصف يهدى له الرشد      ويا إماما به قد أشرق البلد  
تشكو إليك - عميد القوم - أرملة      عدى عليها فلم يترك لها سبد  
وابتز منى ضياعى بعد منعتهما      ظلما وفرق منى الأهل والولد<sup>(١)</sup>  
فأطرق المأمون الخليفة العباسى حيناً، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:  
فى دون ما قلت زال للصبر والجلد      عنى وأقرح منى القلب والكبد  
هذا أذان صلاة العصر فانصرفى      واحضرى للخصم فى اليوم لذى أعد  
فالمجلس لسبب إن يقضى للجلوس لنا      ننصفك منه وإلا للمجلس الأحد<sup>(٢)</sup>

(١) العقد الفريد ٣٢٢/١-٣٣، نهاية الأدب ٢٧٦/٦

منتصف: بصيغة اسم الفاعل من انتصف، يهدى له، عدى عليها، فلم يترك لها، وابتز منى، وفرق منى: كلها بصيغة الفعل المبني للمجهول، أو المفعول، الرشد: بفتح الشين، عميد القوم: منادى حذف منه حرف النداء، أرملة: فاعل تشكو، السيد: الشعر، ويكنى به عن الإبلان كما يكنى بالوبر عن الغنم، فيقال: ما له سبد ولا لبد، أى ليس ذا وبر، ولا صوف متبلد، يريد إيلا وغنما، وورد الشطر الثانى فى البيت الثانى هكذا: عدا عليها فما تقوى به أسد، وورد الشطر الثانى فى البيت الثالث هكذا: لما تفرق عنها الأهل والولد، منتصف: عادل، أشرق: أثار، وابتز: أخذ عنوة، أرملة: مات زوجها. ضياع: جمع ضيعة، أى مزرعة.

(٢) العقد الفريد ٣٣/١، نهاية الأدب ٢٧٦/٦

يروى البيت الأول هكذا:

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد      وأقرح القلب هذا الحزن والكمد  
أقرحه: غمه، ويروى البيت الثانى هكذا: هذا أوان صلاة العصر فانصرفى، الجلد: بفتح الجيم واللام، وأقرح: بالبناء للمجهول، إن يقضى الجلوس لنا: بالبناء للمجهول،



فلما كان يوم الأحد جلس ، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة،  
فذكرت أن الخصم هو ابنه العباس، فأجلسه معها مجلس الخصوم،  
فجعل كلامها يعلو كلام العباس.

فقيل لها: إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير فاخفضي  
من صوتك.

قال المأمون: دعوها، فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه.  
ثم قضى المأمون لها برد ضيعتها، وظلم العباس ابنه بظلمه لها،  
وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي يبليها أن يوغر لها ضيعتها، أو  
يسقط عنها خراجها، ويحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة<sup>(١)</sup>.

- وهذه الرواية تبين أن المرأة قد عرضت شكواها شعرا، وقد رد  
عليها الخليفة المأمون شعرا أيضا، مما يدفعنا إلى القول بأن  
الشعر كان يمثل لغة التخاطب، أو اللغة الرسمية للمظالم، أو  
الصورة المثلى للتعبير الذي يروق في أعين الناس في العصر  
العباسي.

\*\*\*

---

نصفك: بالجزم، الجلد شدة الصبر، الخصم: بفتح الخاء، المخاصم في الحق، نصفك:  
نرد عنك الظلم.

(١) العقد الفريد ٣٤/١

وكان المأمون يقرض الشعر، وينشده في مواضعه، حتى وهو يجلس للحكم، أو للمظالم.

- وهذه الرواية عن المأمون تبين بجلاء أنه كان يوقر الشعر والشعراء، وقد قدر لامرأة جاءتته تشكو من ظلم ابنه العباس أنها قدمت شكواها شعراء، وذلك يدل على أنه كان محبا للشعر، مستمعا جيدا للشعراء.

- اعتداد المأمون بالشعر والشعراء، وتقديره دور الشعر على لسان الشعراء، حين يعبرون به عن حالهم، أو شكواهم.

- إن الشعر ينشد في مجلس الخليفة بلا حرج، بل يكون لذلك الشعر، ولصاحبه تقدير أكبر.

- إن الشعر الذي ورد في هذه الرواية منسوب لامرأة، مما يدل على أن الشعر كان يقرضه النساء، والرجال معا، بلا حرج، وربما علت منزلة المرأة بقرضها الشعر.

- إن الرواية تقول: إن المأمون أجاب هذه المرأة بالشعر، مما يدل على أنه كان يقرض الشعر، وينشده، بلا حرج، ويدل كذلك على بصره بالشعر، وثقافته التي تهيأت له، حيث كان الخلفاء يربون على أيدي رواة الشعر، ونقدته، وعلماء اللغة، والفقهاء، والمحدثين، وهؤلاء جميعا كانت لهم دراية عالية بالشعر، والأدب، واللغة، وكانت اتجاهاتهم كلها منصبة على الشعر

القديم، فكانوا يربون أولاد الخلفاء على فهم اللغة، والشعر القديم، وتدوقه، ونقده، وهذا يدفعنا إلى القول بأن هؤلاء العلماء والرواة كانوا المنافحين عن مدرسة المحافظين في الشعر، أو المدرسة التقليدية التى تميل إلى النظام القديم والنموذج الأمثل للقصيدة العربية، كما كانت فى العصر القديم.

- لذا يعد الخلفاء من أنصار هذه المدرسة القديمة التى تتخذ نموذجها الأمثل من الشعر القديم واتجاهاته، والتى عانى من تعصبها للقديم الشعراء المولدون الذين ينتمون لمدرسة المجددين، أو المدرسة التجديدية التى حاولت أن تغير من هذه النماذج القديمة فى الشعر فى الشكل، والمضمون، لكن النقاد، والعلماء، والرواة وقفوا لهم بالمرصاد أمام محاولاتهم التجديدية.
- ومن ثم فإن كل ما ينشده الخلفاء، أو ينشد أمامهم، ويحوز القبول منهم إنما ينتمى إلى المدرسة القديمة فى الشعر.
- والعجيب أن المرأة قد عرضت شكواها شعراء، وقد عبرت عن تضررها من ابن الخليفة بأسلوب راق فى التعبير، يصلح لمخاطبة الخلفاء، وذلك يدل على أن المرأة كانت تتال حظا غير قليل فى الثقافة الأدبية، حتى إنها لتستطيع أن تعبر عما فى نفسها شعراء، فقد مدحت الخليفة فى البيت الأول، وقدمت شكواها فى البيتين التاليين بأدب جم، وأسلوب رفيع.

- والأعجب من ذلك أن الخليفة المأمون قد رد عليها بمثل بضاعتها، فقد أنشد شعرا في الرد عليها، يبين فيه قبول دعواها، وتأثره بشكواها، في البيت الأول، ويعتذر إليها في البيت الثاني بأدب حجم، وأسلوب رفيع، ويعدها بالنظر في شكواها، بعد منولها أمامه، هي وخصمها، في البيت الثالث، الذي يحدد فيه موعد الفصل في الخصومة.
- وولفت النظر أن المرأة أنشدت ثلاثة أبيات في تقديم شكواها، وقد رد عليها الخليفة المهدي بثلاثة أبيات يوضح لها أثر شكواها، فصار المجلس إعلاء لقيمة الشعر في دولة بني العباس.

\*\*\*

روى أن المأمون الخليفة العباسي نظر إلى جارية من جواريه تخط  
خطا حسنا، فقال المأمون فيها:  
وزابت لدينا خطوة حين أطرقت      وفي أصبعيها أسمر اللون أهيف  
أصم سميع ساكن متحرك      ينال جسيمات المنى وهو أعجف<sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد ٢٨/٣

خطوة: مكانة، ومنزلة وهي بكسر الحاء وضمها، أطرقت: خفضت رأسها، أو أرخت  
عينها تنظر إلى الأرض، و أو سكتت. اسم اللون: يقصد القلم، أهيف: نحيف طويل،  
أصم: يقصد أنه يكتب ولا يتكلم، سميع: يقصد أنه يسمع أوامر صاحبه في الكتاب،  
ساكن: لا يتحرك، متحرك: أى في يد الجارية: جسيمات: جمع جسيم، وجسيمه: أى  
عظيمة هائلة، المنى: جمع منية، وهي بضم الميم وسكون النون، وفتح الياء ما يتمناه  
الإنسان، أعجف: يابس جاف، أو العجف: الهزال.

والشاهد أن هذا الشعر قد أنشده المأمون في وصف القلم، وهو وصف جيد يقف أمام أوصاف كثيرة، للقلم، وصفه بها بعض الشعراء، وكان للمأمون هذا النصيب من الوصف لقلم الجارية التي تخط خطا حسنا، وذلك دليل على ما بلغته الجوارى من تأدب، ومؤهلات لأن يخدمن في قصور الخلفاء.

أما وصف المأمون القلم فهو وصف مادي: أسمر اللون، أهيف، اصم، سميع، ساكن، متحرك، ووصف معنوي: ينال جسيمات المنى وهو أعجف.

وهما وصفان جميلان فيهما دقة ملاحظة، وقوة لماحية، وذكاء من الخليفة المأمون.

\*\*\*

قال المأمون في وصف القلم:

كانما قابل القرطاس إذ مشقت منها ثلاثة أقلام على قلم<sup>(١)</sup>

وهو وصف آخر للقلم الذي حظى عند المأمون بمكانة عالية، جعلته يصفه غير مرة.

\*\*\*

---

(١) العقد الفريد ٢٦/٣

القرطاس: الورق: مشقت: أسرع في الكتابة.

روى أن المأمون قال يصف خاتما:

وأبيض أما جسمه فمدور      نقى وأما رأسه فمعار  
ولم يكتسب إلا ليسكن وسطه      مؤنثة لم تكس قط خمار  
لها أخوات أربع هن مثلها      ولكنها الصغرى وهن كبار<sup>(١)</sup>

وهذا وصف للخاتم، والظاهر أن المأمون كان يحسن الوصف، ويصف كل ما يراه، فقد وصف الخاتم هنا وصفا لا يخلو من لمحية وذكاء، وهو وصف أشبه ما يكون بالأحاجي والمعميات، لكنه يدل على أن المأمون شاعر.

\*\*\*

روى أن المأمون عتب على جارية من جواريه، فأرسل إليها رسولا، فلما رجع الرسول أنشأ المأمون يقول:

بعثتك مرتادا ففرت بنظرة      وأغفلتني حتى اسأت بك الظنا  
وناجيت من أهوى وكنت مبعدا      فياليت شعري عذ دنوك ما أغنى  
ونزعت طرفا في محاسن وجهها      ومتعت باستظراف نغمتها أذنا

(١) العقد الفريد ٤١٢/٤

معار: أى قطعة أخرى فوق المدورة، أو قطعة لها شكل آخر، مؤنثة: يقصد الإصبع، لم تكس خمار: يقصد الإصبع لم تكس خمارا، أخوات أربع: يريد الأصابع، الصغرى: أى صغرى الأصابع، الخمار: غطاء الرأس.

أرى أثرا منها بعينيك لم يكن      لقد سرقت عينك من وجهها حسنا  
فيا ليتنى كنت الرسول وكنتنى      وكنت الذى يقصى وكنت أنا المبنى (١)

فاسترضاها المأمون، فسلم عليها، فلم ترد السلام، وكلمها فلم تجبه،  
فأنشأ المأمون يقول:

تكلم ليس يوجعك الكلام      ولا يؤذى محاسنك السلام

أنا المأمون والملك الهمام      ولكنى بحبك مستهـام

يحق عليك أن لا تقتلبنى      فيبقى الناس ليس لهم إمام (٢)

وذلك كله دليل على أن المأمون كان ينشد الشعر فى كل ما يعن له  
من خواطر، وقد أنشد الشعر الأول، وهو شعر جميل المعنى، بديع  
الغرض، لا يخلو من طرافة، ولما حية، ودقة فى الوصف، الغزل.  
كما أنشد الشعر الثانى الذى يمثل تضرع المحب للمحبوب، وهو  
أشبه بشعر والده الرشيد فى جواريه، يوضح إلى أى حد كان الخلفاء  
فى شعرهم يعبرون به عن حالة المحب، ولا ينظرون إلى موقعهم

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٧٦

مرتادا: من الريادة، وهو السير أمام القافلة أو الجيش ليرى مكان الماء والكلا، وهى  
بصيغة اسم الفاعل، يقصى: بالبناء للمجهول، يبعد، المدنى: بصيغة اسم المفعول،  
المقرب.

(٢) العقد الفريد ٤/٣٧٦

الهمام: بضم الهاء، الملك العظيم الهمة، مستهـام: هائم.

العالي في الحياة السياسية في العصر العباسي، وما ذلك إلا بالشعر  
والغزل.

\*\*\*

روى أن عمرو بن مسعدة وفتيها من أجلة الفقهاء دخلا على  
المأمون، فعرض عليهما الطعام، فرفضاً، فقال المأمون:  
اعرض طعامك وابدله لمن دخلا واحلف على من لبي وشكر لمن أكلا  
فلا تكن سابري العرض محتسماً من القليل فلست الدهر محتفلاً  
ثم عرض عليهما الشراب، فرفضاً، فقال المأمون:

ردا على الكأس إنكما لا تعلمان الكأس ما تجدى

لوذقتما ما ذقت ما امتزجت إلا بد معكما من الوجد

خوفتماني الله ربكما وكخيفتيه رجاؤه عندي

إن كنتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي<sup>(١)</sup>

والشاهد أن المأمون قد أنشد شعرا في كل موقف كان بينه وبين  
جليسيه.

فقد أنشد شعرا في عرض طعامه، وبذله لمن دخل عليه، وجلفه  
عليه، وشكره لمن أكل، ويوجه نصيحة في البيت الثاني.

(١) العقد الفريد ٢٢٤/٤، ٢٢٨-٢٣٩

محتشم: جيب خبول، محتفلاً: أي يجتمع إليك الناس في محفل، أجدى: أصاب  
الجدوى، الوجد: الحزن، أو الغضب.



وأشدد شعرا فى الشراب يأمرهما برد الشراب عليه، لأنهما لا يعرفان جدواه، ولو شربا لعرفا، وأنهما يخافان الله، وهو يرجو الله بقدر خوفهما، ويعلن أنهما إن لم يشربا معه سيشرّب وحده. وهو شعر للمأمون نقدره فنا، ولا نقدره موضوعا.

\*\*\*

كتب طاهر بن الحسين إلى المأمون الخليفة العباسى، فى إطلاق ابن السندى من حبسه، وكان عامله على مصر، فعزله عنها، وحبسه، فأطلقه له، وكتب المأمون إليه:

أخى أنت ومولاى	فما ترّضاه أرضاه
وما تهوى من الأمر	فإبى أنا أهواه
لك الله على ذلك	لك الله لك الله <sup>(١)</sup>

فالمأمون هنا ينشد شعرا، ولو أن هذا الشعر سهل بسيط، حتى ليقرب من النثر، إلا أنه دليل على أن المأمون قد بلغ فى الشعر مبلغا حسنا، حتى إنه إذا تكلم فإنما يلجأ إلى الشعر، وكان الشعر لديه قد بلغ درجة لغة التخاطب السهلة البسيطة، مما يدل على قيمة الشعر عند المأمون العباسى.

\*\*\*

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٦٢/١  
أنا: تنطق بإخفاء المد لضرورة الوزن الشعرى، لك الله: حسبك، أو كافيك.

روى أن المأمون أنشد فى قينة له:

لها فى لحظها لحظات حتف      تميت بها وتحىي من تريد  
فإن غضبت رأيت الناس قتلى      وإن ضحكت فأرواح تعود  
وتسبى العالمين بمقلتيها      كان العالمين لها عبيد<sup>(١)</sup>

والمأمون هنا ينشد شعرا يصف فيه لحظات القينة، وهو معنى تردد فى الشعر القديم كثيرا، فلحظاتها لحظات حتف، تميت، وتحىي، وتقتل الناس إن غضبت، وتعيد أرواح الناس إن ضحكت، وتستعيد الناس بمقلتيها، كان الناس لها عبيد.

وعلى رغم قدم هذه المعانى إلا أن المأمون عبر بها عن إعجابه بهذه القينة، وعينيها، ولحظاتها.

\*\*\*

روى أن عمرو بن سعد بن سلم قال: كانت نوبة أنوبها فى حرس المأمون الخليفة العباسى، فكنت فى نوبتى ليلة، فخرج المأمون متفقدًا من حضر، فعرفته، ولم يعرفنى، فقال المأمون: من أنت؟ قال عمرو: عمرو، عمرك الله، ابن سعيد، أسعدك الله، ابن سلم، سلمك الله.

(١) العقد الفريد ٤/١٤٥

لحظ: نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار، وهو أشد التفقا من الشرز، حتف: هلاك، تسبى: تستعبد، المقلة: شحمة العين التى تجمع البياض والسواد.

فقال المأمون: تكلؤنا هذه الليلة.

قال عمرو: الله يكلؤك قبلى، وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

فقال المأمون:

إبن أخاك الحق من يسعى معك

ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا صرف الزمان صدعك

برد شمل نفسه ليجمعك<sup>(١)</sup>

والمأمون هنا يتمثل بالشعر الذى يعبر به عن الموقف الذى عرض

له وكان المأمون يستصحب الشعر فى كل حديث، أو محاورة.

والمأمون هنا وجد من هذا الحارس أخوة نافعة حقيقية، فالأخ الحق

من يسعى مع أخيه، وينفعه حتى لو ضر نفسه، ومن يبدد شمله

ليجمع شمل أخيه إذا صدعه صرف الزمان.

والمعنى جيد، والموقف يصلح فيه هذا التمثيل بالشعر، والشعر كان

فى موقعه تماما، والمنشد هو المأمون، وقد اصاب قدرا كبيرا من

البلاغة فى القول، والفصاحة فى التعبير، ولكل مقام مقال، وقد أحسن

المأمون فى هذا المقام.

\*\*\*

---

(١) زهر الآداب وثمر الآلباب ٢/٢٣١

صرف الزمان: حادثة، صدع: شق، برد: فرق، شمل: جمع.

روى يحيى بن أكثم قال: كنت عند المأمون الخليفة العباسي، فأتى  
برجل ترعد فرائصه، فلما مثل بين يديه قال المأمون كفرت بنعمتي،  
ولم تشكر معروفى.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله  
بك على؟

فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، وقال متمثلاً:

ولو كان يستغنى عن الشكر ماجد لرفعه قدر أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره فقال اشكروا لى أيها الثقلان

ثم التفت المأمون إلى الرجل، فقال: هلا قلت كما قال أصرم بن  
حميد:

ملكك حمدى حتى ابنى رجل كلى بكل ثناء فيك مشتغل

خولت شكرى لما خولت من نعم فحر شكرى لما خولتلى خول<sup>(١)</sup>

والشاهد أن المأمون تمثل بالشعر فى الحالين، فقد تمثل ببیتين من

الشعر أولاً، يبين فيهما أنه لا يستغنى الماجد عن الشكر لعلو قدره،

لأن الله تعالى أمر الثقلين بشكره.

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٤٠/٢

الفرانص: أوداج العنق، الثقلان: الإنس والجن، مشتغل: مشغول، حر شكرى: أى  
شكرى الخالص، خولتلى: منحنتى، أو أوليتى، خول: خول الإنسان الحاشية من العبيد  
والأماء، تطلق على الواحد، والجمع، والمذكر والمؤنث، وقوله: أيها الثقلان: تعبير  
مقتبس من القرآن الكريم، خول: بتشديد الواو: منح، أو جعل شكره مرتبطاً بنعم  
الممدوح.

وتمثل ببيتين آخرين يبين فيهما أنه ملك عليه حمده، فصار يثنى عليه بكل ثناء، وجعل شكره مرتبطا بما خوله من نعم، فصار شكره مصاحبا لنعمه التي منحه إياها.

وقد تمثل المأمون بهذا الشعر، لما قال الرجل: وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله تعالى بك على، فعبر المأمون عن هذا المعنى بالشعر تعبيراً أقوى من تعبير الرجل، وأبلغ فى تحصيل المعنى المقصود، والغرض المنشود.

وكل ذلك إعلاء لدولة الشعر فى عصر المأمون.

\*\*\*

روى أن المأمون لما أعرس، إذ بنى على بوران بنت الحسن بن سهل وزيره، وصله بمال كثير، وأقطعه أرضاً، فلما انصرف الحسن، خرج المأمون مشيعاً، فقال له المأمون: يا أبا محمد، سل حاجتك.

فقال له الحسن: أسألك يا أمير المؤمنين أن تحفظ لى من قلبك ما لا أستطيع حفظه إلا بك.

فتبسم المأمون، ثم قال: شهدت جعفر بن يحيى، وقد ودع الرشيد، فقال الرشيد: سل حاجتك، يا أبا الفضل.

فقال جعفر: تجعل بينى وبينك بيت كثير، حيث يقول:

وكونى على الواشين لداء شغبة كما أنا اللواشى ألد شغوب<sup>(١)</sup>  
وهذه الحاجة ما قدر لها أن تقضى.

والمأمون هنا يتمثل بالشعر، أو يحكى تمثّل جعفر بنى يحيى بالشعر  
للرشيد أبيه، ويتخذ من هذه الرواية موضعا ليتمثل بالشعر الذى ورد  
فيه.

وذلك دليل على أن المأمون يحفظ الكثير من شعر القدماء، يتمثل به  
عند الحاجة إليه، وينشده فى الموقف الذى يكون الشعر فيه من قبيل  
فصل الخطاب، وذلك لأن المأمون يعتز بالشعر، ويعده القول  
الفصل.

\*\*\*

روى أنه لما بنى المأمون بيوران، واسمها خديجة، فرش لها حصير  
من ذهب، وجئ بمكتل من ذهب مرصع بجوهر فيه در كبار، فنثر  
على من حضر من النساء، وفيهن رشيدة، وحمدونة، بنت الرشيد،  
وأشبههما، فما مس من حضر منهن شيئا منه، حتى قال المأمون  
لهن: شرفن أبا محمد، وأكرمن عروسنا.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٥٨  
الواشى: الكذاب، لداء: شديدة الخصومة، وكذلك ألد، شغوب: مهيج الشر، وكذلك  
شغبة، سكون الغين.

فمدت كل واحدة منهن يدها، فأخذت درة، وبقي سائر الدر يلوح على  
حصير الذهب.

فقال المأمون: قاتل الله الحسن بن هانى، أبا نواس، كأنه رأى هذا  
المنظر، حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها      حصباء در على أرض من الذهب<sup>(١)</sup>  
والمأمون هنا يتمثل بشعر أبي نواس فى وصف فواقع الخمر  
بحصباء الدر على أرض من الذهب، حين رأى حصير الذهب،  
وعليه الدر يلوح، فتذكر بيت أبي نواس، وتمثل به، مما يدل على  
حفظه الشعر العربى.

كما أن هذا التشبيه قد أعجب به البلاغيون، فقد جعلوه من التشبيه  
الشكلى المصيب، وقد أعجب به المأمون، حتى إنه ليقول: قاتل الله  
الحسن بن هانى، أبا نواس، كأنه رأى هذا المنظر، حيث يقول،  
وأشدد البيتين.

إلى هذا الحد كان المأمون يحفظ الشعر العربى، ويعرف معانيه،  
وتصويره، ويصيب عند التمثل به المحذ، ويطبق المفصل، وهى  
موهبة أدبية ونقدية فذة.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٥٩

فواقعها: يصف فقايع الخمر، وهى النفاخات التى ترتفع فوقها كالتقارير، وقد يراد  
الصفرة، وهى لون الخمر، حصباء: حصى، در لؤلؤ، أرض من الذهب: أى الخمر،  
فهو يصف فواقع الخمر.

\*\*\*

روى أن هارون الرشيد كان بالرقعة، فكتب إليه صاحب الخبر بموت الكسائي العالم، وإبراهيم الموصلي المغنى، والعباس بن الأحنف الشاعر فى وقت واحد، فقال الرشيد لإبنه المأمون: اخرج فصل عليهم، فخرج المأمون فى وجوه قواده، وأهل خاصته، وقد صفوا له، فقال له: من ترى أن يقدم؟ قال المأمون: الذى يقول:

يا بعيد الدار عن وطنه      هائما يبكى على شجنه  
كلما جد البكاء به      زادت السقام فى بدنه<sup>(١)</sup>

قيل له هذا، وأشاروا إلى العباس بن الأحنف.

فقال المأمون: قدموه، فقدم عليهم.

والشاهد أن المأمون العباسى قدم الشاعر على العالم اللغوى، والمغنى، وذلك دلالة على أن الشعر يحتل عنده موقعا فريدا، عاد على الشاعر بالتقديم على العالم اللغوى، والمغنى.

وقد اختار المأمون بيتين من الشعر، غاية فى الملاحظة والظرف، والتغزل، والتسوق، والحزن، والهيام، والشجن، والبعد عن الديار،

(١) المقد الفريد ٢٤/٤

هائما: شغف حبا، أو شدة العشق، أو شدة الوجد، شجنه: حزنه، الأسقام: جمع سقم، وهو المرض.



والوطن. والبكاء، والأسقام، وغير ذلك مما هو معروف عند شعراء  
الغزل، وخاصة العباس بن الأحنف، الشاعر العباسي.  
وذلك دليل على أن المأمون يفهم دقائق الشعر، ويعرف درره،  
ومحاسنه، وليس ذلك بغريب على المأمون.

\*\*\*

روى أن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال: إني بباب المأمون،  
إذ خرج عبدالله بن السمط، فقال لي: علمت أن أمير المؤمنين على  
كما له لا يعرف الشعر.

قلت له: وبم علمت ذلك؟

قال ابن السمط: أسمعت الساعة بيتا، لو شاطرنى ملكه عليه لكان  
قليلًا، فنظر إلى المأمون نظرة سمجة كاد أن يصطلمنى عليها.

قلت له: وما البيت؟

فأنشد:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل  
قلت له: والله، لقد حلم عليك، إذ لم يؤدبك عليه، ويالك، وإذا لم يشتغل  
هو بالدنيا فمن يدبر أمرها؟ ألا قلت كما قال جدك في عبدالعزيز بن  
مروان:

فلا هو فى الدنيا مضىع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله<sup>(١)</sup>  
فقال ابن السمط: الآن، علمت أنتى أخطأت.

والشاهد هنا أن عبدالله بن السمط كان يرى أن المأمون لا يعرف الشعر، لأنه أنشد المأمون بيتا من الشعر، لو شاطره المأمون ملكه عليه لكان قليلا، وأن المأمون نظر إليه نظرة سمجة، وكاد أن يعاقبه. ولما سمع عمارة بن عقيل هذا البيت أفهم عبدالله بن السمط أن المأمون قد فهم البيت جيدا، وأن الشاعر هو الذى لم يكن موفقا فى إنشاد هذا البيت، وأن المأمون قد حلم عليه، إذ لم يؤدبه على هذا البيت من الشعر.

وذلك لأن الشاعر ينفى عن المأمون الاشتغال بالدنيا، لأنه مشتغل بالدين، والناس مشغولون بالدنيا.

وكان رد عمارة بن عقيل على عبدالله بن السمط: وإذا لم يشتغل المأمون بالدنيا، فمن يدبر أمرها؟

ومعنى ذلك أن المأمون على حق فى فهم هذا البيت.

ثم يوجه عمارة بن عقيل عبدالله بن السمط الشاعر التوجيه السليم فى مدح الخلفاء، بعرضه بيتا مدح به جده، وكان شاعرا، عبدالعزيز بن

---

(١) العقد الفريد ١٨/٤-١٩ مشاعيل: جمع مشغال، مبالغة، مشتغلا: بصيغة اسم الفاعل، مضىع: بصيغة اسم الفاعل، عرض الدنيا: ماديات الحياة.

مروان يقول فيه: إنه لا يضيع نصيبه من الدنيا، فهو ينال نصيبه منها، ولا يشغله نصيبه من الدنيا من عرضها عن الاشتغال بالدين، فلا يضيع نصيبه من الدنيا، ولا ينكب على الدنيا انكباب، من يضيع دينة، فهو وسط بين النهل من الدنيا، والانشغال بالدين.

ففهم أبو السمط أنه أخطأ، وأن نظرة المأمون النقدية في بيته الشعري أدق فهما، وأحسن موقعا، وأقرب إلى روح المعنى الذي يجب أن يمدح به المأمون.

وذلك يدل على أن المأمون كان ناقدًا حصيفًا، وذو آفة بارعا.

\*\*\*

روى أن أحمد بن يوسف وزير المأمون الخليفة العباسي كتب إلى المأمون يستجدي لزوار على باب المأمون، فوقع المأمون في عرض كتابه:

الخير متبع، واموال الملوك مظان لطلاب الحاجات، فاكتب أسماءهم،  
وبين مرتبة كل واحد منهم، ليصير إليه على قدر استحقاقه، ولا  
تكدرن معروفنا بالمطل والحجاب، فقد قال الشاعر:

فإنك لن ترى طرد الحر      كالصاق به طرف الهوان  
ولم تجلب مودة ذى وفاء      بمثل الود أو بذل اللسان<sup>(١)</sup>

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٥٠/٢  
الهوان: الذل، طرد: حجب ومنع، بذل اللسان: أى بذل الكلم الطيب باللسان.

نصيحة غالية من المأمون لوزيره أحمد بن يوسف، يتمثل فيها المأمون ببيتين من الشعر، يحذره فيهما من طرد الحر، ويحضه على ود ذى الوفاء، ويرسم له فيهما سياسة مقابلة زوار الخليفة، والاستجداء لهم.

فالمأمون هنا تمثل ببيتين هما غاية في التعبير عن الموقف الذي قيل فيه هذان البيتان، فهو يرسم سياسة استقبال الزوار لوزيره، وهو في الوقت نفسه ينشد الشعر الذي يعبر به عن هذه السياسة أصدق تعبير. وتلك منزلة عالية في فهم الشعر، والتمثل به في المواقف المختلفة.

\*\*\*

روى أن المأمون الخليفة العباسي قال لأبي دلف يوما: أنت الذي تقول:

إني امرؤ كسروى الفعال أصيف الجبال وأشتو العراقا<sup>(١)</sup>  
ما أراك قدمت لحق طاعة، ولا قضيت واجب حرمة.

قال أبو دلف: يا أمير المؤمنين: إنما هي نعمتك، ونحن فيها خدمك، وما هراقة دمي في طاعتك، إلا بعض ما يجب لك.

وذلك دليل على أن هذا الشعر من أبي دلف الوالى كان سببا لغضب المأمون عليه، فالمأمون في هذه الرواية، ينقد بيتا من الشعر في فخر

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٤٢/١  
كسروى: نسبة إلى كسرى ملك الفرس، أصيف: أفضى الصيف، أشتو: أفضى الشتاء.

أبى دلف، الوالى، بنفسه، ولم يعجب المأمون هذا الفخر، فنقد البيت الشعري، وقال لأبى دلف: ما أراك قدمت لحق طاعة، ولا قضيت واجب حرمة.

ولما استعطفه أبو دلف، بأن ما يتقلب فيه إنما هو نعمة الخليفة، وأنه من خدمة، وأن دمه يراق فى طاعته، وهذا بعض ما يجب له، عفا عنه المأمون.

\*\*\*

وروى أن على بن جبلة قال فى مدح أبى دلف القاسم بن عيسى العجلي، أحد أكابر قواد المأمون.

إنما الدنيا أبو دلف      بين بادية ومحاضرة  
فإذا ولى أبو دلف      ولت الدنيا على أثره  
كل من فى الأرض من عرب      بين بادية إلى حضره  
مستعير منك مكرمة      يكتسيها يوم مفتخرة<sup>(١)</sup>

فقال له المأمون: قد جعلنا نستعير المكارم منك فقال أبو دلف: يا أمير المؤمنين، قول زور، وكلام غرور، أصدق منه ابن أخت لى، حيث يقول:

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤٩١، المعقد الفريد ٢:٢/١  
البادى: ساكن السبادية، الحضر: ساكن الحاضرة، مفتخرة: مفخرة، أجوب: أقطع،  
الكرج: بفتح الكاف والراء موضع بالقرب من نهاوند، وهى حصن أبى دلف، قاسم:  
هو القاسم أبو دلف، ولى: مات، على أثره: خلفه، وفى رواية: ذرىنى، بدلا من دعبنى

دعيني أجوب الأرض في طلب الغنى فما الكرج الدنيا ولا الفاس قاسم  
والشاهد أن المأمون ضاق من مدح على بن جبلة، الشاعر لأبي دلف  
العجلى، وإليه، وأحد كبار قواده، ونقد هذا المدح بأنه إذا كان هذا  
المدح صادقاً، فقد جعل الشاعر الممدوح أصل المكارم، وكل من فى  
الأرض، من عرب، ومن عجم مستعير منه مكرمة، يكتسبها يوم  
مفتخره، فكان المأمون يستعير المكارم من أبى دلف.

فهذا أبو دلف روعه، وقد عرف سبب غضبه، فأنشده بيتاً آخر لابن  
أخته، يقول فيه لصاحبه: دعيني أجوب الأرض فى طلب الغنى من  
أى مكان، وبأية وسيلة، فليست الدنيا الكرج مكان أبى دلف، وليس  
الناس القاسم أبى دلف، واعتذر له بأن هذا الشعر الذى قيل فيه قول  
قول زور، وكلام غرور، وإن أصدق من هذا الشاعر من يقول غير  
ذلك، وهو ابن أخته.

ومن ثم هذا روع المأمون عند سماع البيت الذى يناقض فى معناه  
الأبيات التى قيلت فى مدح أبى دلف، وذلك دليل على دقة فهمه  
الشعر.

\*\*\*

روى أن المأمون الخليفة العباسى لما دخل بغداد أصفر دعبل بن  
على الخزاعى، بعد أن أعطاه الأمان، وكان دعبل قد هجاه، وهجا  
أباه الرشيد.

فقال المأمون: يا دعبل من الحضيض الأوهدي؟

فقال دعبل: يا أمير المؤمنين، قد عفوت عن من هو أشد جرمانى.

أراد المأمون قول دعبل يهجو:

بنى من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله واستفذك من الحضيض الأوهدي

يفتخر عليه بقتل طاهر بن الحسين بن مصعب بن زياد اليميني أخاه

محمد، وطاهر مولى لخزاعة، قبيلة دعبل بن علي الخزاعي.

فاستشهد المأمون دعبل بن علي الخزاعي القصيدة المرثية في أهل

البيت.

فاستغفاه دعبل.

فقال المأمون: لا بأس عليك، وقد رويتها، وإنما أحببت أن أسمعها

منك.

فأنشدها دعبل، فلما انتهى إلى قوله:

ألم تر أنى من ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم فى غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات

إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم أكفا عن الأوتار منقبضات

وأل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد غلظ القصرات

بنات زياد فى القصور مصونة وبنات رسول الله فى الفلوات<sup>(١)</sup>  
بكى المأمون، وجدد له الأمان، وأحسن له الصلة. والقصيدة طويلة،  
وكان دعبل مداحا لآل البيت، كثير التعصب لهم، والغلو فيهم،  
ومرثيته مشهورة، وهى من جيد شعره.  
وأولها:

مدارس آيات خلّت من تلاوة      ومنزل وحى مقفر العرصات  
لآل رسول الله بالخيف من منى      وبالبيت والتعريف والجمرات  
ديار على والحسين وجعفر      وحمزة والسجاد ذى النفثات  
قفا نسأل الدار التى خف أهلها      متى عهدا بالصوم والصلوات  
وأين الألى شطت بهم غربة للنوى      أفانين فى الأفاق مفترقات  
أحب قصى الدار من أجل حبهم      وأهجر فيهم أسرتى وبناتى<sup>(٢)</sup>  
وهذه الرواية تبين عدة أمور:

(١) زهر الأدب وثمر الألباب ١/١٣٤

حجة: بكسر الجيم، سنة، أروح: من الرواح، وأغدو من الغدو، وهما آخر النهار  
وأوله، الفى: الغنيمة، صفرات: خاليات، وتروا: بالبناء للمفعول، وتر: بكسر الواو،  
الثأر، القصرات: بفتح القاف والصاد، جمع قصرة، بفتح القاف والصاد، أصل العنق،  
زياد: يقصد بنات الأمويين، الفلوات: جمع فلاة، وهى الصحراء.

(٢) العقد الفريد ١/١٣٣

مقفر، بصيغة اسم المفعول، خالان العرصات: بفتح العين والراء، جمع عرصنة، وهى  
الساحة، الجمرات: بفتح الجيم والميم، جمع جمرة، أى مكان رمى الجمار، السجاد:  
صيغة مبالغة من السجود، خف: رحل، قفا: الأمر للصاحبين على عادة الشعراء  
القدامى، شطتكم بعدت غربة النوى، بعد السفر، أو الفراق، الأفاق: جمع افق، وهو  
منتهى من البصر، مفترقات: بصيغة اسم المفعول، قصى الدار: بعيدها.



- إن دعبل الشاعر قد هجا المأمون الخليفة العباسي بأنه من خزاعة، التي قتل أحد موالها محمدا الأمين أخا المأمون، مما أوصل الخلافة إلى المأمون، فهو يفخر عليه بذلك، ويهجوهم شادوا بذكره بعد طول خموله، واستنفذوه من الحضيض الأوهد.
- وفي هذا تطاول شديد من الشاعر على الخليفة، لا يستطيع قبوله، أو العفو عنه، ومع ذلك عفا المأمون عنه، وهذا أمر جد غريب.
- إنه كان من المنتظر حين يحضر المأمون الشاعر عنده أن ينتقم منه شر انتقام، لأنه هجاه أشد هجاء، وهجا أباه الرشيد أيضا، ومع ذلك فإن المأمون بعدما أحضر الشاعر أعطاه الأمان، وسأله عن الحضيض الأوهد الذي ذكره في هجائه، وهو أمر يدعو إلى الاستغراب من موقف الخليفة من الشاعر.
- إن الشاعر قد رد ردا عجيبا على الخليفة، حين قال: يا أمير المؤمنين، قد عفوت عن من هو أشد جرما مني، وهذا الرد يدل على الثقة الشديدة التي يعتقدونها الشاعر في أنه لن يعاقبه المأمون، لأن هذا الرد لا يعتذر فيه الشاعر عما بدر منه، من هجاء الخليفة، وإنما هو اعتراف بجرمه، ومحاولة منه لتخفيف هذا الجرم بأن ثمت من هو أشد منه جرما، وعفا عنه الخليفة.

- إن الخليفة المأمون قد استنشد دعبلا مرثيته الجيدة في أهل البيت، ولما استعفاه دعبل، قال له المأمون: لا بأس عليك، وقد رويتها، وإنما أحببت أن اسمعها منك، وهذا إمعان في تكريم دعبل، والعفو عنه، والاحتراف به، وبشعره، وحب الخليفة شعر دعبل، حتى لو كان هذا الشعر في مدح آل البيت، وهو المدح الذى لا يروق للعباسيين، لكن يبدو أن للمأمون رأيا آخر غير رأى قومه العباسيين، مما انعكس على معاملته لدعبل الشاعر.
- إن الخليفة المأمون ربما كان رأيه أن مرثية دعبل لآل البيت إنما تنطق بجور بنى أمية، وليس لها علاقة ببنى العباس.
- إن الخليفة المأمون قد تأثر تأثرا عنيقا بمرثية دعبل لآل البيت، حين أنشدها دعبل الخليفة، حتى إن الخليفة قد بكى، وجدد الأمان لدعبل، وأحسن له الصلة، على رغم أن دعبلا كان مداحا لآل البيت، كثير التعصب لهم، والغلو فيهم.
- إننى أرى أن هذه المرثية إنما تمثل رثاء لآل البيت، يتأثر به العباسيون أيضا، وهم أبناء عمومة للعلويين، وهما معا خصوم الأمويين، من أجل ذلك أعجب المأمون بشعر دعبل، وتأثر به، وكافاه عليه، وليس فى ذلك أیه غرابة.

\*\*\*

روى أن المأمون الخليفة قال لمحمد بن الجهم الشاعر: أنشدني بيتا،  
أوله ذم، وآخره مدح، أولك به كورة، فأنشده ابن الجهم:  
قبحت مناظرهم فحين خبرتهم      حسنت مناظرهم لحسن المخبر.  
فقال له المأمون: زدني.

فأنشده ابن الجهم:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه      فطيب تراب القبر دل على القبر<sup>(١)</sup>  
فولاه الدينور.

وهذه الرواية دليل على ما بلغه الشعر في دولة العباسيين عامة،  
وعند المأمون خاصة، إذ إن المأمون قال لمحمد بن الجهم الشاعر:  
أنشدني بيتا، أوله ذم، وآخره مدح، أولك به كورة.  
إلى هذا الحد بلغت قيمة الشعر، بل قيمة بيت واحد من الشعر عند  
المأمون، فبيت من الشعر يعادل عند المأمون ولاية كورة من الكور.  
ولما أنشده الشاعر بيتا أوله ذم: قبحت مناظرهم، وآخره مدح: فحين  
خبرتهم حسنت مناظرهم لحسن المنظر، أعجب المأمون، وقال  
للشاعر: زدني.

---

(١) العقد الفريد ٢٧/٤

خبرتهم: أختبرتهم فعرفت معدنهم، المخبر: الباطن، طيب: الرائحة الزكية العطرة،  
دل: أرشد.

فأنشده الشاعر بيتا آخر، فيه معنى جميل: أرادوا إخفاء قبره عن عدوه، لكن عدوه استدل على القبر لطيب تراب القبر الذي دل عدوه على مكان قبره، وهو معنى جميل يبين فيه طيب الممدوح، أنشد أعجب المأمون بهذا الشعر، وولى الشعر الدينور.  
وهكذا كانت قيمة الشعر عالية في بلاط المأمون العباسي

\*\*\*

روى أن المأمون الخليفة العباسي قال ليحيى بن أكثم القاضي:  
أخبرني من الذي يقول؟

قاضي يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من بأس

قال يحيى بن أكثم: يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول:

لا أحسب الجور ينقضى وعلى الـ أمة وال من آل عباس<sup>(١)</sup>

قال المأمون: ومن يقوله؟

قال يحيى بن أكثم: أحمد بن نعيم.

قال المأمون: ينفي إلى السند، وإنما مزحنا معك.

والشاهد أن المأمون أراد أن يمزح مع قاضيه، يحيى بن أكثم، فأمره

أن يخبره من الذي يذم القاضي بأنه يرى الحد في الزنى، ولا يرى

بأسا على من يلوط.

---

(١) العقد الفرید ٣٤٣/٢-٣٤٤

الجور: الظلم، بأس: شدة.

واستشعر القاضى الحرج، وأراد أن يبين للمأمون أن الشعراء لم يتركوا أحداً إلا هجوه، أو ذموه، فأنشد القاضى للمأمون بيتاً، يقول فيه الشاعر: إن الجور لا ينقضى طالما أن على حكم الأمة خليفة من بنى العباس.

فسأل المأمون عن قائل هذا البيت، وحنق عليه، وأم أن ينفى إلى السند، تأثراً بهذا البيت الذى قيل فى هجاء بنى العباس. وقد أنشد المأمون القاضى شعراً، فرد عليه القاضى بإنشاد الشعر، وكان للشعر تأثير كبير على المأمون، وفى الشاعر الذى أنشد هذا الشعر، وهكذا نجد الشعر هو سيد الموقف فى كل هذه الحالات، مما يدل على قيمته فى دولة بنى العباس.

\*\*\*

## الفصل الثامن

الشعر في عصر المعنصر بالله

٢٢٧ - ٢٢٨



المعتصم بالله، ٢١٨هـ - ٢٢٧هـ، هو أبو إسحاق المعتصم بالله بن هارون الرشيد، الخليفة العباسي الثامن، بويح يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين، وتوفى يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول، سنة سبع وعشرين ومائتين، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر، وأمه أم ولد، يقال لها ماردة، وهى تركية<sup>(١)</sup>، وكان يسمى المثنى، وذلك أنه الثامن من خلفاء بنى العباس، ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة، وولى الأمر فى سنة ثمانى عشرة ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة، وكانت خلافته ثمانى سنين، وثمانية أشهر، ورزق من الولد الذكور ثمانية، ومن الإناث ثمانية، وغزا ثمانى غزوات، وخلف فى بيت ماله ثمانية آلاف ألف دينار، ومن الورق ثمانية آلاف ألف درهم، ووزر له محمد بن عبدالمك الزيات<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

روى أن أحمد بن أبى دواد قال: ما رأينا رجلا، نزل به الموت، فما شغله ذلك، ولا أذهله، عما كان يجب أن يفعله، إلا تميم بن جميل، فإنه كان تغلب على شاطئ الفرات، وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم، فى يوم الموكب، حين يجلس للعامة، ودخل عليه، فلما مثل بين يديه، ودعا بالنطع والسيف، فأحضرا، فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما،

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/١٢١

(٢) العقد الفريد ٣/٣٠٤



ولا يقول شيئاً، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه، ويصوبه، وكان جسيماً  
وسيماً، ورأى أن يستطقه، لينظر أين جناته، ولسانه من منظره.  
فقال المعتصم: يا تميم، إن كان لك عنز فأت به، أو حجة فادل بها.  
فقال تميم: أما إذ أذن لي أمير المؤمنين، فإني أقول وتكلم، ثم أنشأ يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع	يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي	وأى امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعفو وحجة	وسيف المنايا بين عينية مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف	يسل على السيف فيه وأسكت
وما جزعى من أن أموت وإبنى	لأعلم أن الموت شئ موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم	وأكبادهم من حسرة تفتت
كأنى أراهم حين أنعى إليهم	وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة	أنود الردى عنهم وإن مت موتوا
فكم قائل لا يبعد الله روحه	وأخر جذلان يسر ويشمت <sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١٣٧/١-١٣٨

النطع: فرش أو بساط من جلد، يبسط ويمد للقتل، كامناً: مستقراً، يلاحظني: الضمير  
لموت، يفلت: ينجو، يدلي: يعرض، مصلت: مشهر، منتضى: بصيغة اسم المفعول،  
يدلي: مضارع من الرباعي: أدلى، الأوس بن تغلب: يقصد نفسه: يسيل: بالبناء  
للمجهول، ينتضى، ويشهر، أو يخرج من الغمد، موقت: أى مؤقت بوقت، أنعى: يذكر  
خير موته، بالبناء للمجهول، خمشوا: ضربوا، خافضين: من الدعة والراحة واليسار،  
أنود: أذفع، الردى: الهلاك، موتوا: بالبناء للمجهول، لا يبعد الله روحه: دعاء له  
بالرحمة، يبعد من أبعد الرباعي، جذلان: فرح.

فتبسم المعتصم، وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل، اذهب، فقد غفرت لك الصبوة، وتركتك للصبية.

وهذا موقف عجيب، فالشاعر أمام المعتصم، وقد دعى بالنطع والسيف، ليقتل، والشاعر ينظر إليهما، ولا يتكلم، والمعتصم يصعد النظر فيه، ويصوبه، ورأى أن يستنطقه، ليسمع منه ماذا سيقول في هذا الموقف العصيب، وليعرف عقله، ولسانه، فقال له: إن كان لك عذر فأنت به، أو حجة فأدل بها.

فأنشد تميم بن جميل شعرا، بين فيه موقفه، وموقف الموت منه، وقد كمن بين السيف والنطع، يلاحظه، ويعترف بأن الخليفة قاتلة، وأنه المرء لا يفلت من قضاء الله تعالى، وأنه لا أحد يدلى بعفو وحجة، وسيف الموت مصلب بين عينيه، وأنه وقومه يعز عليهم أنه يسلم عليه السيف ويسكت، ويبين أنه لا يجزع من الموت، ويعلم أن الموت مؤقت بوقت معلوم، لكن خلفه صيبة تركهم، وأكبادهم تنفتت حسرة، وينظر إلى أنهم حين ينعى إليهم قد صوتوا وضربوا وجوههم، ثم يقول: إن عشت عاشوا بغبطة وسعادة أذود عنهم الردى، وإن مت ماتوا، وكم من مترحم عليه، وآخر شامت.

وهى أبيات صادقة معبرة عن أحاسيسه، وموقفه أصدق تعبير، وهى أيضا وليدة اللحظة والموقف، فقد أنشدها على البديهة والارتجال. فكافية غاية فى التعبير، وغاية فى التأثير.

وقد تأثر بها المعتصم أيما تأثير، حتى إنه عفا عنه، وقال له: كاد، والله يا تميم، أن يسبق السيف العذل، اذهبن فقد غفر لك الصبوة، وتركتك للصبية.

وقد مس الشاعر شغاف قلب المعتصم، فكان منه هذا العفو، وليس ذلك بغريب على المعتصم الذي يعلى دولة الشعر في بلاطه.

\*\*\*

روى أن المعتصم الخليفة العباسي زوج الحسن بن الأفشين بآترجة بنت أشناس فقال المعتصم:

زفت عروس إلى عروس	بنت رئيس إلى رئيس
أيهما كان ليت شعري	أجل في الصدر والنفوس
أصاحب المرهف المحلى	أم ذو الوشاحين والشموس <sup>(١)</sup>

والشاهد أن المعتصم ينشد شعرا في زواج الحسن بآترجة، يقول فيه: زفت عروس، وهى الزوجة إلى عروس، وهى الزوج، بنت رئيس إلى رئيس، ويقارن بينهما: أيهما كان أجل في الصدر والنفوس، هل صاحب

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢١٧

عروس: نعت يستوى فيه الرجل والمرأة ما داما فى إعراسهما، يقال رجل عروس، ورجال عرس، بضم العين والراء، وامرأة عروس، ونساء عرائس، والعرس: بكسر العين امرأة الرجل، والجمع أعراس، وربما سمي الذكر والأنثى عرسين، بكسر العين، المرهف: بصيغة اسم المفعول، السيف المرقق، المحلى: السيف ذو الحلية، أو الوشى، الوشاحين: مثنى وشاح، بكسر الواو، وهو شئ ينسج من أديم عريضا، ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

السيف المحلى، أم صاحبة الوشاحين؟ والأبيات على بساطتها، فهي وليدة الموقف، مما يدل على أن المعتصم ينشد الشعر فى المواقف المختلفة التى تعرض عليه فى أى وقت، وفى أى موقف دلالة على موهبة المعتصم فى فن الشعر، وتذوقه، وفهمه، وإنشاده.

\*\*\*

روى أنه لما قبض المعتصم على محمد بن قاران صاحب جبال طبرستان، والمسمى بالمازيار، رغب المعتصم فى أموال كثيرة يحملها إليه إن هو من عليه بالبقاء، ولم يقتله، فأبى المعتصم قبول ذلك، وتمثل بقول الشاعر:

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب<sup>(١)</sup>  
فالمعتصم رفض ترغيب ابن قاران إياه بالأموال الكثيرة، يحملها إليه، إن من عليه بالبقاء، بعدما قبض عليه، لكن المعتصم أبى أن يعفو عنه، ولم ينخدع بهذا الإغراء، وتمثل ببيت شعر يبين فيه أن الأسود همتها فى المسلوب لا السلب، فهم المعتصم فى قتل ابن قاران، وليس فى الأموال التى أغراه بها ابن قاران.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢١٧  
الغاب: جمع غابة، وهى الأجمة، بفتح الهمزة والجيم والميم، الكريهة: فعلية. بمعنى مفعوله، وهى الحرب، المسلوب: القتل، السلب: ما يسلب من الأموال والغنائم.

والمعتصم قد تمثل ببیت معبر عن الموقف الذى طرأ له، وعرض عليه تمام التعبير، واختيار الشعر فى المواقف المختلفة للتمثل بها نكاء، وموهبة، وفهم دقيق للشعر، وحفظ له، والإتيان به لفصل الخطاب أو القول الفصل الذى لا ينازع، وتلك براعة من المعتصم العباسى.

\*\*\*

روى أن المعتصم ذكر جارية بمصر، فدعا مغنيا، فذكر له أمره مع الجارية وأنه أقلته الشوق إليها، وأمره أن يغنى صوتا يصف هذه الحالة، فغنى:

وددت من الشوق المبرح أننى      أعار جناحى طائر فاطير  
فما لنعيم لست فيه بشاشة      وما لسرور لست فيه سرور  
وإن امرأ فى بلدة نصف قلبه      ونصف بأخرى غيرها لصبور  
فقال المعتصم: والله ما عدوت ما فى نفسى، وأمر له بجائزة، ورحل من  
ساعته، فلما بلغ الفرما قال:

غريب فى قرى مصر      يقاسى الهم والندما  
للبيك كان بالميدان      ن أقصر منه بالفرما<sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد ١٤٥/٤، ٤٧/٤

المبرح: الشديد العظيم، أعار: أنال إعاره، الميدان: مكان، الفرما: مصر، أو مكان بها، لبيك: يخاطب نفسه، قرى: جمع قرية، الميدان: يقصد بغداد، وپروى: السقم، بدلا من الندم، والسقم بمعنى المرض.

وهذه الرواية تثبت أن المعتصم العباسي قد ذكر جارية أحبها بمصر، فدعا مغنيا، وبين له أمره مع الجارية، وأنه ألقه الشوق إليها، وأمره أن يغنى صوتا، يصف فيه هذه الحالة.

وذلك دليل على أن للشعر منزلة عند المعتصم، فهو الذى يجعله يسلو، أو ينسى، وربما كان الشعر هو الذى يجعله يتذكر جاريته، وربما أراد إثبات موقفه هذا عن طريق الشعر، أى إن الشعر هو فارس الحلبة فى هذه القصة، يعبر عنها، ثم يتولى الغناء تلحين هذا الشعر، ليخاد الموقف تماما.

إن الشعر الذى أنشده المغنى يقول فيه: وددت أننى أعار جناحى طائر، لأطير إلى مصر، من الشوق المبرح بى إلى هذه الجارية، إذ إن النعيم الذى لست فيه، ليست له بشاشة، والسرور الذى لست فيه، ليس فيه سرور، وإن المرء الذى يعيش نصف قلبه فى بلدة، والنصف الآخر فى أخرى غيرها ليعد صبورا.

وقد أعجب المعتصم بهذا الشعر، حتى إنه قال للمغنى والله ما عدوت ما فى نفسى، وأمر له بجائزة.

والعجيب أن المعتصم لم يطق الصبر الذى ذكره الشاعر فى البيت الأخير، ورحل من ساعته، فلما بلغ الفرما فى مصر قال شعرا آخر، بين فيه أنه غريب فى قرى مصر، يقاسى الهم والندم، على غربته، ويخاطب

نفسه قائلا: ليك كان بالميدان في بغداد أقصر منه بالفرما في مصر، فقد طال ليله في مصر من مقاساته الهم والندم.

وهكذا كان المعتصم شاعرا أيضا في التعبير عن المواقف المختلفة، ولو أنه استدعى من يعبر عنه عن الموقف الأول، فقد عبر هو بنفسه عن الموقف الثاني.

وذلك أصدق دليل على اهتمامه بالشعر، وإحساسه الشديد به، وأنه الوسيلة المعبرة بصدق عن أية حال تعترى حياته.

\*\*\*

روى أن المعتصم الخليفة العباسي كتب إلى عبدالله بن طاهر:

أعزز على بأن أراك عليلا      أو أن يكون بك السقام نزيلا  
فوددت أنى مالك لسلامتى      فأعيرها لك بكرة وأصيلا  
فتكون تبقى سالما بسلامتى      وأكون ممن قد عراك بديلا  
هذا أخ لك يشتكى ما تشتكى      وكذا الخليل إذا أحب خليلا<sup>(١)</sup>

(١) العقد الفريد ٣/٢

أعزز على: أسلوب تعجب، يقصد به أن مرضه أمر يعز عليه، عليلا: مريضا، السقام: المرض، نزيلا: ضيفا نازلا، فوددت أنى مالك لسلامتى، فى الأصل: فوددت أنى أكون مالك لسلامتى، والبيت يكون على ذلك يكون مكسورا، والتصويب من عملنا، بكرة: الوقت أول النهار، اصيلا: الوقت آخر النهار قبل الغروب، أو الزوال، عراك: يقصد، أعارك، أو عراه: أى نزل به، وأصابه، أخ: يقصد نفسه، يشتكى ما تشتكى: يقصد يشتكى بشكواك.

والمعتصم فى هذه الرواية يقول لعبدالله بن طاهر: يعز على أن أراك  
عليلا، أو ينزل بك السقام، ويود أن يكون مالكا سلامته، ليعيرها له بكرة  
وأصيلا، فيبقى سالما بسلامته، ويكون قد عراه بديلا، ويبين أنه أخ له  
يشتكى ما يشتكى أخوه، وكذلك الخليل إذا أحب خيلا.

وهذا موقف مرض فيه عبدالله بن طاهر، فأنشد المعتصم هذه الأبيات  
وبعثها إليه، ليشاركه فى التصبر على مرضه.  
وذلك دليل على اهتمام المعتصم بالشعر، وإنشاده، وأنه يهرع إليه فى  
مواقفه كثيرا.



روى أن الروم خرجت إلى زبطرة، أيام المعتصم بالله الخليفة العباسى،  
بقيادة توفيل، ملك الروم، فنزلوا على زبطرة، وذلك سنة ثلاث وعشرين  
ومائتين، وفتحها بالسيف، وقتل، وسبى، فضج الناس فى الأمصار،  
واستغاثوا فى المساجد، ودخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم العباسى،  
فأنشده قصيدة طويلة، منها:

يا غيرة الله قد عاينت فانتقمى      تلك النساء وما منهن يرتكب  
هب الرجال على إجرامها قتلت      ما بال أطفالها بالذبح تنتهب<sup>(١)</sup>

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٨٥  
غيرة الله: يقصد غيرة الله تعالى على محارمه التى انتهكت، وربما أراد الخليفة نفسه،  
فهو القائم على أمر المسلمين، عاينت: رأيت رأى العين، يرتكب وتنتهب، وقتلت: كلها  
بالبناء للمجهول.



فخرج المعتصم من فوره نافرا، وفتح عمورية.

\*\*\*

ويقال: إن المعتصم بلغه أن روميا لطم أسيرة في زبطرة، فصاحت:  
وامعتصماه، فأحفظه ذلك، وأغضبه، فسار في خمسمائة ألف، أو مائتى  
ألف، وفتح عمورية، فقال فى وصف هذه الحال أبو تمام حبيب بن أوس  
الطائي قصيدته المشهورة.

السيف أصدق أنباء من الكتب      فى حده الحد بين الجد واللعب  
يقول فيها:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت      منك المنى حفلا معسولة الحلب  
ألفيت جد بنى الإسلام فى حد      والمشركين ودار الشرك فى صبيب  
ويقول فيها للمعتصم:

لبيت صوتا زبطريا هرقت له      كأس الكرى ورضاب الخرد العرب<sup>(١)</sup>  
يعنى صوت التى صاحت: وامعتصماه، ثم أمر المعتصم ببناء زبطرة.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٨٥  
الكتب: كتب المنجمين الذين حذروا المعتصم من غزو عمورية، حد الأولى: حد  
السيف، والثانية الفاصل، حفلا: جمع حافل، وهى الناقة التى امتلا ضرعها باللبن،  
معسولة: بطعم العسل، الحلب: الحليب، جد: الحظ والبخت والنصيب، فى سعد:  
ارتفاع، صبيب: انخفاض، صوتا زبطريا: صوت المرأة التى صاحت: وامعتصماه،  
هرقت أهرقت، الكرى: النوم، رضاب: الريق، الخرد: جمع خريدة، والخرد: المرأة  
الحية.

فهذه الرواية تثبت أن إبراهيم بن المهدي دخل على المعتصم، فأنشده شعرا، فيه تحميس للمعتصم، يخاطب به غيرته على الدين، وغضبه للمسلمين، ليهب لقتال الروم، وقد كان.

أما الشعر الذي أنشده إبراهيم بن المهدي، فيقول فيه: يا غيرة الله قد عاينت ما حدث للمسلمين، فانتقمي من الروم، فهذه النساء ترتكبن في حقهن الجرائم، هب الرجال على إجرامها قتلت، مال الأطفال تذبح؟

وقد تحمس المعتصم بهذا الشعر، وخرج لقتال الروم، وهزمهم، وفتح عمورية، فكان الشعر من قبيل الحماسة.

وقد أنشد أبو تمام المعتصم قصيدة رائعة بين فيها أن السيف والحرب والقتال أصدق من قول المنجمين الذين خوفوا المعتصم من فتح عمورية، ويشيد بموقعة عمورية، وأنها نصر للإسلام على الكفر، ويحكي قصة المرأة التي لطمها الرومي، وصاحت: وامعتصماه.

كل ذلك يدل على ما بلغه الشعر في دولة بني العباس، وعند الخليفة المعتصم.

\*\*\*



# الفصل التاسع

الشعر في عصر الوائلي

٢٢٧ - ٢٣٢ هـ



الوائق، ٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ، هو الخليفة التاسع فى دولة بنى العباس، وهو أبو جعفر هارون الواثق بن المعتصم، بويع بالخلافة لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وهو والد محمد المهدي، الخليفة الرابع عشر من خلفاء بنى العباس، وهو أخو الخليفة المتوكل، وأمه أم ولد، ووزر له محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

روى أن الخليفة الواثق أشخص إلى أبى عثمان بكر بن محمد المازنى الشيبانى العالم اللغوى، وكان السبب فى ذلك أن جارية له غنت.

أظلم إن مصابكم رجلا      أهدى السلام تحية ظلم<sup>(٢)</sup>  
فرد عليه بعض الناس نصبها رجلا، وتوهم أنه خبر إن، وليس كذلك، وإنما هو معمول لمصابكم، لأنه فى معنى إصابتكم، وظلم خبر إن.

---

(١) العقد الفريد ٣٠٤/٣

(٢) الأدب العربى وتاريخه ٣٠٤/٢

أظلم: الهمزة للنداء، ظلم: منادى، مصابكم: إصابتكم، ظلم: مصدر.

فقلت الجارية: لا أقبل هذا، وقد قرأته على أعلم الناس بالبصرة أبا  
عثمان المازني.

فلما دخل المازني على الخليفة، قال له الواصل: من خلفت وراءك؟

قال له المازني: خلفت أخيه أصغر مني، أقيمها مقام الولد.

فقال الواصل: ما قالت لك حين خرجت؟

قال المازني: طافت حولي، وقالت، وهي تبكي، أقول لك، يا أخي،  
ما قالت بنت الأعشى لأبيها، وهو:

تقول ابنتي حين جد الرحيل أرانا سواء ومن قديتم

أبانا فلا رمت من عندنا فإنا بخير إذا لم ترم

ترانا إذا أضمرتك البلاد نجفى وتقطع منا الرحم<sup>(١)</sup>

قال الواصل: فما قلت لها؟

قال المازني: أقول لك، يا أخية، ما قال جرير لزوجته، أم حذرة:

تقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح<sup>(٢)</sup>

فقال الواصل: لا جرم، إنك ستنجح، وأمر الواصل له بثلاثين ألف درهم.

\*\*\*

(١) الأدب العربي وتاريخه ٣٠٤/٢-٣٠٥

يتم: بفتح الياء والتاء، أو كسر التاء، صار يتيما، جد الرحيل: تجدد، أو صار جدا، أو  
اجتهد، رام يروم: طلب أو قصد، أو رام يريم، أضمرتك: أبعدتك، أو وارثك، نجفى:  
بالبناء للمجهول، أى يجفونا الناس، يقطعون صلتنا، الرحم: القرابة.

(٢) الأدب العربي وتاريخه ٣٠٥/٢

النجاح: نجاح المسعى والمقصد.

وفى غير هذه الرواية أن المازنى لما دخل على الخليفة الواثق، قال  
الواثق: يا اسمك؟

قال المازنى: أراد الواثق أن يعلمنى بمعرفته إبدال الباء مكان الميم  
فى هذه اللغة.

فقال المازنى: بكر بن محمد المازنى.

فقال مازن بنى شيبان، أم مازن بنى تميم؟

قال المازنى: مازن بنى شيبان.

قال الواثق: حدثنا.

قال المازنى: يا أمير المؤمنين، هيبتك تمنعنى.

وقال الراجز:

لا تقلواها وادلوها دلوا      إن مع اليوم أخاه غدوا<sup>(١)</sup>

قال الواثق: فسرّه.

قال المازنى: لا تقلوها: لا تعنفا بها فى السير، يقال: قلوب، إذا

سرت سيرا عنيفا.

ودلوت: إذا سرت سيرا رفيقا.

ثم أحضر الواثق التوزى، وكان فى دار الواثق، وكان قد قال: إن

مصابكم رجل، توها أنه خبر إن.

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٢٠٥

غدوا: مصدر غدا، أى أتى وقت الغدو، وهو أول النهار.



فقال له المازنى: كيف تقول: إن ضربك زيذا ظلم؟  
قال التوزى: خبر، وفهم المسألة.

\*\*\*

روى أنه لما وفد أبو عثمان المازنى على الخليفة الواثق، قال له  
الواثق: هل خليت وراعىك أحدا يهملك أمره؟  
قال المازنى: أختة لى ربيبتها، فكانها بنتى.  
قال الواثق: ليت شعرى، ما قالت حين فارقتها؟  
قال المازنى: أنشدتتى قول الأعشى:

تقول ابنتى يوم جد الرحيل      أرانا سواء ومن قديتم  
أبانا فلا رحى من عندنا      فإنا نخاف بأن تخترم  
أرانا إذا أضمرتك البلا      د تخفى وتقطع منا الرحم

قال الواثق: ليت شعرى، ما قلت لها؟

قال الواثق: أنشدتها، يا أمير المؤمنين، قول جرير:

تقى بالله ليس له شريك      ومن عند الخليفة بالنجاح<sup>(١)</sup>

قال الواثق: أذاك النجاح، وأمر له بعشرة ألف درهم.

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢١٠/١-٢١١

جد الرحيل: صار جدا، أو أسرع، أو حان، يتم: أى صار يتيما، وهو بالبناء للمجهول،  
أبانا: منادى بحرف نداء محذوف، رمت: لعلها رحت، وهى أفضل فى المعنى،  
تخترم: بالنادى للمجهول، أى تخترمه المنية، أى يموت، أضمرتك: وارثك، وخبأتك،  
تخفى: تستتر، الرحم: الصلة، تقى: أمر لها من وثق.

ثم قال الواثق للمازني: حدثني حديثا ترويه عن أبي مهدية مستظرفا. فروى المازني حديثا حدثه به الأصمعي عن أبي مهدية في أن الأعراب والأغراب سواء في الهجاء.

فضحك الواثق من الرواية، حتى شغل برجله، وقال: لقد لقي أبو مهدية شرا، وأمر له بخمسمائة دينار.

وهذه الروايات تدل على أن مجلس الواثق كان مجلس لغة ونحو، وأدب، فقد كان المجلس يخوض في تصحيح بيت شعر نحويا، مع الإرتباط بمعناه، ثم سؤال عن الشعر الذي أنشدته ابنة المازني لأبيها، والشعر الذي أنشده المازني لابنته، كذلك فهم الواثق اللغة وإبدال الميم باء، وشرح بعض الألفاظ الغريبة في الشعر، والحديث عن بعض اللغويين.

وذلك كله يدل على إهتمام الواثق باللغة، والنحو، والأدب، والشعر، والنقد، والتذوق الأدبي، والفنى.

\*\*\*

روى أن الخليفة الواثق سأل سماره، ذات ليلة، عن السبب الذي من أجله نكب الخليفة الرشيد البرامكة، وكان يعرف ما سيجيبون به.

فقال أحد سماره: إن البرامكة احتجوا الأموال، واستهلكوها، مغترين بعطف الخليفة الرشيد، حتى احتال بعض الناس، وأسمع الخليفة الرشيد قول عمر بن أبي ربيعة.

وعدت هند وما كانت تعد      لبيت هند أنجزتنا ما تعد

واستبدت مرة واحـدة      إنما العاجز من لا يستبد<sup>(١)</sup>

فقال الخليفة الرشيد: أجل والله، إنما العاجز من لا يستبد، ثم وثب على البرامكة، وأطاح بهم، وأزال نعمتهم.

فقال الخليفة الواثق: صدق والله جدى، إنما العاجز من لا يستبد، وأخذ فى ذكر الخيانة فى الأموال، وما يستحق أهلها، ولم يمض على ذلك أسبوع، حتى نكب كتابه، وعماله، وعذبهم، حتى أدوا الأموال التى اختانوا فيها.

والشاهد أن الخليفة الواثق يعلم قصة الرشيد مع البرامكة، وأن من أسباب نكبتهم الشعر الذى أنشده عمر بن أبى ربيعة، وأسمعه بعض الناس الخليفة الرشيد، وأن الرشيد استجاب لمضمون هذا الشعر، أو المغزى منه، ونكب البرامكة، وكذلك فعل الخليفة الواثق تأثرا بما فعله جده الرشيد حين سمع هذا الشعر، فكان الشعر هو سبب حماسة الرشيد والواثق على البرامكة والولاء.

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتها ص ١٨٨  
وعدت: أى وعدت بالوصل، أنجزت الوعد: نفذته، استبدت: تصلبت فى الرأى  
وامتعت عن الوصل، العاجز: الضعيف الواهن.

إن الشعر الذى سمعه الراشد، ثم الوائق فى الغزل، ومع أنه فى الغزل إلا أن الغرض من ورائه كان موارى، ومع ذلك فهمه الرشيد، ثم احتذى الوائق حذو جده.

\*\*\*

روى أن إسحاق الموصلى شخص إلى الخليفة الوائق، بسر من رأى، وأهله ببغداد، فتصيد الوائق، وهو معه إلى نواحى عكبرا، فلما قرب من بغداد، قال إسحاق:

طربت إلى الأصبية الصغار      وهاجك منهم قرب المزار

وكل مسافر يزداد شوقاً      إذا دنت الديار من الديار<sup>(١)</sup>

ولحنه، وغناه الخليفة الوائق، فاستحسنه، وأطربه، فصرفه إلى بغداد على ما أحب.

وكان إسحاق قد قال أولاً: وكل مسافر يشتاق يوماً، فعابوا قوله: يوماً، وقالوا: هى لفظة قلقلة فى هذا الموضع، لم تحل بمركزها، ولا لها هنا موقع.

قال إسحاق: فضعوا مكانها مثلها، لا خير منها.

فما استطاعوا ذلك، فغيرها إسحاق إلى قوله: يزداد شوقاً.

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢٢١/٢

الصبيبة: تصغير الأصبية، جمع الجمع لصبى، هاجك: أثار نفسك، المزار: الزيارة، أو المكان، دنت: قربت.

وهذه الرواية تدل على أن الخليفة الواثق فهم الشعر الذي أنشده إسحاق الموصلي، وفهم الغرض الذي يقصده إسحاق من وراء هذا الشعر، وتلك درجة عالية في تذوق الشعر.

إن الشعر الذي أنشده الخليفة الواثق فيه تشويق، وحنين إلى أصبيته الصغار، فقد طرب إليهم، وهاجه منهم قرب مزارهم، وذكر حكمه في البيت الثاني، وهي: وكل مسافر يزداد شوقا إذا دنت الديار من الديار، وهي حكمة ملائمة للغرض الذي أنشد من أجله إسحاق هذا الشعر، كما أنه تعبر عن حاله أصدق تعبير، وقد فهم الواثق ذلك الموقف من هذا الشعر، واستحسن الشعر، وأطربه، ولبى مطلبه، وهي نظرة ثاقبة في فهم الشعر، وأغراضه.

أما تصويب البيت، فقد جاء ليهدب ألفاظ البيت، ويضع الكلمة المناسبة في موضعها، ويلغى الكلمة القلقة النابية من موضعها أيضا، وهي نظرة نقدية تذوقية، لمن اعترضوا على إسحاق، وبراعة من إسحاق في تغيير هذه اللفظة.

\*\*\*

روى أن أحمد بن أبي دواد دخل على الخليفة الواثق فقال الخليفة الواثق له: مازال قوم اليوم في ثلبك، ونقصك.  
فقال ابن أبي دواد: فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟  
قال الواثق: أبا عبدالله:

وسعى إلى بعيب عزة نسوة      جعل المليك خدودهن نعالها<sup>(١)</sup>  
والشاهد هنا أن الخليفة الواثق قد تمثل بببيت من الشعر، ليعبر عن  
الموقف الذي طرأ في مجلسه، وهو أن بعض الناس قد أخذوا في  
ثلب ابن أبي دواد، ونقصه، فاستشهد الواثق بببيت شعر، يقول:  
وسعى قوم بالنميمة، والوشاية بيني وبين عزة، وأنا لم أصدقهم، بل  
أدعو عليهم بقولي: جعل الله خدودهن نعالها.  
فالواثق بهذا البيت يخبر ابن أبي دواد أنه لم يصدق الوشاة، بل كذبهم  
ودعا عليهم.

وذلك يدل على أن الواثق يحفظ من الشعر العربي ما يجعله يتمثل به  
في كل موقف يعرض له، مما يدل على مكانة الشعر عنده.

\*\*\*

روى أن الواثق كان له مغن، فوقع هذا المغنى في سحاة، ودفعها  
إلى جارية للواثق:

إني رأيتك في المنام كأننى      مترشف من ريق فيك البارد  
وكان كفك في يدي وكأنما      بتنا جميعا في مكان واحد<sup>(٢)</sup>

(١) العقد الفريد ٢/٣٥٣، ١/٢٣١

عزة: هي صاحبة كثير بن عبدالرحمن، المليك: الله تعالى، سعى: مثنى بالنميمة، جعل  
المليك خدودهن نعالها: جملة دعائية.

(٢) العقد الفريد ٤/١٤٤

مترشف: مستنقص في شربه لا يبقى شيئا في الإناء، أو أخذ الماء بالشفيتين، وهو  
بصيفة اسم الفاعل، فيك: فك.

فأجابته الجارية:

خيرا رأيت وكل ما أبصرته      ستتاله منى برغم الحاسد  
فنكون أنعم عاشقين تعاطيا      ملح الحديث بلا مخافة راصد<sup>(١)</sup>  
فأعتقها الوائق، وزوجها من المغنى.

والشعر الذى أنشده المغنى يبين أنه يبغى الزواج من جارية الوائق، فهو يقول: إنه رآها فى المنام، كأنه يرتشف ريقها البارد، وكفها فى يده، وكأنه بات معها فى مكان واحدة، أى رأى فى المنام أنه تزوجها، أو يتمنى ذلك.

أما جواب الجارية فقد قالت: إن ما رأيت خيرا، وكل ما أبصرته ستتاله، برغم الحاسدين، وتكون الجارية مع المغنى أنعم عاشقين. يعطى كل واحد منهما الآخر ملح الحديث، بلا مخافة الحاسد. ومعنى ذلك أن المغنى يرغب فى الزواج من الجارية، وأن الجارية توافق على الزواج، والعجيب أن كلا منهما قد أنشد شعرا فى حاله، والغريب أيضا أن الوائق لما سمع هذا الشعر، لى رغبة المغنى والجارية، وزوجهما، مما يدل على قيمة الشعر عنده.

\*\*\*

---

(١) العقد الفريد ١٤٤/٤  
الملح: الحديث السهل الحسن الطريف، مفردة ملح، الراصد: الرقيب، تعاطيا: أعطى كل منهما الآخر.

وروى أن محمد بن حماد الشاعر كتب يعرض في حاجة له، بيئتي  
شعر إلى الواثق الخليفة العباسي، يقول:

جذبت دواعي لنفس عن طلب المنى      وقلت لها كفى عن لطلب المزرى  
فإن أمير المؤمنين بكفه ————— مدار رحي بالرزق دائبة تجرى<sup>(١)</sup>  
فوقع الخليفة الواثق تحت هذين البيتين:

جذبك نفسك عن امتهاتها بالمسألة دعاني إلى صونك بسعة فضلي  
عليك، فخذ ما طلبت هنيئاً.

فقد عرض الشاعر حاجته في بيتين من الشعر، وأنشدهما الواثق،  
يقول فيهما: منعت دواعي النفس عن طلب المنى، وقلت لها: كفى  
عن الطلب الذي يزرى بى وبك، فإن أمير المؤمنين يملك رحي،  
مدارها في كفة، تجرى دائبة بالرزق، فعلام تطلبين المنى، وهذا أمير  
المؤمنين يعطى الرزق بغير طلب.

فما كان من الواثق إلا أن وقع بقوله للشاعر: جذبك نفسك عن  
امتهاتها بالمسألة، كما ذكر الشاعر في بيئته، دعا الواثق إلى صونه،  
بسعة فضله عليه، فخذ ما طلبت هنيئاً.

---

(١) زهر الآداب وثمر الأنياب ٢٤٩/١

دواعي: جمع داع، المزرى: من أزرى الرباعي، بمعنى حقير، الرحي: آلة طحن  
الحب، دواعي: هنا بمد الياء، والقياس أن تفتح للنصب، وذلك لضرورة الوزن، مدار:  
اسم مكان من دار، دائبة: دائمة، تجرى: أى تجرى بالرزق.



وذلك دليل على أن الواثق فهم هذا الشعر، وفهم غرض الشاعر،  
وأكرم الشاعر، ومنحه ما طلب، رغبة في هذا الشعر من ذلك  
الشاعر، وذلك يدل على دقة فهم الواثق الشعر، وسخائه في الإثابة  
على الشعر.

\*\*\*

روى أن الخليفة الواثق قال:

لا بك السقم ولكن كان بي      وبنفسى وبأسمى وأبى  
قيل لى إنك صدعت فما      خالطت سمعى حتى دير بي<sup>(١)</sup>

يقول الواثق: لا جعل السقم بك، ولكن جعل بي، وبنفسى، وبأسمى،  
وأبى، وهذه مبالغة من الواثق، فهو يفدى المخاطب بنفسه، أما أن  
يفدى المخاطب بأمه وأبيه، فهذا ما لا نرضاه.

ولعله يقصد أنه يفديه بأعز عزيز لديه، وهما الأم، والأب، على أنه  
تعبير عربى مشهور، فهذا ما نقبله على أنه أسلوب يدل على  
الإعتراز فقط، بصرف النظر عن مكانه الأم والأب، وإلا فلا يعلو  
عليها أحد غيرهما.

---

(١) العقد الفريد ٥/٢

السقم: المرض، صدعت: بالبناء للمجهول، أى أصبت بالصداع، خالطت سمعى:  
وصلت إليه، دير بي: أى أصبت بالدوار من وقع الخبر.

أما البيت الثانى فيبين أن الواثق حين قيل له إن المخاطب صدع، قد وقع هذا الخبر عليه موقعا صعبا، حتى إنه قد أصيب بالدوار من جراء هذا الخبر.

وعلى أية حال فهذا شعر من الواثق، يشرع فيه حالة طرأت عليه، أقل ما يقال فيه إن الواثق يستطيع قرص الشعر، وتلك درجة عالية، ومنزلة رفيعة فى تقدير الشعر من الخليفة الواثق.

وربما أراد الواثق أن السقم الذى ألم بالمخاطب، لم يكن يصيبه وحده، وإنما تأثر به الواثق، وأبوه، وأمه، فهى مشاركة وجدانية للمخاطب، وذلك لا ضير فيه، ولا ضرر منه.

\*\*\*

نسب للخليفة الواثق قوله فى خادمه مهج:

مهج يخطف المهج	بضنى الطرف الوعج
حسن القد مخطف	ذو دلال وذو غنج
ما لعين رأيت محا	سنه عنه منعرج <sup>(١)</sup>

(١) ديوان البحتري ٢٥٣٣/٤، أخبار البحتري ص ١٧٧، تاريخ الخلفاء ص ٣٤٢، أخبار الدول ٦٨/٢

المهج: بضم الميم وفتح الجيم، جمع مهجة، وهى من كل شئ خالصة، ودم القلب، والروح، يخطف: يأخذ، الضنى: المرض أو الهزال الشديد، الطرف: العين، الدعج: اشتداد سواد سواد العين، وبياض بياضها، واتساعها، القد: القوام، بفتح القاف، والقامة، مخطف: بصيغة اسم المفعول بمعنى رشيق، الدلال: التذلل، وهو حسن حديث المرأة ومزجها، أو التكرس والملاحة فى التجروز، أو التساهل فى المعاملة، النضج: بفتح الغين

وهذا شعر نسب للخليفة الواثق، وهو غزل فى خادمه، ونحن نربأ بالخليفة أن ينحدر إلى مثل هذا الشعر، إلا أننا سنغمض الطرف عن الغرض الذى لا يجب أن يكون، ونحسن الظن، ونقول: إنه شعر يصف فيه خادمه وصفا يدل على إعجابه به كشخص، أو إنسان، وربما كان ذلك الشعر لونا من التعجب من أن هذا الخادم فيه صفات الأحرار، أو يكون هذا الشعر لونا من ألوان الرغبة فى التعبير، واتخاذ أى موضوع لإظهار البراعة فى الشعر.

والشعر الذى روى منسوباً إلى الخليفة الواثق، أو إلى البحتري يصف فيه الخادم، واسمه مهج بأنه يخطف القلوب، وقد عبر عنها بالمهيج لتجانس اسم الخادم، ويخطفها بضنى القلب وعذابه، والدعج، وحسن القوام، والدلال، والغنج، فالعين لا تتبو عنه، وإنما تتعلق به. وعلى أية حال فهو شعر منسوب للخليفة الواثق، وذلك يمثل اتجاهها كان موجوداً فى العصر العباسي، وظهر فى شعر غير واحد من شعراء هذا العصر.

---

والنون، منعرج: بصيغة اسم المكان، أى وجهة يعرج إليها، ويروى: ليس للعين إذا بدا عنه باللحظ منعرج.

# الفصل المباشر

الشعر في عصر المنوكل

٢٣٢ - ٢٤٧ هـ



المتوكل، ٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ، هو الخليفة العاشر من خلفاء بني العباس، وهو أبو الفضل جعفر المتوكل بن الخليفة المعتصم الخليفة الثامن، وأخو الخليفة الواثق، الخليفة التاسع، ووالد الخليفة المنتصر، الخليفة الحادى عشر، ووالد الخليفة المعتز، الخليفة الثالث عشر، ووالد الخليفة المعتمد، الخليفة الخامس عشر، بويح لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة، وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، فكانت خلافته أربع عشرة سنة، وتسعة أشهر، وتسعة أيام، ووزر له محمد بن عبد الملك الزيات، وعبدالله بن يحيى بن خاقان، وكان خليفته على القضاء يحيى بن أكنم<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

روى أن المازنى سئل بحضرة المتوكل عن قوله تعالى: وما كانت أمك بغيا، فقل: كيف حذف التاء، وبقي فعيل، وفعيل إذا كان بمعنى فاعل لحقته التاء نحو فتى، بتشديد الياء، وفتية. فقال المازنى: إن بغيا ليست بفعيل، وإنما هى مفعول، بمعنى فاعلة، لأن الأصل فيها بغوى، بضم الغين، ومن أصول التصريف إذا اجتمعت الواو والياء، والسابق منهما ساكن، قلبت الواو ياء، وأدغمت

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٤

الياء فى الياء، كما قالوا: شويت شيا، وكويت الدابة كيا، فعلى هذه القضية بغى، ووجب حذف التاء منها، لأنها بمعنى باغية، كما تحذف من صبور، بمعنى صابرة<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان مجلس المتوكل، مجلس علم، ولغة، ونحو، وأدب، فلا عجب إذا وجدناه يهتم بالشعر العربى اهتماما عظيما.

\*\*\*

روى أن المتوكل كان له خادم يسمى شفيعا، كتب على عاتق قبائه الأيمن:

بدر على غصن نضير      شرق الترائب بالعبير  
وعلى عاتقه الأيسر:

خطت صفيحة وجهه      فى صفحة القمر المنير<sup>(٢)</sup>

وهذه الرواية تدل على مبلغ قيمة الشعر فى عصر المتوكل، حتى إن الخدم يكتبون على الأقبية شعرا، فهذا شفيع خادم المتوكل كتب على عاتق قبائه الأيسر بيتا من الشعر، يصف فيه نفسه، بأنه بدر على غصن نضير، شرقت ترائبه بعبير العطور.

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٥-٣٠٦

(٢) العقد الفريد ٤/٣٨٦-٣٨٧

نضير: ناضر، الترائب: جمع تريبة، وهى عظام الصدر، العبير: الشذا والرائحة العطر، الشرق: غص، أو شجى، خطت: كتبت، صفيحة: صفحة، أو ديباجة، صفحة القمر: وجهه.

وكتب على عاتق قبائه الأيسر بيتا آخر، يصف فيه نفسه بأنه قد  
خطت صفيحة وجهه فى صفحة القمر المنير، وكأنه قمر، أو وجهه  
قمر، أو هو جزء من القمر.  
وذلك دليل على قيمة الشعر، ومنزلته فى عصر المتوكل.

\*\*\*

روى أن المتوكل أمر الحسين بن الضحاك أن يقول شعرا فى شفيح  
خادم المتوكل، وكان قد حيا المتوكل بوردة، وهو يلبس ثيابا موردة،  
فقال: الحسين بن الضحاك:

فيا وردة بيضاء حيا بأحمر      من الورد يمشى فى قراطق كالورد  
ويغمز كفى عند كل تحية      وكفله تستدعى الشجر إلى الورد  
سقانى بكفيه وعينه شربة      فأذكرنى ما قد نسيت من العهد  
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة      من الدهر إلا من حبيب على وعد<sup>(١)</sup>  
فأمر المتوكل له بجائزة ثمينة.

وهذه الرواية تبين أن المتوكل كان سمر مجلسه الشعر، فقد أمر  
الحسين بن الضحاك الشاعر أن ينشد شعرا فى خادم المتوكل الذى

(١) العقد الفرید ٣٧١/٤

القرطوق: بفتح القاف والطاء، وسكون الراء، ملبوس يشبه القباء، وهو من ملابس  
العجم، الشجى: الحزين، ياوردة بيضاء: تصوير للخادم، حيا: قدم التحية، يغمز: يبين  
بالغمز، تستدعى: تطلب، شربة: اسم مرة من شرب، فأذكرنى: ذكرنى، العهد: يقصد  
عهد الصبا والشباب، سقى الله دهرا: دعاء للدهر بالسقيا على عادة العرب إذا أحببت  
مكانا أو زمانا دعت له بالسقيا، من حبيب على وعد: أى على وعد من حبيب.



حيا المتوكل بوردة، ويلبس في الوقت نفسه ثيابا موردة، فأنشد الحسين بن الضحاك شعرا، وصف فيه الخادم بأنه ورده بيضاء حيا بوردة حمراء، ويلبس قراطق موردة، ويغمز كفه عند التحية، وكفاه تستدعي الحزين إلى الورد، أي إلى الخادم، أو الملبس، أو الورد المقدم تحية إلى المتوكل، ويقول سقاني بكفيه، وعينه شربة فأذكرني العهد القديم الذي نسيته، ويدعو لعهد شبابه بالسقيا، على عادة العرب في الدعاء للمكان، أو للزمان بالسقيا، هذا العهد الذي لم يبت فيه الشاعر ليلة إلا على وعد من حبيب.

وهي أبيات فيها وصف، وغزل، تتشد في مجلس الخليفة بلا حرج، مما يدل على قيمة الشعر في عهد المتوكل.

\*\*\*

وقد رويت هذه الأبيات كما يلي:

وكالوردة البيضاء حيا بأحمر	من الورد يسعى في قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحية	بكفيه يستدعي الخلى إلى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة	تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله عيشا لم أنم فيه ليلة	من الدهر إلا من حبيب على وعد <sup>(١)</sup>

(١) زهر الأدب وثمر الألباب ٢٣٤/٢-٢٣٥

أحمر: أي ورد أحمر، قراطق: جمع قرطوق، ملبس يشبه القباء، وهو من ملابس العجم، وهو بفتح القاف والطاء، وسكون الراء في المفرد، عبثات: جمع عبثة من العبث، الخلى: الخالي القلب، الوجد: الحزن، شربة: اسم مرة، أسقى: بالبناء للمجهول.

ثم دفع الحسين بن الضحاک الرقعة إلى شفيع، وقال ادفعها إلى مولاك، فلما قرأها استملحها، وقال المتوكل: لو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك، ولكن بحياتي يا شفيع إلا كنت ساقية بقية يومه، وأمر المتوكل للحسين بمال كثير، حمل معه، لما انصرف.

\*\*\*

وكان يزيد المهلبى حاضرا، فصار إلى الحسين، بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام فقال للحسين: ويحك، أتدرى ما صنعت؟ قال الحسين: لا أدع عادتي بشئ، وقد قلت بعدك:

لا رأى عطفة الأجب —————  
 لا من لا يصرح  
 أصفر الساقين أش —————  
 كل عندي وأملح  
 لو تراه كالظبي يس —————  
 نح طورا ويبرح  
 خلت غصنا على كئي —————  
 ب بنور يوشح<sup>(٢)</sup>

وهذه الأبيات وصف للساقى، وهو وصف نربأ بالحسين بن الضحاک عن قوله، فهو غزل بالمذكر، لكننا على أيه حال سوف نحسن الظن، ونقول: إنه إعجاب بمنظر الخادم الذى هو فى مثل منظر الأحرار، ومن هو يستحق أن يكون من خدم الخليفة المتوكل.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ٢٣٥/٢

عطفة: اسم مرة من عطف، أشكل: أكثر موافقة، أملح: أحسن، يسبح ويبرح: أى يمر على اليمين واليسار، أو تكون فيه العيافة بالتفاؤل والتشاؤم، خلت: ظننت، كئيب: مجتمع الرمل، نور: زهر، يوشح: يرصع، أو يكون كالوشاح.

هذه الرواية تدل على إعجاب المتوكل بشعر الحسين بن الضحاك، حتى إنه قال: لو كان شفيح مما تجوز هبته لو هبته لك، ولكن بحياتي يا شفيح إلا كنت ساقيه بقية يومه، وأمر المتوكل للحسين بمال كثير، حمل معه لما انصرف.

أما بقية الرواية فقد استقصى الحسين بن الضحاك شعره الذي أنشده في الخادم، يقول فيه: من لا يصرح بالحب فلا رأى عطفة الأحبة، ويصف شفيحا بالملاحة، والملازمة، ويشبهه بالطبى السانح البارح، وبالغصن على الكثيب، وعليه نور كالوشاح.

\*\*\*

روى أن المتوكل قال لعلى بن الجهم: دخلت إلى قبيحة، وهي جاريتته، وقد كتبت على خدها بالمسك اسمي، فوالله ما رأيت سوادا في بياض أحسن منه في ذلك الخد، فقل فيه شعرا.  
وكانت مظلومة خلف الستارة، فقالت:

وكاتبته بالمسك في الخد جعفرا      بنفسى خط المسك من حيث أثرا  
لئن أودعت سطرا من المسك خدها      لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

فيا من لملوك تملك مالكا مطيعا له فيما أسر وأظهرا  
ويا من مناها في السرائر جعفر سقى الله من صوب الغمامة جعفرا<sup>(١)</sup>  
وأفحم على بنى الجهم، فلم ينطق، فضحك الخليفة المتوكل.  
وهذه الرواية تدل على عناية الخليفة المتوكل بالشعر، فقد حكى موقفا  
حدث له مع جاريتيه قبيحة، فقد كتبت على خدها بالمسك اسم الخليفة  
المتوكل، فقال المتوكل فوالله ما رأيت سوادا فى بياض أحسن منه فى  
ذلك الخد، وأمر المتوكل على بن الجهم الشاعر أن يقول فى هذا  
الموقف شعرا.

لكن قبيحة جارية المتوكل كانت تقف خلف الستارة، فأنشدت شعرا،  
قالت فيه عن نفسها: وكاتبه بالمسك فى خدها جعفرا المتوكل، الخليفة  
العباسى أذى بنفسى خط المسك من حيث أثر فى الخد، أى بنفسى  
هذا الخد، لئن كتبت سطرا من المسك على خدها، فقد أودعت القلب  
أسطرا من الحب، ثم تقول: من لملوك، وهى الجارية تملك مالكا،  
وهو الخليفة، مطيعا له فى السر والعلن، ويا من مناها فى السرائر  
جعفر الخليفة، وهى الجارية، ثم تدعو للخليفة: سقى الله جعفرا من  
مطر الغمامة.

(١) العقد الفريد ٢٧٢/٤

بنفسى: أى أذيتها بنفسى، جعفر: هو الخليفة المتوكل، مملوك: عبد، أو رقيق، مالك:  
سيد، تقصد الخليفة، وتقصد بالملوك قبيحة، السرائر: جمع سريره، وهى السر الذى  
يكتم، مناها: منيتها، صوب: المطر، الغمامة: السحابة، كاتبه: هى الجارية قبيحة، خط  
المسك: أثره، أودعت: تركت وديعة، أظهر: أعلن،

والعجيب أن يأمر الخليفة الشاعر على بن الجهم يقول الشعر، مع تحديد الموضوع له، والأغرب أن تتشد الجارية الشعر، بدلا من الشاعر، وأن تعبر تعبيراً سهلاً سلساً على هذا النحو الذي رأيناه في هذا الشعر، وكأنها شاعرة ذات قدم راسخة في هذا الفن. والأعجب أن الشعر فيه غزل واضح، وجرأة عالية من الجارية على الخليفة.

وفي النهاية فإن الشاعر بعد ما سمع هذا الشعر أفحم، ولم ينطق، وأن الخليفة ضحك لذلك. وهكذا كان الشعر في بلاط المتوكل، تتشده الجوارى، والشعراء والخليفة، ويسمعه الخليفة، ويثيب عليه.

\*\*\*

روى أن الخليفة المتوكل العباسي لما خرج إلى دمشق، ركب يوماً يتنزه في رصافة هشام بن عبد الملك، فدخل إلى دير هناك قديم، بناه الروم بين مزارع وأنهار.

فبينما هو يدور فيه بصر برقعة ملصقة، فأمر أن تقلع، فقلعت، فإذا فيها مكتوب:

أيا منزلاً بالدير أصبح خالياً	تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بيض أو أنس	ولم تتبخر في فنائك حور
وأبناء أملاك عباشم سادة	صغيرهم عند الأنام كبير

إذا لبسوا أدراعهم فعوابس  
 ليالى هشام فى الرصافة قاطن  
 إذ العيش غض والخلافة لدنة  
 وروضك مرتاض ونورك نير  
 بلى فسقك الغيث صوب غمامة  
 تذكرت قومى خاليا فبكيتهم  
 وعذبت نفسى وهى نفس لها إذا  
 لعل زمانا دان يوما عليهم  
 فيفرح محزون وينعم بانس

وإن لبسوا تيجانهم فبدور  
 وفيك ابنه يا دير وهو أمير  
 وأنت طرير والزمان غرير  
 وعيش بنى مروان فيك نصير  
 عليك لها بعد الولى بكور  
 بشجو ومثلى بالبكاء جدير  
 جرى ذكر قومى أنه وزفير  
 لهم بالذى تهوى النفوس يدور  
 ويطلق من ضيق الزمان أسير<sup>(١)</sup>

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٥٣

تلاعب: أى تتلاعب، وحذف حرف المضارع، وهو جائز، وقد ورد فى الشعر،  
 شمال: ريح تهب من ناحية القطب، الدبور: الريح التى تقابل الصبا، بيض: جمع  
 بيضاء، أوانس: جمع أنسة، وهى المرأة التى يؤنس بحديثها، أو الفتاة الطيبة النفس،  
 المحبوب قربها وحديثها، حور: جمع حوراء، من الحور، وهو شدة بياض العين فى  
 شدة سوادها، والحوراء: بيضة الحور، أملاك: جمع ملك، عباشم: جمع عبشم، أى  
 منسوب إلى عبد شمس، أدرع: جمع درع، عوابس: جمع عابس، وهو المقطب  
 الجبين، تيجان: جمع تاج، بدور: جمع بدر، هشام: هو ابن عبد الملك، الخليفة الأموى،  
 الرصافة: يقصد رصافة هشام بن عبد الملك بالشام، وهى قنسرين، وفيها توفى هشام،  
 وبويص الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعد هشام، قاطن: ساكن مقيم، غض: طرى،  
 والمقصود الخلافة نعيمها باق، لدنة: غضة يقصد طيب الخلافة، طرير: ذو ناصية،  
 يقصد أيام القوة، أو الشباب، أو طرير: بمعنى ظاهر ناتى، غرير: صغير، أو غير  
 مجرب، يقصد أول الزمان، أو الزمان يغر، أى يخدع، مرتاض: يرتاضه الناس،  
 عيش نصير: أى حسن، صوب: نزول المطر، أو المطر نفسه، بكور: تكبير، شجو:  
 حزن، أنه: تالم، أو أهة، دان عليهم: ظلمهم، الدير: مكان للعبادة، تتبختر: تختال،  
 الفناء: ساحة الدار، سادة: جمع سيد، الأنام: الخلق، الرصافة: فى دمشق، روض:  
 بستان، نير كثير النور، الغيث: المطر، خاليا: خالى البال، بكيتهم: بكيت من أجلهم،  
 الزفير: النفس الحار، تهوى: ترغب، بانس: حزين أو شقى، يطلق: بالبناء للمجهول.

فلما قرأها المتوكل ارتاع لها، وتطير، ثم دعا بصاحب الدير، وقال له: من كتب هذه الرقعة؟

قال: لا أدري والله، وأنا منذ نزل أمير المؤمنين هذا المنزل لا أملك من أمره شيئاً، يدخله الجند وغيرهم.

فكلم أصحاب المتوكل، الخليفة المتوكل إلى أن سكن غيظه، ثم بان بعد ذلك أن الذى كتب هذه الأبيات رجل من ولد روح بن زنباع الجذامى، كانت أمه من موالى هشام بن عبد الملك، الخليفة الأموى.



والشاهد أن هذا الشعر وجد مكتوباً على رقعة ملصقة، وكأنها ذكرى لمجد كان لبنى أمية، سجل فى هذا الشعر.

وقد اهتم المتوكل بهذه الرقعة، فأمر أن ترفع، ولما وجد فيها هذا الشعر، وقرأها المتوكل ارتاع لها، وتطير، حتى سأل صاحب الدير عن كاتب هذه الرقعة، وكلمه أصحابه إلى أن سكن غيظه، ثم تبين بعد ذلك أن الذى كتب هذه الأبيات أحد أتباع الأمويين.

أما الشعر المكتوب، فهو شعر يناجى هذا المنزل بالدير الذى أصبح خالياً، تتلاعب فيه الرياح وكأنه لم يسكنه قبلاً البيض الأوانس، ولم تتبختر فى أفنيته الحور، ولم يأت إليه الأملاك السادة من بنى أمية، الذين كان صغارهم كباراً عند الناس، وكانوا إذا لبسوا الدروع عوابس، وإذا لبسوا التيجان فهم بدور، ويذكر ليالى كان هشام بنى

عبدالملك بن مروان قاطنا فى الرصافة، وابنه الذى كان أميرا وكان فى الدير، وقت أن كان العيش غضا، والخلافة هائلة، والدير يقف شامخا، والزمان فى أوله بالسعادة، وروض الدير مرتاض؛ ونوره نير، وحياة بنى مروان سعيدة، ويدعو للدير بالسقيا، ثم يتذكر قومه، ويبكيهم بنفسه التى لها أنه وزفير عند ذكر قومه، ويرجو أن يعود الزمان إلى سابق عهده، فيدور لبنى أمية بالسعد، ليفرح الحزين، وينعم البائس، ويطلق الأسير.

وهى أبيات تتكأ جراحا لبنى أمية، فلا بد أن يكون أثرها سيئا على الخليفة المتوكل العباسى، لذا ضاق بها، وتطير منها، ولو أنه وجد قائلها لعاقبه أشد العقاب، نظرا لأن الشعر هنا شعر سياسى يقف فى صف الأمويين، وذلك ما لا يروق للعباسيين والمتوكل الخليفة العباسى.

وهكذا كان أثر الشعر على الخليفة المتوكل.

\*\*\*

روى أنه أنشد على بن الجهم جعفرا المتوكل الخليفة العباسى شعره، الذى أوله:

هى النفس ما حملتها تتحمل

وكان فى يد المتوكل جوهرتان، فأعطاه التى فى يمينه.

فأطرق على بن الجهم متفكرا فى شئ يقوله، ليأخذ التى فى يساره.



فقال المتوكل: مالك متفكرا؟ إنما تفكر فيما تأخذ به الأخرى، خذها لا  
بورك لك فيها.

فأنشأ على بن الجهم يقول:

تغرف من بحره البحار	بسرمن را إمام عدل
كأنه جنة ونـار	يرجى ويخشى لكل أمر
ما اختلف الليل والنهار	الملك فيه وفي بنيه
عليه كلتاهما تغار	يداه في الجود ضربان
إلا أنت مثله اليسار <sup>(١)</sup>	لم تأت منه اليمين شيئا

والشاهد أن الشاعر على بن الجهم حين أنشد الخليفة المتوكل قصيدة  
مدح، منحه المتوكل جوهرة مقابل القصيدة، ففكر الشاعر في نيل  
الجوهرة التي في يساره، حيث إنه كان معه جوهرتان، فلما رأى  
الخليفة ذلك منح الخليفة الشاعر الجوهرة الثانية، فأنشد الشاعر  
الخليفة قصيدة أخرى.

إن الشعر الذي أنشده على بن الجهم يمدح فيه المتوكل بالعدل،  
والجود، وأنه يرجى، ويخشى، فكأنه جنة ونار في الرجاء والخشية  
من الناس، وإن الملك فيه وفي بنيه إلى الأبد، وإن يديه تتنافسان في

(١) العقد الفريد ١/٣٧١

سمرمن را: مدينة سميت سمرمن رأى بناها المتوكل، وأسكن فيها الأتراك، ما اختلف  
الليل والنهار: ما تعاقبا، الضرة: هي الزوجة الثانية، الإمام: الخليفة المتوكل، بحره:  
بحر كرمه، يرجى ويخشى: بالبناء للمجهول، تأتي: تفعل، تغرف: تقال بكثرة.

الجود، كأنهما ضرطان فى الجود، كلتاها تغار من الأخرى فيه، فما تأتى اليمين جودا إلا وأنت مثله اليسار، وهى صفة تسعد العربى، وخاصة من هو على شاكلة الخليفة المتوكل، وذلك دلالة على فهمه الشعر، ومعرفة قيمته وتقدير الشعراء.

\*\*\*

روى أن المتوكل أرسل رسالة إلى أهل حمص، الخارجين عليه، وهى رسالة من الرسائل التى أغنت عن الجيوش، كتبها إبراهيم بن العباس الصولى على لسان المتوكل، ضمنها بيت شعر، هو:

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائم<sup>(١)</sup>

وذلك دليل على أن الشعر له دوره، وقيمه، عند الخليفة، حتى إن رسالته إلى أهل حمص ضمنها بيتا من الشعر.

إن هذا البيت من قبيل التهديد والوعيد، فهو يقول: أمرى معكم أناة، وتمهل، وروية، ورزانة، فإن لم تغن معكم عقب بعدها الوعيد، والتهديد، فإن لم يغن أغنت العزائم القوية للخليفة بحربكم، وإخضاعكم لحكمه، ولكم أن تتخيروا واحدة منها.

\*\*\*

---

(١) الأناة: الحلم، تغنى: تفيد، عقب: أعقب، وأتى عقبها، وعيد: تهديد بالشر، العزائم: جمع عزيمة، وهى الهمة العظيمة. أو ما نواه من الحرب.

روى أن الخليفة المتوكل كان جالسا يوما، ومعه الفتح بن خاقان،  
والبحتري الشاعر، وبين يديه غلام حسن الوجه، يقال له: راح، فقال  
المتوكل: يا بحتري، قل في راح بيت شعر، ولا تصرح باسمه.  
فقال البحتري:

جاز بالود فتى أم — سي رهينا بك مدنف

اسم من أهواه فسى شعري مقلوب مصحف<sup>(١)</sup>

والشاهد أن المتوكل أمر البحتري أن يقول في راح بيت شعر، بغير  
أن يصرح باسمه، وانصاع البحتري للأمر، وأنشد بيتين.  
في البيت الأول يصف ما حدث: مر بالود فتى أمسى متعلقا بك،  
مريضا بهواك.

وفي البيت الثاني كشف عن اسمه بطريق الأحجية، فهو جاز، لكنه  
مقلوب مصحف، إذ إن اسمه راح.

وذلك دليل على قيمة الشعر في حديث الخلفاء.

\*\*\*

روى أن الخليفة المتوكل أمر البحتري الشاعر أن يهجو على بن  
يحيى المنجم، بأبيات، ليس مثلها يضر، ولكنه ذكر صورته.

(١) ديوان البحتري ٢٦١٠/٤، تاريخ بغداد ٤٩/٣؛

جاز: مر، رهينا بك، محبوسا عليك، مدنف: الذي ثقل عليه المرض، مقلوب:  
معكوس، مصحف: التصحيف: تغير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد، وقد صحف  
البحتري اسم راح، بأن قلبه إلى حار، ثم صحفه بالتقطيع، فجعله: جاز.

فقال البحتري:

كل أخلاق على      نجتويها ونذمه  
هو قرد حين يبدو      غير أنا لا نكمه  
مقلتاه وحاججا      ه وشدقاه وخطمه<sup>(١)</sup>

فضحك المتوكل حتى استلقى، وبلغ ذلك على بن يحيى المنجم، فعاب هذا على البحتري، لما حدث بينهما من التباعد. والشاهد أن المتوكل هو الذي أمر البحتري أن يهجو ابن يحيى المنجم، فهو يريد المسامرة، والمساجلة، والتفكه بالأدب والشعر. وكان الشعر الذي هجا به البحتري ابن يحيى من قبيل الفكاهة، والتملح، والتظرف، وكان ذلك في مجلس الخليفة المتوكل.

\*\*\*

روى أن قبيحة أقامت بقصر للمتوكل عاتبة عليه، فأمر الخليفة المتوكل البحتري الشاعر أن يعمل شعرا على لسانه إلى قبيحة، ورسم له ما يريد، فكتب البحتري هذه الأبيات، فلما قرأت الأبيات عادت إلى أمرها، ووصل المتوكل البحتري. وهذه الأبيات هي:

---

(١) ديوان البحتري ٢١٠٦/٤، الموازنة ٢٦٠/٢  
نجتويها: نكرهها ونتجنبها، كمه: شد فمه بالكمام، الحجاج: العظم الذي ينبت عليه الحاجب، الخطم: الأنف، الشدق: بفتح الشين وكسرهما، جانب الفم، وجمع المفتوح: شدوق، وجمع المكسور: أشداق.

تعاللت عن وصل للمعنى بك الصب      وأثرت بعد الدار منا على القرب  
وحملتني ذنب الفراق وإنه      لذنبك إن أنصفت في الحكم لا ننبى  
وأنه ما اخترت السلو على الهوى      ولا حلت عما تعهدين من الحب  
ولا ازداد إلا جـدة وتمكنا      محلك من نفسى وحظك من قلبى  
فلا تجمعى هجرا وعتبا فلم أجد      جليدا على هجر الأعبة والعتب<sup>(١)</sup>  
والشاهد أن الخليفة المتوكل عتبت عليه جاريته التى صارت زوجا  
له، فنهض المتوكل إلى الشعر، لعله يستعطف به قلب قبيحة، ورسم  
للبحترى ما يريد.

وقد كتب البحترى بعض الأبيات، ومنحها المتوكل، ليرسلها إلى  
قبيحة، فلما قرأت الأبيات عادت إلى سابق عهدها مع الخليفة المتوكل  
ووصل البحترى الشاعر على هذه الأبيات:

وهذه الأبيات يقول فيها: تعاللت بالعلل الواهية عن وصلى، وأنا  
معنى بك صب، وأثرت البعد على القرب، وحملتني ذنب الفراق،  
وهو ذنبك أنت عند الإنصاف فى الحكم، ثم يقسم لها أنه ما اختار  
السلو على الهوى، ولا حال عما تعهد من الحب، وأن محلك من

(١) ديوان البحترى ١٢٩/١  
قبيحة: زوجة المتوكل، وأم ولده المعتز، رومية كانت فائقة الجمال، فسميت قبيحة من  
أسماء الأضداد، وكانت جارية المتوكل، تعاللت: أدعت علة، المعنى: المعذب،  
الصب: المحب حبا شديدا، أثرت: فضلت، السلو: النسيان، حلت: تحولت، جدة:  
تجددا، تمكنا: رسوخا، وثباتا، محلك: مكانتك ومنزلتك، حظك: نصيبك، هجرا: بعدا،  
عتبا: عتابا، جليدا: متجلدا صابرا.

نفسى، وحظك من قلبى لا يزدادان إلا تجددا وتمكنا، فلا تجمعى أنت  
على هجرا، وعتابا، فلا يوجد من هو متجلد على هجر الأعبة  
والعتاب.

والغريب هذا العتاب والاستعطاف بين المتوكل وجاريته، أو زوجته،  
والشعر الذى قيل، وقيمة الشعر عند الجارية، والخليفة، وفى  
المراسلة بينهما، واستدعاء البحترى لقول مثل هذا الشعر.

\*\*\*

روى أن البحترى أنشد الخليفة المتوكل قصيدة، وأبو العنبر  
الصيمرى حاضر، فلما فرغ من الإنشاد، قام أبو العنبر، وقد غمزه  
المتوكل أن يولع به، فهجاه، فولى البحترى لما سمع ذلك مغضبا،  
فضحك المتوكل لذلك، وأمر لأبى العنبر بالصلة التى أعدت  
للبحترى.

ولما شكى البحترى ذلك قائلا: ضاع العلم، وهلك الأدب، لصديق له،  
قال له: الملوك تمزح بأكثر من هذا، ومضى البحترى إلى الفتح بن  
خاقان، فشكا إليه ذلك، فقال له نحوا من هذا القول، وعوضه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) ديوان البحترى ١٩٩٢/٣، أخبار البحترى ص ٨٧، الأوراق ص ٢٢٥

وروى أن المبرد قال: ووردت سرمن رأى، فأدخلت على المتوكل،  
وبين يدي المتوكل البحتري الشاعر، فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها  
المتوكل، وفي المجلس أبو العنيس الصيمري، فأنشد البحتري  
قصيدته.

فلما انتهى مشى القهقري للإنصراف، فوثب أبو العنيس، فقال: يا  
أمير المؤمنين، تأمر برده، فقد والله عارضته في قصيدته هذه.  
فأمر برده، فأخذ أبو العنيس ينشد شيئاً، ووصل ذلك بالثتم، فضحك  
المتوكل، حتى استلقى على قفاه، وفحص برجله اليسرى، وقال: يدفع  
إلى أبي العنيس عشرة آلاف درهم.

فقال الفتح بن خاقان: يا سيدي، البحتري الذي هجى، وأسمع المكروه  
ينصرف خالياً.

قال المتوكل: ويدفع إلى البحتري عشرة آلاف درهم.  
قال الفتح: يا سيدي، وهذا البصري الذي أشخصناه من بلده، يقصد  
المبرد، لا يشركهم فيما حصلوه؟

قال المتوكل: ويدفع إليه عشرة آلاف درهم.  
فانصرفنا كلنا في شفاعة الهزل، ولم ينفع البحتري جده واجتهاده.  
والقصيدة التي أنشدها البحتري هي:

عن أي ثغر تبتسم  
حسن يضمن بحسنه  
قل للخليفة جعفر الـ  
للمرتضى ابن المجتبي  
أما الرعية فهي من  
يا باني المجد الذي  
اسلم لدين محمد  
نلنا الهدى بعد العمى  
أما أبيات الصيمرى فهي:

وبأى طرف تحنكم  
والحسن أشبه بالكلم  
متوكل بن المعتصم  
والمنعم ابن المنتقم  
أمنات عدلك فى حرم  
قد كان قوض فانهدم  
فإذا سلمت فقد سلم  
بك والغنى بعد العدم<sup>(١)</sup>.

من أى سلح تلتقم  
أدخلت رأسك فى الحرم  
وبأى كف تلتطم  
وعلمت أنك منهزم<sup>(٢)</sup>

وجعل يصيح خلف البحترى بالشرط الأخير لأن البحترى ولى لما  
سمع ذلك مغضبا.

(١) مروج الذهب ٤/٤٢، ديوان البحترى ٣/١٩٩٣، الأغاني ١٨/١٧٣، طبقات  
النحويين واللغويين ص ١١١، معجم الأدباء ١٨/١٢، إنباه الرواة ٣/٢٤٤، تجريد  
الأغاني ٢/٢١٧٤، مختار الأغاني ٨/٢٢٢، الوافى بالوفيات ٣/١٩٣، شرح  
المقامات ١/٣٨.

ثغر: فم، طرف: عين، المجتبي: المختار المصطفى، فى حرم: فى أمان، قوض: هدم.  
(٢) ديوان البحترى ٣/١٩٩٣  
السلح: الروث، تلتقم: من اللقم، وهو تناول الطعام، تلتطم: تلطم على الوجه.



والقصيدة التي أنشدها البحترى الشاعر المتوكل الخليفة مدح للخليفة المرتضى ابن المصطفى المختار، المنعم ابن المنتقم، والرعية فى أمان من عدلك، وأنه بانى المجد الذى كان قد هدم، ويدعو له بالسلامة لدين الإسلام، لأنه إذا سلم الخليفة فقد سلم الإسلام، ويقول: نلنا الهدى بك بعد العمى، والغنى بعد العدم.

أما هجاء الصيمرى البحترى فهو هجاء لا يخلو من السخرية، والتهمك، وإرادة إضحاك الخليفة عليه، وقد نجح فى ذلك أيما نجاح.

\*\*\*

وحدث البحترى قال: كنت أمدح المتوكل مقوما لفظى، غير مرسل نفسى، فقال لى الفتح، وكان والله ما علمت قوى الأدب، حسن المعرفة، بالشعر: ليس بك حاجة فى مدح أمير المؤمنين إلى مثل هذا، لين كلامك حتى يفهم، فإنه يلذ ما يفهم، فعلمت أنه نصحنى، فمدحته بأشعارى التى منها:

لى حبيب قد لج فى الهجر جدا      وأعاد الصدود منه وأبدا<sup>(١)</sup>  
ومنها:

لم لا ترق لذل عبدك      وخضوعه فتقى بوعدك<sup>(٢)</sup>  
ومنها:

---

(١) ديوان البحترى ٢/٢٧١١، الصناعتين ص ٦٣، الموازنة ٢/٣٥٤

(٢) ديوان البحترى ٢/٧٠٥، أخبار البحترى ص ٨٧

عن أى تغر تبّسم وبأى طرف تحنّكم<sup>(١)</sup>

فحظيت عنده، وقربت من قلبه، وتوفرت على صلاته، وذلك يدل على أن المتوكل استحسن هذه القصيدة فيما استحسن من شعر البحترى.

قال عبدالقادر الجرجاني: لا يمكن ادعاء أن جميع شعر البحترى قى قلة الحاجة إلى الفكر، والغنى عن فضل النظر، كقوله:

فؤادك منك ملآن وسرى فيك إعلان<sup>(٢)</sup>

وقوله:

عن أى تغر تبّسم وبأى طرف تحنّكم

وهل تقل على المتوكل قصائده الجياد حتى قل نشاطه لها، واعتاؤه بها إلا لأنه لم يفهم معانيها، كما فهم معانى النوع النازل الذى انحط إليه<sup>(٣)</sup>.

وذلك يدل على أن البحترى بشعره القوى الجزل كان يفهمه جيدا، ويعيه الخليفة المتوكل، لأنه قد تربى على الشعر القديم، واللغة، على

---

(١) أخبار البحترى ص ٦٨، ديوان البحترى ١٩٩٣/٣  
(٢) ديوان البحترى ٢٢٤٣/٤، الأمانى ٢٢٥/١، قطب السرور ٢٢٤٢/٢، من غاب عنه المطرب ص ٩٩، نهاية الأرب ١٣٠/٤، ديوان المعانى ٢٦٢/١، الوساطة ص ٣٦٣، سطر اللآلى ٦٣٥/٢، التبيان ٥٦/٤، السفينة ٦٠/٢، الواحدى ص ١٣٤.

(٣) ديوان البحترى ١٩٩٤/٣، أسرار البلاغة ص ١٢٤

يد المؤدبين من علماء اللغة، ورواة الأشعار، ونقده الأدب  
وصيارفته.

\*\*\*

روى أن البحتري قال: أول ما مدحت به الفتح بن خاقان<sup>(١)</sup>.  
هب للدار رنت رجع ما أنت قتله وأبدى الجواب الربع عما تسائله  
فأنشدته إياها، بعد ما أقيمت شهرا لا أصل إلى إنشاده، وهو مع ذلك  
يجرى على ويصلني، ثم جلس جلوسا عاما، وحضرت وحدي،  
فرأيتَه يبتسم عند كل بيت جيد، فعلمت أنه يعرف الشعر، وكان ذلك  
أعجب إلي من جميع ما وصلني به، وكان أول ما اهتز له حين بلغت  
إلي قولي:

وقد قلت للمعلى إلى المجد طرفه دع المجد فالفتح بن خاقان شاغله<sup>(٢)</sup>  
وإلى قولي:

صفت مثل ما تصفو المدام خلاله ورقت كما رق النسيم شمائله<sup>(٣)</sup>  
فلما فرغت سره ما سمع، وأمر لي بخمسة آلاف درهم، وقال: أمير  
المؤمنين يخرج لصلاة الفطر، ويخطب، فاعمل شعرا تتشده إياه إذا

---

(١) أخبار البحتري ص ٨٣-٨٤، ديوان البحتري ٩٩١/٢، ١٦٠٦/٣  
(٢) ديوان البحتري ١٦٠٨/٣، الموازنة ٢٩٤/٢، ديوان المعاني ٧١/١  
(٣) الصناعتين ص ٢٩٨، زهر الآداب ٦٨/١، الذخيرة ٣٢٥/١، معجم الأدباء  
٦٣/١٧

الخلال: الخصال، واحدها خلة، الشمائل: الطباع، واحدها شمال.

رجع، فلما جاء الفطر، وركب، ورجع، أوصلنى إليه بعد أيام،  
فدخلت، فأنشدته المتوكل:

أبر على الأنواء نائك الغمر      وبنيت بفخر ما يشاكله فخر<sup>(١)</sup>  
فلما بلغت إلى قولى:

بهرت قلوب السامعين بخطبة      هى الزهر المبوث واللؤلؤ النثر<sup>(٢)</sup>  
قال المتوكل للفتح: هذا شاعرك؟ فجعل يصفنى له، فأمر لى بعشرة  
آلاف درهم، فأخذتها من وقتى، وخصصت بالفتح، حتى كنت أشفع  
إليه فى الناس، ثم صيرنى بعد ذلك من جلساء المتوكل.

والشاهد أن البحترى وصل إلى إعجاب الفتح بن خاقان، ليصل بعد  
ذلك إلى إعجاب المتوكل، وهو هدفه الأسمى.  
وقد أعجب المتوكل بشعر البحترى، حتى جعل يصفق له، وأمر له  
بعشرة آلاف درهم.

\*\*\*

دخل البحترى على المتوكل، فأنشده قصيدته فيه، وهى:  
أيها الشيخ المعنى بالطرب

---

(١) أبر عليه: فاقه وغلبه، نائك: عطاوك، يشاكله: يماثله.

(٢) أخبار البحترى ص ٨٤

بهرت: اصبت بهرا، المبوث: المنثور، النثر: المفرق.

فأمر له بعشرين ألف درهم، ورمى إليه بعبدة من تماثيل كانت في يده، من ند، وقار مسك، فقال:

لئن كان هذا طيبا وهو طيب لقد طيبته من يدك الأنامل<sup>(١)</sup>  
وعنى الفتح بن خاقان بالبحترى، فأعطاه مالا كثيرا، وكان مع  
البحترى أحمد بن أبى فنن، وهو شاعر قد أفرغ شعره فى مدح الفتح  
بن خاقان.

وتلك الرواية تدل على ما بلغه البحترى الشاعر بشعره من منزلة،  
ومكانة عالية عند الخليفة المتوكل.

وقد مدح البحترى، المتوكل، فأمر له بعشرين ألف درهم. ومجموعة  
من الهدايا القيمة، فلما قبضها البحترى أنشد بيتا آخر، معناه أنه إذا  
كان هذا الند والمسك طيبا، وهو بالفعل طيب، فقد طيبته أناملك التى  
هى أكثر طيبا من الطيب نفسه، وذلك ردا لما فعله المتوكل معه، من  
المنح.

وهكذا كان الشاعر، والشعر فى دولة بنى العباس فى عصر المتوكل.

\*\*\*

---

(١) ديوان البحترى ٢٦٩٨/٥، أخبار البحترى ص ٩٣، الحيوان ٢١٠/٧  
فأمر المسك: قال الجاحظ: والناس يجدون ريح المسك فى بيوتهم فى بعض الأحيان،  
وهى ريح قارة، يقال لها قارة المسك، المعنى: المعذب، هذا: إشارة إلى الند والمسك،  
طيب: ذو رائحة طيبة، الأنامل: جمع أنملة وهى طرف الإصبع.

اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء، وهى أحسن من القمر، فقال  
لها ما اسمك؟

فقال الجارية: برهان.

قال المتوكل ولمن هذا الماء؟

قالت الجارية: لستى قبيحة.

قال المتوكل: فصبيه فى حلقى، فشرب على آخره، ثم قال للبحترى:  
قل فى هذا شيئاً.

فقال البحتري:

ما شربة من رحيق كأسها ذهب      جاءت بها الحور من جنات رضوان  
يوماً بأطيب من ماء بلا عطش      شربته عبثاً من كف برهان<sup>(١)</sup>  
والشاهد هنا أن المتوكل قد أعد الموضوع، وحدده للبحترى، وأمر  
البحترى أن ينشد شعراً فى الموضوع الذى حدده، وقد أنشد البحتري  
قَعلاً الشعر على البديهة والإرتجال فى بيتين من الشعر.  
إن الشعر الذى أنشده البحتري قد عبر به عن الواقعة التى حدثت،  
وقد وصف الماء الذى شربه المتوكل عبثاً، بلا عطش من كف

---

(١) ديوان البحتري ٦٨١/٥، الأغاني ٤٣/٢١، تجريد الأغاني ٢١٧١/٢،  
مختار الأغاني ٣١٨/٨

قبيحة: هى زوجة المتوكل، وأم ولده المعتز، سميت بالضد لفرط جمالها، الرحيق:  
الخمير، وضرب من الطيب، الحور: جمع حوراء، رضوان: خازن الجنة، العبث:  
العمل لا حكمة فيه ولا فائدة، برهان: اسم الجارية.

جاريته أفضل من خمر كأسها ذهب جاءت به الحور العين من جنات  
رضوان، فهذا الماء الذى شربه المتوكل أفضل.  
وقد بالغ البحتري فى هذين البيتين، لأن ماء الجنة لا يعلوه ماء آخر،  
لكنها مبالغة الشعراء، وذلك الشعر، وتلك المبالغة مما يروق فى  
أعين الخلفاء، من مثل الخليفة المتوكل.

\*\*\*

روى أن محمد بن عبدالمك الزيات كتب إلى الخليفة المتوكل، لما  
أحس بالموت، وهو فى حبس المتوكل، رقعة إلى المتوكل فيها:  
هى السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تريك العين فى النوم  
لا تعجلن رويدا إنما دول دنيا تنقل من قوم إلى قوم  
إن المنايا وإن أصبحت ذا فرج تحوم حولك حوما أيما حوم<sup>(١)</sup>  
فلما وصلت إلى المتوكل، قرأها أمر بإطلاقه فوجدوه ميتا.  
والشاهد هنا أن محمد بن عبدالمك الزيات، حين كان فى حبس  
المتوكل، وأحس بالموت، هرع إلى الشعر، فكتب ثلاثة أبيات، يسكب  
فيها الحكمة، لعل المتوكل يأمر بإطلاقه، وقد كان، فقد تأثر المتوكل

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٤١/١

هى السبيل: يقصد المنية، السبيل: الطريق الذى يسير فيه أو إليه كل الناس، ما تريك  
العين فى النوم: المنام، أو الرؤيا، رويدا: بمعنى تمهل، تنقل: أى تنتقل، وحذف حرف  
المضارعة، تحوم: تطوف، حوما: مصدر حام يحوم، أيما حوم: مبالغة، فرج: مخرج،  
ويسر.

بالشعر، فأمر بإطلاق محمد بن عبدالمك الزيات، لكن القدر لم يمهل، فقد وجد ميتا.

وهذه الأبيات نفثة مصدر أحس بالموت، لذا يقول: إن المنية هي الطريق لكل حي، يسير فيه لا محالة، فمن يوم إلى يوم يسير الناس إلى المنايا، وكان هذا الطريق رؤيا، أو منام، فلا تعجلن، وإنما تمهل، والدنيا دول تنتقل من قوم إلى قوم، وإن المنايا تحوم حولك، وإن كنت ذا فرج، فسوف تهجم عليك.

وهذه المعانى هي ما قاله محمد بن عبدالمك الزيات فى آخر حياته، وهى حكم رائعة حقيقية جاءت فى ظل تجربة فريدة، شديدة الوقع على النفس، فلا عجب أن يتأثر بها الخليفة المتوكل أيضا تأثر، لأنه ذواق للشعر.

\*\*\*

روى أن على بن الجهم كان عند الخليفة المتوكل، حين دخل عليه رسول برأس إسحاق بن إسماعيل.

فقام على بن الجهم بين يدي المتوكل، وأنشد:

أهلا وسهلا بك من رسول

جئت بما يشفى من الغليل



برأس إسحاق بن إسماعيل<sup>(١)</sup>

فقال المتوكل: قوموا التقطوا هذا الجوهر، لا يضيع.

والشاهد أن المتوكل قد سمع إنشاد علي بن الجهم الشاعر، وهي فرحة وسعادة للمتوكل، وأكملها، أو عبر عنها علي بن الجهم بالشعر، فأعجب المتوكل، وسر، وأمر جلساءه بالتقاط الجوهر، إعجابا، وسعادة.

أما الشعر الذي أنشده علي بن الجهم، فهو يرحب فيه بالرسول الذي جاء برأس إسحاق، وأنه جاء بما يشفي الغليل، مما يدل على أنه من أنصار المتوكل، والعباسيين.

\*\*\*

روى أن أبا العباس المبرد دخل على المتوكل، الخليفة العباسي، واختار له الفتح بن خاقان وقتا، فسأله المتوكل، وقال: يا بصرى، رأيت أحسن وجهها منى؟  
قال المبرد: لا، والله ولا أسمح راحة، ثم تجاسر فقال:

---

(١) المقدم الفريد، المكتبة التجارية ٢٢٤/١  
أهلا وسهلا: حلت أهلا، ونزلت سهلا، وهو تعبير يدل على التحية، الغليل: الغيظ.

جهرت بحلقة لا أتقيها      بشك في اليمين ولا ارتياب  
بانك أحسن الخلفاء وجها      وأسمح راحتين ولا أحابي  
وأن مطيعك الأعلى محلا      ومن عاصاك يهوى في تباب<sup>(١)</sup>  
فقال الخليفة المتوكل: أحسنت، وأجملت في حسن طبعك، وبديهتك.  
فقال المبرد: ما ظننتى أبلغ هذا الشرف، ولا أنال هذه المرتبة، فلا  
يزال أمير المؤمنين يسمو بخدمه إلى أعلى المراتب، وبصرفهم في  
المذاهب.

والشاهد أن المبرد أنشد ثلاثة أبيات في مدح المتوكل، بدأها  
بالمجاهرة بالحلف بحلقة، لا يتقيها بالشك، ولا الارتياب، بأن الخليفة  
المتوكل أحسن الخلفاء وجها، وأسمح وأجود راحة، والشاعر يقول  
ذلك، لا يحابي الخليفة، ويقول إن من أطاع الخليفة يحل أعلى محل،  
ومن عصاه يسقط في الهلاك.

وهذه الأبيات من المبرد صادفت موقعها، فقال له الخليفة أحسنت،  
وأجملت، في حسن طبعك، وبديهتك.  
وقد رد المبرد على الخليفة ردا جميلا بليغا متواضعا في أدب جم،  
يلائم خطاب الخلفاء، ومسامرتهم.

(١) زهر الأدب وثمر الألباب ٢/٢٦١

حلقة: اسم مرة من الحلف، لا أتقيها: لا أخشاها، أسمح: أكرم، راحتين: مثنى راحة،  
وهي باطن اليد، أحابي: أسامح، محلا: منزلة، عاصاك: أى عصاك، يهوى: يسقط،  
تباب: هلاك، وخسران.



كان الخليفة المتوكل قد عقد لولده: المنتصر، والمعزز، والمؤيد، ولاية العهد، ثم تغير على المنتصر، وكان يسميه المنتظر، ويقول له: أنت تتمنى موتى، وتنتظر وقتى، ويأمر الندماء أن يعبثوا به، إلى أن أوغر صدره، وأقل صبره، فاستعان بالأثرak على قتل أبيه المتوكل، وبويع المنتصر من ساعته.

فرثاه البحرى بمرثية من أجود ما قيل فى معناها، وكان حاضرا ليلة قتل المتوكل، هو والشاعر يزيد المهلبى، فاخفى أحدهما فى طى الباب، والأخر فى قناة الشاذروان<sup>(١)</sup>.

فرثاه البحرى بقصيدة مطلعها:

محل على القاطول أخلق دائرة وعلات صروف لدهر جيشا تغلوره<sup>(٢)</sup>  
وقد أجمع المؤرخون على أن المنتصر كان شريكا فى التآمر على قتل أبيه، لأن الوزير عبيد الله بن خاقان، والفتح بن خاقان كانا يوغان قلب المتوكل على ابنه المنتصر، ويرغبانه فى عزله من

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢٦١/١-٢٦٢

(٢) ديوان البحرى ١٠٤٥/٢

محل على القاطول: قصر المتوكل، والقاطول: نهر كأنه مقطوع من دجلة، كان فى موضع سامرا، قبل أن تعمر، أخلق: بلى، دائرة: الذى درس، وبلى، وامحى، تغاوره: تحاربه، أخلق دائرة، قيل: أنه مما أنكر على البحرى، فيقال: دثر مخلقه، ولا يقال: أخلق دائرة، لأن الدائر لا بقية له، فتخلق، أو يستجد، صروف: جمع صرف، وهى حوادثه ونوازلها.

ولاية العهد، ليكون الأمر للمعتز، وكان المتوكل قد استمع لمشورتها، بأن يقوم المعتز في يوم الجمعة بالصلاة بالناس، وفي الجمعة التالية حسنا له أن يصلى هو بالناس، فاستمال المنتصر إليه قواد الأتراك، ودبروا معه مؤامرة.

وتروى بعض المراجع أن البحترى كان حاضرا في هذا المجلس واختبأ، وقد أظهر البحترى في هذه القصيدة موقفه من المتوكل، والمنتصر والمعتز، وأنبا عن أمله، في أن يلي الخلافة المعتز دون المنتصر<sup>(١)</sup>.

وهي قصيدة طويلة، وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها ما قيلت هاشمية أحسن منها، وقد صرح فيها تصريح من أذهلت المصائب، عن تخوف العواقب<sup>(٢)</sup>.

وفيها يقول:

---

(١) ديوان البحترى ١٠٤٥/٢

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ٢٦٢/١

ولم نس وحش قصر إذ ريع سربه  
 وإذا ذعرت أطلاؤه وجأزره  
 وإذا صيح فيه بالرحيل فهتكت  
 على عجل استاره وستائرته  
 تخفى له مغتاله تحت غرة  
 وأولى لمن يغناؤه لو يجاهره  
 ولا نصر لمعتر من كل يرتجى  
 له وعزيز القوم من عز ناصره  
 تعرض ريب الدهر من نون فتحه  
 ولو لعبيد الله عون عليهم  
 أذاع عنه باليدين ولم يكن  
 ولو كان سيفى ساعة لقتل فى يدي  
 حرام على الراح بعدك أو أرى  
 وهل أرتجى أن يطلب الدم واتر  
 أكان ولى العه أضمر غدره  
 فلا على الباقي تراث لذي مضى  
 ولا وأل المشكوك فيه ولا نجا  
 وإنى لأرجو أن ترد أموركم  
 مقلب أراء تخفاف أناته

(١) ديوان البحترى ١٠٤٥/٢-١٠٤٩

وحش القصر: صور نساء القصر بالبقر الوحشى، وهى مما تشبه به النساء، كما يرى  
 بعض شراح القصيدة، أو ابن الشاعر يشير إلى قصر المتوكل الذى فى حديقة الحيوان  
 التى أنشأها المتوكل خارج مدينة سر من رأى، أو القصر الذى أنشئ فى حير  
 الحيوانات عملا بعبادة الفرس القدماء فى وصل حير الوحوش بالقصر الملكى، ريع:  
 بالبناء للمجهول،: فزع، سرب: قطع أو جماعة، بكسر السين، ذعرت: بالبناء

وتلك القصيدة تدل على أن البحترى كان ينهل من عطاء الخليفة المتوكل، حتى صار محبا له، وفيما وقت غدر ابنه المنتصر به. ولم يهب البحترى صولة المنتصر، وإنما أنشد هذه القصيدة بعد قتل المتوكل، وولاية المنتصر، وذلك دليل على أن للشعر مواقف غاية في القوة، وكذلك الشعراء أيضا.

---

للمجهول، الأطلاق: جمع الطلاء، وهو الطبي، الجادر: جمع الجوزر، وهو ولد البقر الوحشى، تشبه المرأة فى جمال العينين، صيح، فهتكت: بالبناء للمجهول، أستار: جمع ستر، وستائر: جمع ستارة، مغتاله: وهو التركى الذى قتل المتوكل، غرة: بكسر الغين، الغفلة، المعتز: يقصد قصة المعتز بن المتوكل، أى أن حزب المعتز لم يجد من يناصره أمام المتأمرين لمصلحة أخيه المنتصر، يرتجى: بالبناء للمجهول، فتحه: يقصد الفتح بن خاقان، غيب: بالبناء للمجهول، طاهرة: يقصد الأمير طاهر بن عبدالله بن طاهر، وكان يميل إلى المعتز، عبيد الله، هو الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المتوكل، وراد: جمع وارد، مصادره: جمع مصدر، وقد أراده مثلا، من ورود الماء، والصدور عنه، الأعزل: من ليس معه سلاح، حاسر: يقصد حسر السلاح، أى خلعه، المساورة: المواثبة، الراح: الخمر، المائر: الجارى، الواتر: الظالم، الموتور: من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، والشاعر يعجب كيف يطالب بدم هذا القتيل، إذا كان الذى يجب أن يثار له، وهو ابنه، هو المحرض على قتله، وقد أوضح سخطه على المنتصر، أى وهل يرتجى أن يطلب الدم طالب مدى الدهر، ولى العهد: يقصد المنتصر، ولى العهد بالبناء للمجهول، ملى: بضم الميم، وتشديد اللام المكسورة، بالبناء للمجهول، متع، تراث: ميراث، الباقي: المنتصر، الذى مضى: المتوكل، وأل: طلب النجاة، المشكوك فيه: أى القاتل، أو المنتصر، ناضى السيف: شاهره، أو مخرجه من الغمد، خلف من شخصه: يقصد المعتز، العجلان: المتسرع، الأناة: التمهل والترفق، والحلم والوقار، الأخرق: الأحمق الذى لم يرفق فى عمله، البوادر: جمع البادرة، وهى الحدة، أو ما يبدر من الإنسان عند حدته من الخطأ.



# الفصل الخامس عشر

الشعر في الفترة الثانية  
من العصر العباسي الأول  
٢٥٧ - ٢٨٩ هـ





هذه الفترة ولى فيها بعض الخلفاء كانوا أيضا من محبى الأدب، ومشجعى الشعر والشعراء، وكان لهم ذوقهم الأدبى والفنى، ولم يكونوا أقل من سابقهم، سوى أنهم كانوا أضعف منهم، وقد وصف المؤرخون هذه الفترة بأنها فترة الخلفاء الضعاف من العصر العباسى الأول، على عكس الفترة الأولى، وهى فترة الخلفاء الأقوياء. وقد ولى فى هذه الفترة من الخلفاء ستة خلفاء، هم:

\*\*\*

- المنتصر، ٢٤٧ - ٢٤٨ هـ، وهو أبوجعفر محمد المنتصر بن المتوكل، بويح لأربع خلون من شوال، سنة سبع وأربعين ومائتين، وتوفى لأربع خلون من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وأربعين ومائتين، فكانت خلافته سنة، وستة أشهر، ووزر له أحمد بن الخصيب، وحاجبه وصيف، ثم بغا.

- المستعين، ٢٤٨ - ٢٥٨ هـ، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم، بويح لأربع خلون من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وخمسين ومائتين، وكانت خلافته ثلاث سنين، وتسعة أشهر، وقتل بعد خلعه نفسه بتسعة أشهر، وأمه أم ولد يقال لها مخارق، ووزر له أحمد بن الخصيب، ونكبه.

\*\*\*

- المعتز، ٢٥٢ - ٢٥٥ هـ، وهو أبو عبدالله محمد المعتز بن المتوكل، وأخو المنتصر، ولى لأربع خلون من المحرم، سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وقتل لليلة خلت من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وكانت خلافته منذ بويج له، واجتمعت الكلمة عليه ثلاث سنين، وستة أشهر، وثلاثة وعشرين يوماً، ومنذ بايعه أهل سر من رأى إلى أن قتل أربع سنين، وستة أشهر، وخمسة عشر يوماً، وكانت الفتنة قبل ذلك بينه وبين المستعين سنة.

\*\*\*

- المهتدي، ٢٥٥ - ٢٥٦ هـ، هو أبو عبدالله محمد بن الواثق، بويج لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب، سنة ست وخمسين ومائتين، فكانت خلافته أحد عشر شهراً، وأربعة عشر يوماً.

\*\*\*

- المعتمد، ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ، هو أبو العباس أحمد المعتمد بن المتوكل، وأخو الخليفة المنتصر، والخليفة المعتز، بويج لليلة بقيت من رجب، سنة ست وخمسين ومائتين، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، سنة تسع وسبعين ومائتين، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة، ووزر له عبيدالله يحيى بن خاقان، وسليمان بن وهب، والحسن بن مخلد، وصاعد بن مخلد، وأبو الصقر إسماعيل بن بلبل.

\*\*\*

- المعتضد، ٢٧٧ - ٢٨٩ هـ، هو أبو العباس أحمد بن الموفق،  
بويح في رجب، سنة سبع وسبعين ومائتين، وتوفى لسبع بقين من  
شهر ربيع الآخر، سنة تسع وثمانين ومائتين، فكانت خلافته تسع  
سنين، وتسعة أشهر، وأربعة أيام، ووزر له عبدالله بن سليمان بن  
وهب، ثم ابنه القاسم بن عبيدالله<sup>١</sup>.

\*\*\*

قال أبو إسحاق الحصرى: قد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة وهدم  
لآخرين أبنية منيفة، وتمثل بالشعر في قوله:

وما هو إلا القول يسرى فتغتندى له غرر في أوجه ومواسم<sup>٢</sup>

فالشعر يمثل منزلة عالية، ومكانة رفيعة في إعلاء مكانة أقوام،  
وخفض مكانة آخرين.

وهذا ما فهمه خلفاء بنى العباس، فالشعر هو الصحيفة اليومية، التي  
تتردد بين الناس، وتنتشر شيم بنى العباس، وسماتهم، وأخلاقهم،  
وتؤيد دولتهم، وسلطانهم.

\*\*\*

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٣/٣٠٤-٣٠٧.

<sup>٢</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ١/٥٨.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي: سمعت أبا عمرو بن العلاء  
ورجل يقول: إنما الشعر كالميسم.

فقال الرجل: كيف يكون ذلك كذلك، والميسم يذهب بذهاب الجلد،  
ويدرس مع طول العهد، والشعر يبقى على الأبناء، بعد الآباء، ما  
بقيت الأرض والسماء.

وقال عمر رضى الله عنه: تعلموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى،  
ومساوئ تتقى<sup>١</sup>.

وهاتان الروايتان تدلان على مكانة الشعر فى العصر القديم حتى  
العصر العباسى.

وهذا ما فطن إليه خلفاء بنى العباس، فاستجادوا الشعر، واستشدهوه،  
وأشدهوه، وقرضوه، وربوا أولادهم عليه، وأتوا بكبار علماء اللغة،  
ورواة الأشعار، ونقده الشعر ليتقوا أولادهم، ويعلموهم لغة قومهم،  
ولغة قرآنهم، وأدب العرب، فنمت ملكاتهم على حب الشعر،  
وقرضه، ونقده، وتمييز جیده من رديئه، وحبب ذلك إليهم أن يمدحوا  
بالشعر.

\*\*\*

---

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ٥٨/١.

وقال أبو تمام:

إن القوافى والمساعى لم تزل  
هى جوهر نثر فإن ألفتــــه  
مثل النظام إذا أصاب فريدا  
من أجل ذلك كانت العرب الألى  
يدعون هذا سؤددا مجدودا  
وتتد عندهم العــــلا إلا إذا  
جعلت لها مرر القصيد قيودا<sup>١</sup>

ومعنى ذلك أن للشعر قدره، وللشعراء مكانتهم، وقد فهم ذلك بنو العباس جيدا، فكان احتقائهم بالشعر، وإثابتهم عليه، وتقديرهم إياه حق التقدير، فعلت دولة الشعر فى عصر العباسيين.

وهذه هى مكانة الشعر فى رأى أبى تمام، وأبو تمام شاعر من شعراء العصر العباسى الأول، لذا فهذا الرأى يمثل رأى شاعر من شعراء الدولة العباسية التى نحن بصدد تقدير قيمة الشعر، ومنزلة الشعراء فيها، لذا تعد هذه شهادة على قيمة الشعر عند أبى تمام، وفى القرن الثالث الهجرى، وفى العصر العباسى الأول.

كذلك فهذا الشعر يبين قيمة الشعر عند العرب الأولين، ومنزلته بينهم، ومكانته عندهم، فكان للشعر بين العرب حتى هذا العصر الذى

<sup>١</sup> - زهر الأداب وثمر الألباب ١/٥٨-٥٩

تتد: بفتح التاء، وكسر النون، وتشديد الدال، جعلت: بالبناء للمجهول، مرر: جمع مرة، بكسر الميم فيهما، وهى أحكام الفتل، وتتد: تتفر. وتشرد، قلائدا: نونت، وكان يجب منعها من الصرف، وذلك لضرورة الوزن الشعرى.

نحن بصدد محاولة فهمه مكانة لا تعلوها مكانة فن آخر من فنون  
القول.

\*\*\*

وقال ابن الرومي:

أرى الشعر يحيى الناس والمجد بالذى      تبقيه أرواح له عطرات  
وما المجد لولا الشعر إلا معاهد      وما الناس إلا أعظم نخرات<sup>١</sup>

\*\*\*

وهذه هي مكانة الشعر عند ابن الرومي، وهو من شعراء القرن  
الثالث الهجري، والعصر العباسي الأول، المبرزين المفلقين،  
المجيدين.

وقد فهم للشعر هذه المكانة خلفاء بني العباس، فسمت دولة الشعر  
عندهم، وعلت مكانة الشاعر أيضا عندهم، فلا عجب إن سمعنا هذه  
المكافآت، والمنح، والجوائز، والهبات، والصلات، والعطايا التي  
تنهال على شعراء العباسيين من خلفاء بني العباس.

\*\*\*

---

<sup>١</sup> - زهر الاداب وثمر الالباب ٥٩/١

تبقيته: بضم التاء، وفتح الباء، وكسر القاف المشددة، عطرات: بفتح العين، وكسر  
الراء، معاهد: جمع معهد، بمعنى منازل، أو أماكن معهودة، أعظم: بضم الظاء، جمع  
عظم، نخرات: بالياء، بفتح النون وكسر الخاء.

- حدث البلاذرى<sup>١</sup> قال: كنت من جلساء المستعين بالله، وقد قصد الشعراء إليه، ليمدحوه.

فلما مثلوا بين يديه، قال لهم: لا أرضى إلا بمثل قول البحتري، فى الخليفة المتوكل:

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما  
فى وسعه لسعى إليك المنبر  
فلما رجعت إلى بيتى صنعت هذين البيتين، ثم عدت إليه، فقلت: قد  
قلت فىك أحسن مما قال البحتري فى المتوكل.  
قال المتوكل: هات، فأنشدته:

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته  
يظن لظن البرد أنك صاحبه  
وقال وقد أعطيته ولبسته  
نعم هذه أعطافه ومناكبه<sup>٢</sup>

فهش لهما المستعين، وأعطانى سبعة آلاف دينار.  
والشاهد أن البلاذرى الذى أنشد هذا الشعر كان من جلساء المستعين،  
وذلك له دلالة على مجلس المستعين، وجلسائه من الشعراء والأدباء.  
- إن الشعراء قد قصدوا إلى المستعين، ليمدحوه، وذلك دلالة على  
دولة الشعر، ومنزلته عند الخليفة المستعين، وأن هذا أمر معتاد، فكل

<sup>١</sup> - مشتاق: محب، وسعه: طاقته، المنبر: مكان الخطابة، أو هو دلالة على الملك.

<sup>٢</sup> - تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول، ص ٢٧٦.  
المناكب: جمع منكب، وهو عظم العضد والكتف، البرد: القباء، المصطفى:  
الرسول صلى الله عليه وسلم، الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب، والعطف،  
بكسر العين، وسكون الطاء، الجانب من لدن الرأس إلى الورك.



شاعر قد أنشد قصيدة إنما يذهب بها لمدح الخليفة، كما أن كل شاعر يهين نفسه لمثل هذا اليوم، وذلك إعلاء للشعر، وإثراء له.

- إن المستعين لما مثل الشعراء بين يديه، قال لهم: لا أرضى إلا بمثل قول البحتري في الخليفة المتوكل، ومعنى ذلك أنه يريد نوعا معيناً من الشعر يعلو في معناه، ويرقى إلى مثل هذا الشعر الذي حدده، وتلك درجة عالية في فهم الشعر.

- إن البلاذري رجع إلى بيته، وصنع بيتين، وعاد إلى الخليفة المستعين، وقال له: قد قلت فيك أحسن مما قال البحتري في المتوكل، وأنشده البيتين، فهش لهما المستعين، ومنحه سبعة آلاف دينار.

- الملاحظ أن بيت البحتري في المتوكل فيه مبالغة خفف منها قوله: لو، فهو تمن.

أما بيتا البلاذري فهما تزيد في المبالغة، فهو يجعل من الخليفة المستعين مثيلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك مالا نرضاه من المبالغة، فقد جعل برد النبي صلى الله عليه وسلم يظن أن المستعين هو النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: إن أعطاف المستعين، ومناكبه هي نفسها أعطاف الرسول صلى الله عليه وسلم ومناكبه.

\*\*\*

روى أن المعتز أنشد في قينة له:

فأمسيت في ليلين للشعر والدجى وشمسين من كأس ووجه حبيب'  
وهذا شعر أنشده الخليفة في قينة له، وهو شعر في الوصف، صور  
فيها تصويرا جميلا مصيبا، ولو أنه تصوير مادي، لكنه صادف  
معناه وموقعه، وتلك درجة عالية في قرص الشعر من الخليفة المعتز  
العباسي، ولعل هذا المعنى تطرق إليه الشعراء أيضا.

\*\*\*

روى البحرى: لما بنى الخليفة المعتز قصره الكامل، دخلت عليه،  
فأنشدته قصيدة في مدحه، ووصف قصره الكامل، حتى أتيت على  
آخرها، ومنها:

ليدم لنا المعتز إن بملكه	عز الهدى وخبا ضلال الباطل
ما زال يكلاً ديننا ويحوطه	بالمشرفية والوشيح الذابل
تغديك أنفسنا وقلت فديّة	لك من تصرف كل دهر غائل
ورأيت عبدالله في السن التي	تعد الكثير بدهرها المتناول

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٤٥/٤.

ليلين وشمسين، على التصوير، الدجى: جمع دجية، بمعنى الظلام، يصور الشعر بأنه  
ليل في ظلامه، وسواده مضافا إلى الليل الحقيقي، كما يصور الكأس ووجه الحبيب  
بأشمس، قال ابن الأعرابي: لا تسمى الكأس كأسا إلا وفيها الشراب.

ولقد بلوت خلاله فوجدته معطى خلال من لديك جلائل  
يحكيك في كرم الفعال خلانقا بخلائق وشماتلا بشمائل  
قدمت في عناية مشكورة كانت لديه ذرائع ووسائل  
وأرى ضمانك للوفاء ووعد لا يرضيان سوى النجاح العاجل'  
فقال المعترز: يا وليد، ما أنشدتني قط إلا أطربتني، ولا رأيتك إلا  
سررت للملك ببقائك.

فقبلت الأرض، وقلت: عبدكم الذي أعنتموه، وسائلكم الذي أغنيتموه.  
والشاهد أن الشعر ينشده الشعراء للخلفاء، في كل مناسبة، والمناسبة  
هنا بناء الخليفة المعترز قصره الكامل.

- إن المعترز ذواقة للشعر، لذا كان تعليقه على قصيدة البحرى: يا  
وليد، ما أنشدتني قط إلا أطربتني، ولا رأيتك إلا سررت للملك  
ببقائك، وذلك دليل على إعجابه بقصيدة البحرى، وإعجابه بالبحترى

---

<sup>1</sup> - ديوان البحرى ١٦٤٢/٣-١٦٤٦، أخبار البحرى ص ١٠٦، الموازنة ١٣٠/٢.  
الوشيح: شجر الرماح، وأصله عروق القنا، وسميت به لتداخل بعضها في بعض،  
الذابل: الدقيق، المشرفية: السيوف نسبة إلى مشارف الشام، أو موضع في اليمن،  
عبدالله هو ابن المعترز. ليدم: دعاء بالدوام، خبا: خمد وزال، يكلا: يحفظ، يحوط:  
يحفظ، تفديك: تجعل فداء لك، غائل: اسم فاعل من غال بمعنى غدر وأهلك،  
المتناول: الطويل بلوت: اخترت، خلال: جمع خلة، وهي الخلق أو الطبيعة والسجية،  
جلائل: جمع جليلة، بمعنى عظيمة القدر، يحكيك: يشبهك، الفعال: الفعل الحسن  
والكرم، خلانق: جمع خليفة، بمعنى الخلق، شمائل: جمع شمال، عناية: اهتمام،  
الذرائع: جمع ذريعة، بمعنى الوسيلة، الوسائل، جمع وسيلة، الذابل: يقصد الدقيق، قلت  
فدية: قل قدرها لعظم قدر المدوح.

إعجاباً، بلغ الغاية، وتلك إماره على قيمة الشعر فى دولة بنى  
العباس.

\*\*\*

روى الزبير بن بكار قال: دخلت على المعتز بالله أمير المؤمنين،  
فسلمت عليه.

فقال المعتز: يا أبا عبدالله، إنى قد قلت فى ليلتى هذه أبياتا، وقد أعيأ  
على إجازة بعضها.

قال الزبير: أنشدنى.

فأنشده المعتز، وكان محموماً، يقول:

إنى عرفت علاج القلب من وجع      وما عرفت علاج الحب والجزع  
جزعت للحب والحمى صبرت لها      إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى  
من كان يشغله عن حبه وجع      فليس يشغلنى عن حبكم وجعى  
قال الزبير: فقلت:

وما أمل حديثى ليلة أبدا      مع الحبيب وباليت الحبيب معى<sup>١</sup>  
فأمر المعتز للزبير على البيت ألف دينار.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٢٣/٤

وجع: مرض وألم، الجزع: قنة التصبر، الحمى: مرض، أمل: أصاب بالملالة والسأم،  
علاج القلب من مرض: يقصد المرض على الحقيقة، علاج الحب والجزع: يقصد  
مرض القلب بالحب، من صبرى ومن جزعى: يقصد الصبر على مرض الحمى،  
والجزع لمرض الحب، يشغله: يلهيه وينسيه.

والشاهد هنا أن الخليفة المعتز قد أنشد أبياتا من الشعر، وقد أعيا عليه إجازة بعضها، مما يدل على أنه لم يستوف المعنى الذي يريده، ولم يستقصه، ورغب في ذلك.

- إن جليسه كان من الأدباء الشعراء، فلما دخل عليه، حكى له المعتز حكاية أبياته، ليجيزها، وقد أجازها فعلا، مما يدل على أن المعتز كان مشغولا بهذه الأبيات، ويريد استكمالها.

- إن الشعر الذى أنشده المعتز كان غزلا، تصرف فيه الزبير، وأكملاه، ويا للعجب من غزل الخليفة الذى ينشده بغير تخرج، مما يدل على قيمة فن الشعر فى بلاط المعتز.

- أما الجائزة التى نالها الزبير فقد بلغت مبلغا عظيما فى عطايا الخلفاء الشعراء، فقد كانت ألف دينار على البيت الواحد، وتلك المكافأة تدل على قيمة الشعر عند المعتز.

\*\*\*

روى ابن رجا الكاتب أن الخليفة المعتز أخذ منه جارية، فأخذت العود، فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح، ذكرت ما كانت فيه من أيامها قبلا، وهى تقول:

لا كان يوم الفراق يوما	لم يبق للمقلتين يوما
شتت منى ومنك شملا	فسر قوما وساء قوما
يا قوم من لى بوجد قلب	يسومنى فى العذاب سوما

ما لامنى الناس فيه إلا بكيت كيما أزداد لوما<sup>١</sup>  
فلما فرغت من صوتها رفع المعتز رأسه إليها، والدمع يجرى على  
خديها، فقصها عن الخبر، وحلف لها أن يبلغها أملها، فأعلمته للقصة،  
فردها إلى ابن رجاء، وأحسن إليها، وألحقه فى ندمائه وخاصته.  
هذه الرواية تدل على أن الشعر والغناء قد يتخذان ذريعة عند  
الخلفاء، ليصل الشعراء إلى ما يريدون من وراء هذا الشعر، وذلك  
الغناء، فحين أخذ المعتز جارية ابن رجاء الكاتب، وكان ذلك على  
غير رغبتها، لجأت إلى الشعر تغنيه للخليفة المعتز، فغنت عليه  
صوتا حزينا، من قلب قريح، ذكرت فيه ما كانت من أيامها قبلا،  
ولما فرغت منه، رآها المعتز تبكى، فقصها عن الخبر، وحلف لها  
أن يبلغها أملها، فأعلمته القصة، فردها إلى ابن رجاء، وأحسن إليها،  
وألحقه فى ندمائه، وخاصته، وكان ذلك كله بسبب الشعر الذى غنته  
للخليفة المعتز.

- أما الشعر الذى غنته الجارية، فهى تدعو فيه على يوم الفراق،  
حيث لم تنم فيه، فقد شئت منها ومن سيدها الشمل، وسر قوما،  
وساءها هى وسيدها، ثم تستبعد أن يساعدها أحد على شدة الحب

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/٤١

المقلة: شحمة العين التى تجمع البياض والسواد، شئت: فرقت، الشمل: الجمع، الوجد:  
شدة الحب، يسوم: يذيق، أزداد: بالبناء للمجهول، لأن كان يوم الفراق يوما: جملة دعائية  
يدعو فيها على يوم الفراق، سر قوما: يقصد العازل، وساء قوما: تقصد نفسها وابن  
رجاء الكاتب سيدها.

الذى يذيقها العذاب، والذى يلومها فيه الناس، وكلما لاموها ازدادت بكاء كى يزيدا الناس لوما.

وكان هذا الشعر كفيلا بأن يرجعها المعتز إلى سيدها، مما يدل على قيمة الشعر عند المعتز، وفهم الجارية ذلك، حتى اتخذت من الشعر ذريعة إلى ما تريد.

\*\*\*

حدث عبدالله بن المعتز قال: كان المعتز قد أقطعنى إقطاعا، وجاورنى فى بعضه البحترى، فسألنى البحترى أن أهب له الضيعة التى تجاوره، فوعدته، فتحمل على أبى، وعمل فى ذلك أشعارا منها قوله:

يا واحد الخلفاء غير مدافع	كرما وأحسنهم ندى وصنيعا
أنت المطاع فإن سئلت رغبة	ألفيت للراجى نذاك مطيعا
إنى أريدك أن تكون ذريعة	فى حاجتى ووسيلة وشفيعا
ماسالها أحد سوى خليفة	فى الناس مرثيا ولا مسموعا
لو لم أمت بها إليك بديعة	ما كنت فى كرم الفعال بديعا <sup>١</sup>

فقال لى: يا عبدالله، اقض حاجة البحترى، فوهبت له الضيعة.

<sup>١</sup> - ديوان البحترى ١٣٠٩/٢، أخبار البحترى ص ١٠٥  
واحد الخلفاء: واحد في صفاته، وخلانقه، وكرمه، أى لا يبلغه أحد في المنزلة، غير مدافع: غير مزاحم، الرغبة: الأمر المرغوب فيه، والعطاء الكثير، الذريعة: الوسيلة، ماسالها: ما سألتها، خفف الهمزة فيها، الفعال: الفعل الحسن، والكرم، مت به إليه: وصل وتوسل، واحد الخلفاء: النادر الفريد في نوعه، ندى: كرم، الصنيع: المعروف والفعل الحسن، الراجى: الذى يرجو نداءه، حاجتى: مطلبى، شفيع: وسيلة، الندى: الكرم، الصنيع: حسن المعروف، الراجى نذاك: الطالب كرمك، سئلت، ألفيت: بالبناء للمفعول، ما سالها أى ما سألتها وسهلت الهمزة، الفعال: الفعال الطيبة.

وكان البحترى قد قال فى ذلك وفى مدح عبدالله بن المعتز:

وجاور ربيعى بالشام رباعه      وليس الغنى إلا مجاورة البحر  
ولى حاجة لم آل فيها وسيلة      إلى القمر الوضاح والسيد الغمر  
شفعت إليه بالإمام وإنما      تشفعت بالشمس اقتضاء إلى البدر  
فلم أر مشفوعا إليه وشافعا      يدانيهما فى منتهى المجد والفخر  
فعال كريم الفعل مطلب الجدا      وقول مطاع القول متبع الأمر<sup>١</sup>

والشاهد أن البحترى حين رغب أن يهب له ابن المعتز إقطاعا،  
توسل بالشعر إلى المعتز أبيه، فمدحه بشعر، بين فيه أنه واحد  
الخلفاء فى الكرم، وأحسنهم حسن فعل، وهو المطاع، فإذا سئل أطاع  
ومنح، وأنه ذريعة الشاعر ووسيلته فى حاجته التى يرجوها من ابنه،  
وأن حاجة الشاعر ما سألها أحد قبله خليفة من الخلفاء، وأن الشاعر  
لو لم يمت إليه بها بديعة ما كان الخليفة بديعا فى كرم الفعال.  
وقد استجاب الخليفة المعتز، وأمر ابنه عبدالله أن يقضى حاجة  
البحترى، فوهب عبدالله للبحترى الضيعة.

<sup>١</sup> - ديوان البحترى ١٠٠٧/٢، الموازنة ١٧٧/٢، حماسة ابن الشجرى ص ١٨٠،  
معجم البلدان ٣٧٥/٦.

يشير الشاعر إلى أن لابن المعتز ضياعا إلى جانب ضياعه هو بالشام، لم آل: لم أقصر ولم  
أبطئ، الغمر: الكريم الواسع الخلق، ربيع: منزل، البحر: يقصد البحر فى الكرم، وسيلة:  
ذريعة، الوضاح: المنيز، شفعت: توسلت، الإمام: المعتز، اقتضاء: قضاء المطلب، يدانى:  
يقارب، منتهى: غاية، مطلب: مطلوب، الجدا: الجدوى والعتاء، متبع: بصيغة اسم المفعول،  
شفعت إليه: أى إلى عبدالله بن المعتز، بالإمام: يقصد الخليفة المعتز، وابن عبدالله، مشفوعا  
إليه: يقصد ابن المعتز، وشافعا: يقصد المعتز، متبع الأمر: مطاع أمره.



وكان البحترى قد توسل إلى ابن المعتز نفسه بشعر، أنشده فيه، يقول له: لقد جاور ربعى فى الشام رباعه، وليس الغنى إلا مجاورة البحر فى الكرم، وهو ابن المعتز، وبين أن له حاجة اتخذ فيها كل وسيلة إلى ابن المعتز القمر، الكريم، وأن الشاعر شفع إليه بالخليفة المعتز، فتشفع بالشمس اقتضاء إلى البدر وأن الشاعر لم ير مشفوعا إليه، وشافعا، يدانى ابن المعتز، والمعتز فى غاية المجد والفخر، فلهما فعال كريم الفعل مطلوب العطاء، وقول مطاع القول، متبع الأمر. وقد استطاع البحترى بشعره أن ينال ما يريد، دلالة على قيمة الشعر عند المعتز، وابنه.

\*\*\*

حدث البحترى، وأبو معشر المنجم أنها ضاقتا إضافة شديدة، وكانا مصطحبين، فعن لهما أن يلقيا المعتز بالله، وهو محبوس، فيتوددا إليه، ويوصلا عنده وصلا، فتوسلا حتى لقياه فى حبسه. قال البحترى: فأنشدته أبياتى التى قلتها فى محمد بن يوسف الثغرى، لما حبس، وخاطبت بها المعتز، كانى عملتها فى الحال، وهى:

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك	من الحادث المشكو والنازل المشكى
وما هذه الأيام إلا منازل	فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك النائبات وإنما	صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

على أنه قد ضيم في حبسك الهدى      وأضحى بك الإسلام في قبضة الشرك  
أما في نبي الله يوسف أسوة      لمتلك محبوسا على الظلم والإفك  
أقام جميل الصبر في السجن برهة      فآل به الصبر الجميل إلى الملك'  
فأخذ المعتز الرقعة التي فيها الأبيات، فرفعها إلى خادم كان واقفا  
على رأسه، وقال: احفظها وغيبها، فإن فرج الله عز وجل عني،  
فذكرني بها، لأقضى حق هذا الرجل الحر.  
وانصرفنا، وضرب الدهر ضربه، وصح الحكم بأمره، فدخلنا إلى  
المعتز بالله، وهو خليفة بعد المستعين.  
قال البحترى: فتقدمت، وأنشدت المعتز قصيدة مدحته بها، وهنأته  
بالخلافة، وهجوت فيها المستعين، أولها:  
يجانبنا في الحب من لا نجانبه      ويبعد منا في الهوى من تقاربه  
حتى انتهيت إلى قوله:

<sup>١</sup> - ديوان البحترى ١٥٦٣/٣، وفيات الأعيان ١٦٤/١، أخبار البحترى ص ٩٨،  
فوات الوفيات ٣٧٤/٢، الوافى بالوفيات ١٩٣/٢، جعلت فداك: دعاء له، النازل:  
يقصد ما نزل به، وهو السجن والحبس، رحب: واسع، ضنك: شدة وضيق، النائبات:  
جمع نائبة، وهي النازلة، والمصيبة، الإبريز: الخالص، السبك: تعرض المعدن للنار،  
ويقصد هنا الشدة، ضيم: ظلم، قبضة: جمع اليد، الإفك: الكذب، برهة: وقتا قصيرا،  
أل: انتهى.

فكيف رأيت الحق قر قراره      وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه  
ولم يكن المغتر بالله إذ سرى      لينجز والمعتر بالله طالبه<sup>١</sup>  
قال البحتري: فاستعاد منى هذه الأبيات مرارا، فأعدتها، ودعا  
بالخادم الذى كان معه فى الحبس، وطلب الرقعة التى كنت أنشدته  
الشعر الذى فيها فى حبسه، فأحضره إياها بعينها.  
فقال المعتر: قد أمرت لك بكل بيت منها بألف دينار، وكانت ستة  
أبيات، فأعطيت ستة آلاف دينار.

ثم قال لى: كأتى بك قد بادرت، فاشتريت منها غلاما، وفرسا،  
وجارية والتفت، وقال: لا تفعل، فإن لك فيما تستأنف معنا فى أيامنا،  
ومع وزرائنا، وأسبابنا، إذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن ذلك،  
ولكن افعل بهذا المال، كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذى وصل  
إليه من عبدالله بن جعفر، اشتر به ضيعة جليلة تنتفع بغلتها، ويبقى  
عليك، وعلى ولدك أصلها.

فقلت: السمع والطاعة، وخرجت، فاشتريت بالمال ضيعة جليلة.  
والشاهد أن الأبيات الأولى التى أنشدها البحتري المعتر، وهو فى  
الحبس هى من قبيل مواساته فى مصيبتة بالسجن، إذ يقول له: إن

---

<sup>١</sup> - الوساطة ص ٤٦، سر الفصاحة ص ١٨٨، الطراز ٢/٣٦٦، الطبرى ٩/٣٥٢،  
الموشح ص ٣٣٤، أخبار البحتري ص ١٠٤، ديوان البحتري ١/٢١٣-٢١٥.  
يجانبنا: يستعد عنا، قر: ثبت، آلت: انتهت، عواقب: جمع عاقبة، المغتر: الذى غر  
نفسه، سرى: سار ليلا، لينجز: يحقق

الدهر لا ينفك عن الحوادث والنوازل، وهذه الأيام منازل، منها  
الرحب، ومنها الضنك وإن النائبات قد هذبتك، كما يصفو الذهب  
الخالص بالسبك، وإنه بحبسك قد ظلم الهدى، وصار الإسلام في  
قبضة الشرك، وإن في نبي الله يوسف عليه السلام أسوة لك، فقد  
كان محبوسا ظلما وإفكا، وصبر على الحبس، حتى نال بالصبر  
الملك.

أما في الأبيات الثانية يذكر المعتز بأن الحق قد قر قراره، وأن الظلم  
قد أزيل، وأن المغتر بالله لم يكن لينجز ما يريد، والمعتز بالله يطلب  
ثأره منه، فانتصر المعتز.

- إن البحتري وصاحبه المنجم لما ضاقا لقيما المعتز في حبسه،  
ليتوددا إليه، ويوصلا عنده، فتوسلا إليه، حتى لقياه، وأنشده البحتري  
شعره.

- إن المعتز قد احتفظ بالرقعة التي فيها شعر البحتري، وأمر الخادم  
أن يذكره بها، حين يصير إليه الأمر، ليقتضى حق البحتري، ومعنى  
ذلك أنه يرغب في إثباته، لكن ظروف حبسه تمنعه من ذلك، فليس  
لديه سوى أن يحتفظ بالرقعة ليثيب البحتري وقت ما يستطيع.

- إن المعتز حين صار إليه أمر الخلافة دخل عليه البحتري وأنشده  
شعره فيه، واستعاد من البحتري الشعر مرارا، وطلب الرقعة السابق  
ذكرها، وأمر للبحتري بكل بيت بألف دينار، فنال البحتري ستة

ألف دينار، وقد نصحه المعتز بأن لا يشتري غلاما، وفرسا،  
وجارية، ووعدته بأنه سوف ينال في مستأنف الأيام معه، ومع  
وزرائه، وأسبابه غناء عن ذلك، ثم نصحه بأن يشتري بها ضيعة له،  
ولولده، كما فعل عبيد الله بن قيس الرقيات، وقد اشترى البحتري  
ضيعة، كما نصحه المعتز.

إلى هذا الحد كانت منزلة الشاعر بشعره عند الخليفة المعتز.

\*\*\*

روى أن عبدالله بن المعتز، كتب وهو معتقل، إلى أستاذه أبي العباس  
أحمد بن يحيى ثعلب، الذي كان في رأى المبرد أعلم الكوفيين، كتب  
ابن المعتز إليه، يتشوقه:

ما وجد صار بالحبال موثق  
بماء مزن بـارد مصفق  
بالريح لم يكدر ولم يرنق  
جادت به أخلاف دجن مطبق  
بصخرة إن تر شمسا تبرق  
ماد عليها كالزجاج الأزرق  
صريح غيث خالص لم يمدق  
إلا كوجدى بك لكن أتقى  
يافاتحا لكل باب مغلق

وصير فيا ناقدا للمنطق  
إن قال هذا بهرج لم ينفق  
إنا على البعاد والتفرق  
لنلتقى بالذكر إن لم نلتق<sup>١</sup>

\*\*\*

فأجابه ثعلب بقوله: أخذت، أطل الله بقائك، أول هذه الأبيات مما  
أمليته عليك من قول جميل بن عبد الله بن معمر العذري، أو جميل  
بثينة:

وما صاديات حمن يوما وليلة      على الماء يخشين العصي حوانى  
كواعب لم يصدرن عنه لوجهة      ولا هن من يرد الحياض دوانى  
يرين حباب الماء والماء دونه      فهن لأصوات السقاة روانى

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢١٧-٢١٨

وجد حزن، صاد: عطشان، موثق بصيغة اسم المفعول، مربوط، مزن: جمع مزنة،  
مصفق: بصيغة اسم المفعول، أى صفقته الريح، أى لعبت به، حتى لكانه يصفق،  
يكر: يعكر، ويغير، بصيغة المبني للمجهول، يرتق: بصيغة المبني للمجهول، يكر،  
جادت: كرمت، أخلاف: اثناء يفيض منها اللبن، كأخلاف الناقة، الدجن: المطبق من  
السحاب المتراكم، مطبق: بصيغة اسم الفاعل، ماد: مال، صريح غيث: أى غيث  
صاف، لم يمدق: أى لم يمزج، يشبه الغيث القوى بالخمير الصرفة تصرع الشاربين،  
والفعل مبني للمجهول، مخلق: بصيغة اسم المفعول، الصيرفى: الحاذق فى تمييز  
النقود، جيدها، وزيوفها، ويريد به هنا البصير بنقد القول، المنطق: النطق، أى القول،  
البهرج: الباطل والردئ من الشئ، لم ينفق: لم يجر فى التعامل، أو كسد، ويقصد هنا  
النقد الأدبى.

بأكثر منى غلة وصبابة إليك ولكن العدو عرانى<sup>١</sup>  
وقال ثعلب أيضا يخاطب ابن المعتز: وأخذت آخر الأبيات من قول  
رؤبة بن العجاج الراجز البصرى.

ابنى وإن لم ترنى فإننى  
أخوك والراعى إذا استرعيتى  
أراك بالود وإن لم ترنى<sup>٢</sup>

قال ابن المعتز: فاستخفى ثعلب فى ذلك، ونسب إلى سوء الأدب.  
والشاهد هنا أن هذه مدارس شعرية لطيفة أراد بها ثعلب أن يعرف  
ابن المعتز أنه ناقد حصيف، مطلع على الشعر، يعرف دقائقه، وما  
خفى منه، لذا حين كتب إليه ابن المعتز ينشوقه بهذه المقطوعة  
الأولى، أرسل إليه ثعلب أن هذه المعانى التى ذكرها إنما قد سبق  
إليها ابن المعتز، فقد سبقه جميل بن عبد الله بن معمر العذرى، أو

---

<sup>١</sup> - زهر الأداب وثمر الألباب ٢١٨/١

صاديات: جمع صادية، وهى العطشى، حمن، حام: دار، حوانى: جمع حانية، وهى  
المنعطفة، كواعب: جمع كاعب، وهى الفتاة التى اكتملت، يصدرن: يتركن الماء،  
الحياض: جمع حوض، حباب: فقاقيع، أو نفاخات تعلق الماء، روانى: جمع رانية،  
بمعنى ناظرة، دوانى: جمع دانية، أى قريبة، العصى جمع عصا، غلة: بضم الغين،  
وتشديد اللام المفتوحة، الغليل، حرارة العطش، صبابة: بفتح الصاد، رقة الشوق  
وجرارته، عرا: غشى.

<sup>٢</sup> - زهر الأداب وثمر الألباب ٢١٨/١

استرعيتى: طلبت منى ملاحظة الشئ ورعايته، أراك بالود: أى أراك بالود، أو  
أعاملك به، والراعى: الحافظ الذى يلاحظ الشئ ويرعاه.

جميل بثينة، وذكر المبرد الأبيات التي هي الأصل في هذه المعاني،  
والتي سبق بها جميل قول ابن المعتز.  
كذلك فإن آخر أبيات ابن المعتز قد سبقه إلى معانيها روبة بن  
العجاج الراجز المشهور البصرى.  
وهكذا وجدنا نقدا رائعا، بسهولة، ودلالته على علم الناقد، وبصيرته  
الحاذقة، وحفظه الشعر، واستطاعته توجيه الحياة الأدبية توجيهها يدل  
على بصيرة بالشعر، وفهم صحيح لمعانيه، ومعرفة دقائقه.  
ووجدنا أيضا مدارس جميلة بين أحد أعلام اللغة والأدب وبين ابن  
المعتز صاحب السلطان، لكنه في الشعر كأنما يستفتى أستاذه.  
وهكذا كان النقد مسيرا للحياة الأدبية يعلى شأنها، ويطلب الجودة  
فيها.

\*\*\*

روى أن ابن المعتز قد غضب على بعض وكلائه، فصار هذا الوكيل  
إلى أبي العباس المبرد، يسأله أن يكلم ابن المعتز له، فكتب المبرد  
إلى ابن المعتز: أنت والله، كما قال مسلم بن الوليد في جدك الرشيد:



بأبى وأمى أنت ما أندى يدا      وأبر ميثاقا ومــــا أزاكا  
 يغدو عدوك خائفا فإذا رأى      أن قد قدرت على العقاب رجاكا<sup>١</sup>  
 والشاهد أن هذا الوكيل توسل بأبى العباس المبرد، حتى يكلم ابن  
 المعتزلة، فكان كلام المبرد بيتين من الشعر، ذكر المبرد أنهما قالهما  
 مسلم بن الوليد فى هارون الرشيد الخليفة العباسى الخامس، وفيها  
 المعنى الذى يقصده المبرد، فكان المبرد اختار الشاعر، والشعر الذى  
 قيل معبرا عن المعنى الذى يريد، واختار شعرا فى ممدوح هو جد  
 هذا الممدوح، فكان اختيارا موقفا.  
 والشاهد أن الشعر كان وسيلة المبرد إلى ابن المعتز، وقد نجح  
 الوكيل بنجاح المبرد فى التماس العفو من ابن المعتز.

\*\*\*

روى أن الخليفة المعتمد على الله أنشد بيتين من الشعر، يقول فيهما:  
 ليس من العجائب أن مثلى      يرى ما قل ممتعا عليه  
 وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا      وما من ذلك شئ فى يديه<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٦١.

بأبى وأمى: أى أفديك بأبى وأمى، أندى: أكثر ندى، أى عطاء، وكرما، ميثاق: عهد  
 أزاكا: أظيرك، يغدو: يعضى وقت الغدو، والمقصود منه ليس الزمن، وإنما مجرد  
 الحدث.

<sup>٢</sup> - العجائب: جمع عجيبة، مثلى: يقصد مثله فى الخلافة والسلطان، أى فى مثل  
 مكانته، تؤخذ: تنال، الدنيا: يقصد ملك الدنيا، فى يديه: فى حوزته وملكه.

والبيتان يدلان على تحسر المعتمد على ضياع ملكه، وسلطانه، فإنه الخليفة الذي يملك الدنيا كلها بحكمه، ومع ذلك، فليس تحت تصرفه، وملكه، وحوزته شيء من هذه الدنيا، وأن ما قل صار ممتعا عليه. والبيتان فيهما نفثة ألم، وزفرة حزن، وهما من شعر خليفة يقرض الشعر.

\*\*\*

روى أن الخليفة المعتضد العباسي نزل على أمد سنة ست وثمانين ومائتين من الهجرة، وكان محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ قد تحصن بها بعد وفاة والده، فوجه المعتضد شعله بن شهاب اليشكري إلى محمد بن أحمد، لأخذ الخجة عليه.

فاتصل الخبر بأب الشريف عمه محمد بن أحمد بن وأخت أحمد بن عيسى، فأرسلت إلى شعله بن شهاب، وسألته عن المعتضد، وأظهرت طاعتها، وولاءها، وسألت عن ابن أخيها محمد بن أحمد، وقالت لشعله بن شهاب: فهل لك أن ترجع إليه بكتاب؟.

فكُتبت كتابا حسنا لطيفا لابن أخيها محمد بن أحمد، أجزلت فيه الموعدة، وأخلصت فيه النصيحة، وكُتبت في آخره هذه الأبيات:

أقبل نصيحة أم قلبها وجع	عليك خوفا وإشفاقا وقل سدا
واستعمل الفكر في قولي فإنك إن	فكرت ألقيت في قولي لك الرشا
ولا تثق برجال في قلوبهم	ضغائن تبعث الشنان والحسدا

مثل النعاج خمول في بيوتهم      حتى إذا أمنوا ألفتهم أسدا  
وداو داءك والأدواء ممكنة      وإذا طبيبك قد ألقى إليك يدا  
واعط الخليفة ما يرضيه منك ولا      تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا  
واردف أبا يشكر ردها يكون له      ردها من سوء لا تشمت به أحدا<sup>١</sup>  
فأخذ شعبة بن شهاب الكتاب، وصار به إلى محمد بن أحمد، فلما نظر  
فيه، رمى به إليه، ثم قال: لرجع إلى صاحبك، يقصد الخليفة المعتضد.  
فرجع شعبة إلى الخليفة المعتضد، فسأله عن كتاب أم الشريف،  
فأظهره، فلما عرض على المعتضد أعجبه شعر أم الشريف، ثم قال:  
والله إني لأرجو أن أشفعها في كثير من القوم.  
فلما فتحت آمد، ونزل محمد بن أحمد على الأمان، وجه المعتضد  
شعبة بن شهاب إلى أم الشريف، ومعه خادم، فوجدها في جملة  
نساءها، فلما بصرت به أسفرت عن وجهها، وأنشأت تقول:

<sup>١</sup> - الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤.

وجع: بفتح الواو وكسر الجيم، متوجع: السدد: بفتح الدال الأولى، الاستقامة والصواب  
والقصد من القول والعمل، الرشد: بفتح الشين، وفتح الراء المشددة: الرشاد، ضفلقن:  
جمع ضفينة، وهي الحقة، الثنان: اليغض، نعاج: جمع نعجة، وهي معروفة في  
الضأن، وبقر الوحش، خمول: جمع خامل، وهو المباط الذي لا نياهة له، أسد: بضم  
السين، حركت لضرورة الوزن الشعري، وهي جمع أسد، الأدواء: جمع داء، وهو  
المرض، اردف: أركب خلفه، أو اتبعه، رده: عوناً أبا يشكر: تقصد شعبة بن شهاب  
اليشكري، وهو تعبير شائع عند العرب.

وعتوه كشف القناعا	ريب الزمان وصرفه
تا الصعب والبطل الشجاعا	وأذل بعد العز منـ
ت وكم حرصت بأن أطاعا	ولقد نصحت فما أطعم
لا أن نقسم أو نباعا	فأبى بنا المقدار إلـ
يوما لفرقتنا اجتماعا	ياليت شعري هل ترى

فقال لها شعله: إن أمير المؤمنين وجهنى إليك، وماذاك إلا لحسن رأيه  
فيك، فكتب إليّ كتابا يوصله إلى المعتضد، وكتبت إليه بهذه الأبيات:

وابن الخائف من قريش الأبطح	فك للخليفة والإمام المرتضى
بعد الفساد وطال ما لم تصلح	بك أصلح الله البلاد وأهلها
لولاك بعد الله لم تنزحرح	وتزحزحت به قبة العز التي
ما لا تحب فجد بعفوك واصفح	وأراك ربك ما تحب فلا ترى
هب ظالمين ومفسدين لمصلح <sup>١</sup>	يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها

<sup>١</sup> - الروض المعطار ص ٤.

ريب الزمان: حوادث الدهر، صرف الزمان: حدثاته ونوائبه، عتوه: مجاوزته الحد، والتجبر، القناع: بكسر القاف، ما تنفع به المرأة رأسها، أطفت، أطاعا: بالبناء للمجهول، وكذلك نقسم أو نباعا، المقدار: القدر، وهو ما يقدره الله من القضاء.

<sup>٢</sup> - الروض المعطو في خير الأقطار ص ٤.

المرتضى: بصيغة اسم المفعول، الخائف: جمع خليفة، قريش الأبطح من بطحاء مكة قبية: بناء معروف، وهو على المجاز هنا، تزحزحت: تباعدت، أو تحت، قبة العز: تقصد أخاها، وابن أخيها في أمد، فلا ترى ما لا تحب: أي أبعد الله عنك ما لا تحب. هب ظالمين ومفسدين لمصلح، إما أعف عن الظالمين والمفسدين من أجل المصلحين، أو أترك عقاب هؤلاء لله تعالى.

فلما عرض شعلة بن شهاب الأبيات على المعتضد أعجبتة، فأمر أن تحمل إليها تخوت من ثياب، وجملة من المال، وإلى محمد بن أحمد ابن أخيها مثل ذلك، وشغفها في كثير من أهلها ممن عظم جزمه، واستحق العقوبة.

والشاهد أن الأبيات الأولى التي كتبتها أم الشريف نصيحة غالية لابن أخيها بالطاعة، وقبول النصيحة منها، فهي أم قلبها موجه عليه خوفا وإشفاقا، فتنصحه، أن يقول السداد، وأن يستعمل الفكر في قولها، فهو إن فكر في قولها وجد فيه الرشاد، وتناه عن الثقة في رجال في قلوبهم ضغائن تبعث الحسد والبغضاء، فهم مثل النعاج في بيوتهم، حتى إذا أمنوا صاروا أسودا، وتنصحه أن يدلوى مرضه، والأدواء يمكن دواؤها، إذا ساعدك الطبيب، كما تنصحه أن يطيع الخليفة، ويطيع رسول الخليفة إليه.

ولما سأل المعتضد رسوله كتاب أم الشريف، وقراه، أعجبه شعر أم الشريف، وقال: والله، إنى لأرجو أن أشفعها في كثير من القوم، دلالة على إعجابه بشعرها.

ولما فتح المعتضد آمد، وذهب رسوله إلى أم الشريف أنشدت شعرا آخر، قالت فيه: إن ريب الزمان كشف القناع، وأذل البطل الشجاع بعد العز، وقد نصحت ابن أخي لما أطاع، مع حرصى على أن

يطيع، لكن القدر أتى إلا أن نفسم، أو نباع، وتتمنى أن ترى لفرقتهم  
اجتماعاً

وقد طهر ابن المعتضد قد حسن رأيه فى أم الشريف، لذا كتبت رسالة  
وجهتها للمعتضد، وفيها شعر تقول فيه: قل للخليفة الإمام المرتضى  
ابن الخلائف عن فريش أن الله أصلح به البلاد وأهلها بعد الفساد  
الطويل، وتزحزحت به قبه العز، ولولاه نما تزحزحت، وأن الله أراه  
ما يحب، فليجد بالعفو والصفح، ونصفه ببهجة الدنيا ويدر ملوكها،  
وتلتبس منه أن يهب الظالمين والمفسدين لمصلح.

وقد أعجب المعتضد بالأبيات، وأمر أن تحمل إليها المكافأة، وإلى  
ابن أخيها، وشفعها فى كثير من أهلها، كما رجا قبل ذلك، إعجاباً  
بشعرها، وتأثراً بموقع هذا الشعر من نفسه.

ولعل ذلك الشعر يعبر عن شعر المرأة فى هذا العصر، وقد وجهت  
أم الشريف هذا الشعر إلى المعتضد الخليفة، فنال استحسانه، ونالت  
هى مكافأتها على هذا الشعر، دلالة على مكانة الشعر، وقيمه عند  
الخليفة المعتضد العباسى.

•••



# الباب الثاني

الشعر في قصور الخليفة

العباسية





كان الخلفاء في العصر العباسي الأول يهتمون بالشعر غاية الاهتمام، كما كانوا يقدمون الشعراء في مجالسهم، ويؤثرونهم بالتكريم، ويمنحونهم الجوائز السنوية.

وسرى هذا الاهتمام من الخلفاء إلى أولادهم، وأسراهم، فكان هذا الاهتمام بالشعر والشعراء أمرا عاما في قصور الخلفاء. وليس أدل على ذلك من هذه الأمثلة التي نسوقها لتأييد رأينا هذا، ودعما لموقفنا من قضية الشعر، وتشجيع الشعراء.

•••

روى أنه خطب صالح بن علي العباسي عم السفاح والمنصور الخليفةين فقال: وبنى أقول:

أغرركم أنى بأكرم شيعنة	رفيق وأنى بالفواحش أخرق
ومثلى إذا لم يجز أحسن سعيه	تكلم نعماءه بفيها فتتطق
لعمرى لقد فاحشتتى فغلبتتى	هنيئا مريئا أنت بالفحش أرفق

ثم قال: والسيف مشهر:

حتى يبيد قبيلة ققيبلة	ويعض كل متقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسرا	يمسجن عرض نوائب الأيتام <sup>١</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفرید ٢/٣٨٤

شيعنة: أنصار، أو قبيلة، أخرق: ضد الرفيق، وهو الشديد الغليظ، فاحش: قال بالفحش، يبيد: يهلك، المتقف: بصيغ اسم المفعول، الرمح، اللهام: الرؤوس، حواسرا: كاشفات وجوههن. عرض: بضم العين، وسكون الراء: جانب وناحية، والعرض: بكسر العين

والشاهد أن صالح بن علي العباسي عم السفاح، والمنصور الخليفةين الأول والثاني في الدولة العباسية يستشهد بالشعر، مما يدل على قيمة الشعر ومكانته في بيت الخلافة العباسية.

والأبيات فيها تهديد ووعيد بالإبادة والقتل للرجال، والثكل للنساء، واليتم للأولاد.

والأبيات استطاع صالح بن علي أن يعبر بها عما أراد من التهديد والوعيد، وقد سدت الأبيات مسد الخطب الطوال، والأحاديث المفصلة، فكانت إجازا في موضعه، واختصارا بليغا لما يمكن أن يقال في مثل هذه المواقف.

فقد عبر الشعر عن رأيه أحسن تعبير، وقد صدق صالح بن علي العباسي في التعبير عما أراد، وأجاد في تعبيره ببراعة لا يخبو رونقها، ولا يخفى بريقها.

\*\*\*

روى أن عبدالله بن علي عم أبي العباس السفاح، وأبي جعفر المنصور، حضر اثنان وثمانون رجلا من بني أمية مجلسه ودخل عليه أبو محمد العبدى الشاعر.

---

وسكون الرءاء، رائحة الجسد طيبة كانت أو خبيثة، أو الجسد، نواب: جمع نؤابة، وهى الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسله، أيتام: جمع يتيم، واليتم فى الناس من قبل الأب وفى غير الناس من قبل الأم، حواسر: كاشفات عن وجوه، أو رؤوسهن، ربات: جمع ربة بمعنى صاحبة

فقال له عبدالله بن علي. أنشدني قولك:

وقف المتيم في رسوم ديار

فأنشده أبو محمد العبدى، حتى انتهى إلى قوله:

أما الدعاة إلى الجنان فهاشم      وبنو أمية من دعاة النار

من كان يفخر بالكارم والعلا      فلها يتم المجد غير فخار<sup>١</sup>

فألقي عبدالله بن علي صرة خضراء فيها خمسمائة دينار إلى أبي  
محمد العبدى.

وقال: لك عندنا عشرة آلاف درهم، وجارية، وبرنون، وغلان،  
وتخت ثياب، فوفى بذلك كله.

•••

ثم أنشأ عبدالله بن علي يقول:

حسبت أمية أن سيرضى هاشم      عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمد وإلهه      حتى يفادوا زيدها وحسينها<sup>٢</sup>

ثم أخذ قلنسوته من رأسه، فضرب بها الأرض، فأقبل الجند على بنى  
أمية فخطبهم بالسيوف والعمد.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٢/٢٠٥.

الدعاة: جمع الداعي، الجنان: جمع جنة، هاشم: جد العباسيين، الكارم: جمع مكرمة،  
المتيم: الذي تيمه الحب، رسوم: آثار، وهي مقدمة طللية غزنية.

<sup>٢</sup> - العقد الفريد ٢/٢٠٥.

أمية: بنو أمية، هاشم: بنو هاشم، زيدها: هو زيد بن علي الذي قتل وصلب في كنانة  
عنى يد بنى أمية، الحسين: هو ابن علي بن أبي طالب، ومات مقتولا على يد بنى  
أمية، يفادوا: يكونوا فداء.

وقال الكلبى الذى بينهم، وكان من أتباعهم: أيها الأمير، إبنى والله ما أنا منهم.

فقال عبدالله بن على:

ومدخل رأسه لم يدعه أحد بين الفريقين حتى بزء القرن<sup>١</sup>  
فضربوا عنقه.

فقد طلب عبدالله بن على العباسى إلى أبى محمد العبدى أن ينشده  
قه له: وقف المتيّم فى رسوم ديار، وهذا المطلب دليل على الاهتمام  
بالشعر، والإعجاب به، والرغبة فى إنشاده.

وقد طلب إنشاد قصيدة فيها مدح لبنى العباس، وذم وهجاء لبنى أمية،  
وهذا شعر سياسى يوافق عبدالله بن على العباسى.  
ثم كانت الجائزة على قدر الشعر، نظرا لارتفاع قدر الشعر عند  
العباسيين.

ثم استشهد عبدالله بن على العباسى ببئتين آخرين من الشعر السياسى  
يؤكد فيهما أن بنى هاشم لن يرضوا عن بنى أمية بعدما قتلوا حسيناً،  
وزيدا، ويقسم أن ذلك لن يحدث حتى يقتصوا لهما.

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٢٠٥/٣.

مدخل: بصيغة اسم الفاعل، بزء: غلبه وسلبه، القرن: المكافئ فى القوة، وهو بكسر  
القاف.

وكان ذلك الشعر إشارة إلى الجند لقتل بنى أمية، ولما أراد أحدهم أن يخرج نفسه من بنى أمية ذكر عبدالله بن علي العباسي بيتا من الشعر يستشهد فيه لهذا الموقف أيما استشهاد، وكان هذا الاستشهاد في موضعه مما يدل على براعته في حفظ الشعر، وفهمه، وبصره به.



وروى أن أبا دلامة الشاعر، أوصل إلى العباس بن المنصور رقعة، فيها هذه الأبيات:

قف بالديار وأى الدهر لم تقف	على منازل بين الظهر والنجف
وما وقوفك في أطلال منزلة	لولا الذى استحدثت في قلبك الكلف
إن كنت أصبحت مشعوقا بجارية	فلا وربك لا تشفيك من شغف
ولا تزيدك إلا العل من أسف	فهل لقلبك من صبر على الأسف
هذى مقالة شيخ من بنى أسد	يهدى السلام إلى العباس فى المنصف
تخطها من جوارى المصر كاتبة	قد طالما ضربت فى اللام والألف
وطالما اختلفت صيفا وشاتية	إلى معلمها باللسوح والكتف
صينت ثلاث سنين ما ترى أحدا	كما تصان ببحر درة الصندف
بينما الفتى يتمشى نحو مسجده	مبادرا لصلاة الصبح بالسندف
حانت له نظرة منها فأبصرها	مطلة بين منجفيها منن الغرف
فخر فى للترب ما يدري غدا تنذ	آخر منكشفا أم غير منكشف
وجاءه القوم أفواجا بمنهم	لينضحوا الرجل المغشى بالنطف

فوسوسوا بقران فى مسامعه  
 شيئا ولكنه من حب جارية  
 قال: لك الخير ما أبصرت؟ قلت لهم  
 أبصرت جارية محجوبة لهم  
 فقلت من أياكم والله يأجره  
 فقام شيخ بهى من تجارهم  
 فابتاعها لى بألفى أحمر فغدا  
 بتنا كذلك حتى جاء صاحبها  
 وذلك حق على زند وكيف به  
 وبين ذلك شهود لم أبال بهم  
 فإن تصلنى قضيت القوم حقهم  
 خوفا من الحن والإنسان لم يخف  
 أمسى وأصبح من موت على شرف  
 جنية أقصدتتى من بنى خلف  
 تطلعت من أعالى القصر ذى الشرف  
 يصير قوته منى إلى ضعفى  
 قد طالما خدع الأقسام بالحلف  
 بها إلى فألقاها على كتفى  
 يبغى الدنانير بالميزان ذى الكنف  
 والحق فى طرف والعين فى طرف  
 أكنت معترفا أم غير معترف  
 وإن تقل لا فحق القوم فى تلف

### ١- العقد الفريد ١/٢٠٦

الظهر والنجم: موضعان، والأخير بظهر الكوفة، وهو دومة الجندل، وبالقرب منها قبر على بن أبى طالب، استحدثت: يسكون التاء، الكلف: المحب، العل: بفتح العين وتشديد اللام، العباس هو ابن الخليفة أبى جعفر المنصور، ضربت فى اللام والألف: أى ضربتها معلمها لتتقن الخط، شاتية: أى فى وقت الشتاء، الكتف: العظم العريض يكون فى أصل كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه، لقله القراطيس، ضربت: بالبناء للمفعول صئبت: بالبناء للمفعول، نرة: لؤلؤة، الصدف: جمع صدف، بفتح الصاد والذال فيهما، السدف: بضم السين وفتح الدال، جمع سدف، وهى الظلمة، يهدى: من أهدى الرباعى، الصحف: جمع صحيفة، وهى الورقة، جوارى: جمع جارية، الغرف: جمع غرفة، منكشفا: بصيغة اسم الفاعل، أواج: جمع فوج، النطف: بضم النون المشددة، وفتح الطاء جمع نطفة، بضم النون، وسكون الطاء، وهى الماء الصافى قل أو كثر، المغشى: بصيغة اسم للمفعول، قران: يقصد القرآن، مسامعه: جمع مسنغ، وهو الأذن، شرف: بفتح الشين وضمها حافة، جنية: بتشديد النون والياء، واحدة من

فلما قرأ العباس الأبيات أعجب بها واستظرفها، وقضى عنه ثمن الجارية. والغريب فى هذه الرواية أنها تحكى قصة أبى دلامة فى الزواج بجارية ابتاعها بألفى دينار لم يدفعها، وهو مطالب بدفعها، ويعرض هذه الحكاية على الأمير، ويطلب منه قضاء حق القوم فى ثمن الجارية، وإلا تلف حفهم، ويطلب معونة الأمير فى ذلك. والغريب أيضا أن الأمير لا علاقة له بهذا العمل. وإنما عرضه عليه أبو دلامة، وهو واثق من تدخل الأمير، وحل هذه المشكلة. إن أبى دلامة حدد الثمن المطلوب، وهو ألفا دينار، وقد نالها، فقد قضى عنه الأمير ثمن الجارية، وهذا أيضا يؤكد مكانة أبى دلامة فى بلاط العباسيين.

وأقول: لعل هذه القصة كلها مختلفة من أبى دلامة، ولعلها حيلة احتالها لينال بها ما يريد من الأمير، وقد نجحت حيلته، على رغم أنها قد لا تنطلى على الأمير، ولكنه الشعر ومكانته، وقيمته، ومنزلته، وقدره عند بنى العباس، والذي يمثله فى هذه الحكاية شعر أبى دلامة.

---

الجن، الشرف: بضم أنشين المشددة، وضم الراء، جمع شرفة، ضعفى: بفتح الضاد والعين، لضرورة الوزن الشعرى، يأجوه: بفتح أ، بهى: من البهاء. تمارهم: بكسر الميم ومد الجيم المفتوحة، أحمر تويقصد الدينار الذهبى، الكف: بكسر الكاف وفتح الفاء، جفع كلمة. بكسر الكاف أيضا، زند: اسم أبى دلامة، العين: يريد به الذهب، لم يال: لا أهتد.



إن هذه الأبيات تحكى قصة شعرية بين الشاعر وهذه الجارية، وهو لون جميل برع فيه أبو دلامة، لرغبته فى تقديم الحيل التى ينال بها عطف العباسيين.

إن أبا دلامة قد تجاوز فى هذا الشعر الذى أنشده الأمير، وما كان له أن يتجاوز أمام الأمير إلى هذا الحد، لولا ما كان بينه وبين الخلفاء والأمراء من ميل إلى الدعابة، والمرح، وذلك مما يخفف من وقع هذا التجاوز الشعرى.

إن أبا دلامة فى هذه القصيدة قد سار على نظام القصيدة القديمة، حين بدأ قصيدته بالغزل، والوقوف على الديار، والأطلال مما يقوى لدينا فكرة أن الخلفاء، والأمراء العباسيين كانوا - لتقافتهم، ولديهم الذى تربوا عليه على أيدي علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقدته - من أنصار المدرسة التقليدية المحافظة فى الشعر فى العصر العباسى الأول.

\*\*\*

قالت عليّة بنت المهدي:

الأغيد الحلو الدلال	اشرب على ذكر الغزال
يا غل أبواب الرجال	اشرب عليه وقل له

١- زهر الآداب وثمر الآداب ٣/١.

وعلى هذه هي ابنة الخليفة المهدي، مما يدل على أن أولاد الخلفاء كانوا يربون على الأدب بعامة، وعلى الشعر بخاصة، وكانوا لتقافتهم الشعرية العالية يستطيعون قرض الشعر، وفي هذا إعلاء لقيمة الشعر في بلاط بنى العباس.

والعجيب أن هذا الشعر غزل رقيق، ولم يكن عيباً أن تتشد مثل هذه الفتاة شعراً في الغزل الرقيق، لأن الغزل الذي عبرت عنه قد تضمنه فن راق، وهو فن الشعر، الذي تعلق منزلته عند العباسيين، فلا عجب أن تتشده فتياتهم، ويروى عنهن، ويؤثر لهن.

والعجيب أن على بنت الخليفة المهدي قد أنشدت هذا الغزل الذي يجب أن يكون على لسان شاعر، وليس على لسان شاعرة. فهي تدعو إلى الشرب على ذكر الغزال الأغيد الحلو الدلال، أي الفتاة التي تشبه الغزال.

وتقول: اشرب عليه، وقل له: يا غل ألباب الرجال، أي صار قيذا لعقول الرجال، من جماله، أو سحره.

وهذا يمثل غزل شاعر في فائنة فنتته، لا غزل شاعرة، وكأنها تحاكي الرجال، أو تتحدث باسم الرجال، أو تتمثل بشعر الرجال، أو هو نوع من إظهار المقدرة على قول الشعر في فن الغزل، فتخرجت أن تذكر غزلاً من فتاة، فذكرت الغزل الذي يقال على لسان المحب في تغزله لمحبيبته، حتى لا تنتهم في أحد.



وكانت عليّة بنت الخليفة المهدي لطيفة المعنى، رقيقة الشعر، حسنة  
مجارى الكلام ولها ألحان حسان، وعلقت بغلام اسمه رشأ، وفيه تقول:

أضحى الفؤاد بزينا صبا كنيا متعبا

فجعلت زينب سترّة وكتمت أمرا معجبا<sup>1</sup>

فسمى الأمر إلى أخيها الرشيد، الخليفة العباسي، فأبعد الرشيد رشأ،  
وقيل: إن الرشيد قد قتل رشأ لذلك.

والعجيب أن عليّة بنت المهدي، وهي ابنة خليفة، وأخت خليفة، وهي  
من البيت العباسي تقول هذا الشعر فى الغزل، تحكى به قصتها مع  
غلام، وتكنى عن نفسها باسم زينب، ولا تتورع عن بيان حقيقة  
أمرها، حين تقول: فجعلت زينب سترّة، وكتمت أمرا معجبا.

فزينب سترّة عنها، والأمر المعجب هو أنها تتعلق بغلام، فما كان من  
الرشيد إلا أنه أبعدّه، أو قتله.

أما الأمر العبادى فهو أن الشعر كانت تَعْلُو منزلته فى دولة بنى  
العباس، حتى إن الخلفاء، وأولاد الخلفاء ينشدون الشعر، ويقرضونه.

---

<sup>1</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ٤/١؛

زينبا: المد للوصل لضرورة الوزن، وهو علم ممنوع من الصرف، الصب: المحب  
حبا شديدا، كنيا: حزينا، متعبا: بصيغة اسم المفعول، معجبا: بصيغة اسم الفاعل،  
السترّة: بفتح السين المشددة، ما سترت به من شئ، كاتنا: من كان، معجبا: أى عجبيا.

وقد أشدّت عليّة بنت الخليفة المهدي هذا الشعر على لسان الغلام، وهو يتغزل فيها، فلم تذكره، وإنما ذكرت الغزل على لسان الغلام، لا على لسانها.

إن الغزل هنا معناه أن المتغزل يبين أن فؤاده قد صار صبا كئيبا معجبا بزینب، وأن المحب قد ستر اسم محبوبته الحقيقي، وأظهر اسم زينب ستره لاسم المحبوبة الحقيقي، وكنم أمرا عجبيا. وهذا غزل يقال على لسان شاعر، وليس على لسان شاعرة، مثل عليّة ابنة الخليفة المهدي.

\*\*\*

وعليّة بنت المهدي الخليفة العباسي هي القائلة أيضا:

وضع الحب على الجور فلو أنصف المعشوق فيه لسمح  
ليس يستحسن في نعت الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج<sup>١</sup>  
وهذه أبيات في الغزل، لم تتخرج عليه بنت الخليفة المهدي، وأخت  
هارون الرشيد الخليفة أن تقرضها.  
وهذا دليل على أن أولاد الخلفاء كانوا يقرضون الشعر، حتى قرضه  
بنات الخلفاء كبنيتهم على السواء.

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ١/٤٤

الجور: الظلم، أنصف: عدل، سمج: قبح، نعت: وصف، الهوى: الحب، الحجج: جمع حجة، وهي التعلل بالأسباب.

وفى هذا أكبر دليل على قيمة الشعر فى دولة بنى العباس فى العصر العباسى الأول.

إن هذا الشعر فى الغزل يرسم طريقة الحب، إذ يبين أن الحب قد وضع على الجور، فالمعشوق أولى به أن يسمع، حتى لا يجار عليه. وذكرت قضية أخرى وهى أنه لا يستحسن فى وصف الحب عاشق يحسن تأليف الحجج، وإنما يجب أن يكون العاشق صادقاً فى حبه، مخلصاً لمحبوبته، وفيالها.

وكان علية بنت المهدي ترسم الطريقة الصحيحة إما للحب، أو التخلص منه بصدق، وصراحة، بدلا من تأليف الحجج، وتلفيق الأكاذيب.

إن تناول علية بنت المهدي، وهى من بيت الخلافة العباسية هذه القضية، أو هذا الموضوع إنما يبين بجلاء حرية الأديب فى فن الشعر فى تناول موضوعات النفس البشرية، بغير غضاضة، وإن كان ذلك التناول لا يزوق أمام بعض النقاد الذين يميلون إلى النقد المبني على الأخلاق، والقيم، والمبادئ، والمثل العليا، لكنه الفن الشعرى الذى يعبر به الشاعر بحرية عما يريد التعبير عنه، بغير خوف.

\*\*\*

وعلية بنت المهدي الخليفة العباسي هي القائلة:

يا عاذلى قد كنت قبلك عاذلا حتى ابتليت فصرت صبا ذاهلا

الحب أول ما يكون مجانية فإذا تحكم صار شغلا شاغلا  
أرضى فيغضب قاتلى فتعجبوا يرضى القتل ولا يرضى القاتلا<sup>١</sup>  
وهذه أبيات غزلية لعلية بنت الخليفة المهدي، تحكى موقف العادل،  
قبل أن يبتلى بالهوى، فيصير صبا ذاهلا، بعد ما كان عذولا لائما.  
وتحكى قصة الحب فهو أول ما يكون عبثا، حتى يتحكم، فيصير  
شغلا شاغلا للحب.

وتحكى تجربة عجيبة، فنقول: أرضى فيغضب قاتلى بالحب، وتلتمس  
التعجب من هذا الأمر، أن القتل يرضى، ولا يرضى القاتل.  
وهذا الشعر دلالة على أن بنات الخلفاء كانوا يقرضون الشعر، ولا  
يجدون غضاضة فى ذلك.

والغريب أن هذه الأبيات تدل على موقفها من حب غلام، كما تقول  
الروايات فى كتب الأدب، فهى تعبر عن موقفها، ورأيها، فنقول:  
إننى قد كنت عاذلا فابتليت بالحب، فصرت صبا ذاهلا بالحب عن  
كل شئ، فلا تلمنى، لأنك قد تخوض تجربة مثل تجربتى.  
ثم تبين كيف يقع المحب فى الهوى، فالهوى أول ما يكون عبثا، فإذا  
تحكم صار شغلا شاغلا للمحب.

---

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ١/٤٤؛

مجانية: بفتح الميم، وهى مرفوعة، لأن يكون هنا تامة، شغلا: بضم الشين، ولا  
يرضى: بضم الياء، وفتح الراء، وكسر الشين المشددة، المجانة: العبث.

وتصل إلى قضية أخرى، وهى أن المحب يرضى، فيغضب قاتله  
بالحب، وهذا أمر يدعو للعجب، أن القاتل يرضى، ولا يرضى  
القاتل، وفى ذلك ظلم، وأى ظلم.

وهذه الموضوعات التى تناولتها عليّة بنت المهدي تدل على ذوقها  
الرفيع، وأسلوبها السهل، وغزلها الرقيق، كما تدل على فهمها الشعر،  
وقرضها إياه، وثقافتها الأدبية الرفيعة.

\*\*\*

روى أنه خرج رسول عليّة بنت المهدي، أو عائشة، وكانت شاعرة،  
إلى الشعراء، وفيهم صريع الغواني فقال: تقرئكم سيدتى السلام،  
وتقول لكم: من أجاز هذا البيت فله مائة دينار.

فقال الشعراء: هاته، فأشدهم:

أبلى نوالا وجودى لنا      فقد بلغت نفسى الترقوة  
فقال صريع الغواني:

وإنى كالدلو فى حبكم      هويت إذا انقطعت عرقوه<sup>١</sup>  
فأخذ المائة دينار:

<sup>١</sup> - انعقد الفريد ٢٧/٤-٢٨

نوالا: عطاء، الترقوة: بفتح التاء، وسكون الراء، وضم القاف، وفتح الواو، العظم الذى  
بين ثغرة النحر والعاتق، ولا تضم التاء، هويت: بفتح الواو وسكون الياء، سقطت،  
وبكسر الواو مع المد، أحببت، والمعنى يطلب إلى محبوبته أن تنيله، وتجد عليه، لأن  
نفسه قد بلغت الترقوة، وكادت تفارق الجسد، فأجاز صريع الغواني بوصف نفسه  
وتعلقه بحبها كالدلو إذا انقطعت عرقوته هوى وسقط.

وهذه مساجلة شعرية بين الشعراء، دعت إليها عليّة ابنة الخليفة المهدي، تريد أن يجيزوا بيتاً من الشعر، فمن عز بز، ومن غلب سلب، فأجازه صريع الغواني مسلم بن الوليد، ونال على هذه الإجازة جائزة قدرها مائة دينار، وهي جائزة قيمة على بيت واحد من الشعر.

\*\*\*

روى أن محمد بن يزيد المبرد أنشد لعليّة بنت المهدي:

تمارضت كي أشجى ومابك علة      تريدن قتلى قد ظفرت بذلك  
وقولك للعواد كيف ترونه      فقالوا قتيلاً قلت أهون مالك  
لئن ساءتني أن نلتني بمساءة      لقد سرنى أني خطرت بيبالك<sup>١</sup>

وهي أبيات غزلية في غاية الرقة تحكي تجربة عاطفية واضحة، وإن كانت هذه الأبيات مخاطبة بين الحبيب ومحبوبته، يدعى أنها تمارضت كي يحزن، وليس بها علة، وإنما تريد قتله، وقد ظفرت بذلك القتل، وقولها لعوادها سائلة عنه: كيف ترونه، فيجيبونها: إنه قتيل، فتقول: أهون مقتول.

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٥/٢

تمارضت: ادعت المرض، أشجى: أحزن، علة: مرض، العواد: جمع عائد، وهو زائر المريض، وتاء الضمير في تمارضت مكسورة، وكذلك كاف الضمير في: بك، وكذلك تاء الضمير في: ظفرت، وكاف الخطاب في: وقولك، وتاء الضمير في: قلت، وكذلك التاء في نلتني.



ثم يقول: لئن ساعنى أنك اسأت إلى بالقول، فقد سرنى أمر آخر  
غريب، وهو أنى خطرت ببالك، فسألت عنى، حتى لو كنت قلت:  
أهون هالك، ونلتنى بمساءة.

ومن العجب أن هذه الأبيات الغزلية تصدر عن مثل علية ابنة الخليفة  
المهدى، وهى من ربيت فى بيت الخلافة العباسية.

\*\*\*

روى أن خالدا الكاتب قال: جاعنى يوما رسول إبراهيم بن المهدي  
الخليفة العباسى، فصرت إليه، فرأيت رجلا أسود على فرش، قد  
غاص فيها، فاستجلسنى، وقال: أنشدنى من شعرك، فأنشدته:

رأت منه عيني منظرين كما رأت من الشمس والبدر المنير على الأرض  
عشية حياني بورد كأنسه خدود أضيفت بعضهم إلى بعض  
وناز عنى كأسا كان حبابها دموعى لما صد عن مقلتى غمضى  
وراح وفعل الراح فى حركاته كفعل نسيم الريح بالغصن الغض<sup>١</sup>

فزحف إبراهيم بن المهدي، حتى صار فى تلتى الفراش، وقال:  
يافتى، شبهوا الخدود بالورد، وأنت شبهت الورد بالخدود، زدنى.

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ١٥٨/٢

التحية بالورد كانت معروفة عند العرب، غمضى: نومي، صد: أعرض، راح: خمر،  
الغض: الناضر، عشية: أى وقت العشية، الكأس: إناء، ولا يسمى كأسا إلا وفيه  
الشراب، أما قبل ذلك فهو قدح، الحباب: بفتح الحاء معظم الماء، وقيل: نفاخات تعلق  
الخمر، وهى اليعاليل، المقلة: شحمة العين التى تجمع البياض والسواد.

فأنشده خالد الكاتب:

عابت نفسي في هوا      ك فلم أجدها تقبل  
وأطعت داعيتها إلي —      ك فلم أطع من يعذل  
لا والذي جعل الوجو      ه لحسن وجهك تمثل  
لا قلت إن الصبر عن      ك من التصابي أجمل<sup>١</sup>

فزحف إبراهيم بن المهدي، حتى انحدر من الفرش، ثم قال لخالد الكاتب: زدني.

فأنشده خالد الكاتب:

عش فحبيك سريعاً قاتلي      والضنى إن لم تصلني وأصلي  
ظفر الحب بقلب دنف      فيك والسقم بجسم ناحل  
فهما بين اكتئاب وضنى      تركاني كالقضيب الذابل  
وبكى العاذل لي من رحمة      فبكائي لبكاء العـاذل<sup>٢</sup>

فنعر إبراهيم بن المهدي، وقال: يا بليق، كم معك لنفقتنا؟  
قال: ثمانمائة وخمسون ديناراً.

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ٢/١٥٨

هواك: حبك، داعيتها: حبها لك، يعذل: يلوم، تمثل: تقف أمامه، التصابي: الميل إلى الجهل والفتوة.

<sup>٢</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ٢/١٥٨-١٥٩

عش: أمر الغرض منه الدعاء، حبيك: مد لضرورة الوزن، الضنى: المرض، دنف: بفتح الدال، وكسر النون، مريض، السقم: المرض، ناحل: نحيف، فهما: أي القلب والجسم، اكتئاب: حزن وغم، القضيب: العود الذابل: الجاف اليابس، العاذل: اللاتم، رحمة إشفاق.

قال إبراهيم بن المهدي: أقسمها بيني وبين خالد، فدفع إليه نصفها.  
والعجيب أن إبراهيم بن المهدي هو الذي أرسل الرسول إلى خالد  
الكاتب يطلبه بالمجئ إليه، ويستنشه من شعره، فينشده خالد الكاتب  
شعرا في الغزل يبين فيه أنه رأى منه منظرين كالشمس، والبدر  
المنير على الأرض، وأنه حياه بورد كخود أضيف بعضها على  
بعض، وأنه نازعه كأسا وصف حبابها بدموعه لما صد الغمض عن  
عينيه، كما نازعه الخمر، وكان يتمايل بفعل الخمر كما يتمايل  
الغصن الغض بفعل نسيم الريح.

وبرغم كون هذه الأبيات في الغزل إلا أن إبراهيم بن المهدي  
استحسنها حتى زحف، وصار في ثلث الفراش، وأعجب بتشبيهه  
الورد بالخد، وطلب منه أن يزيده في الإنشاد.

فأنشده خالدا الكاتب أبياتا في الغزل العفيف أيضا، يقول فيها: إنه  
عاتب نفسه في هواها فلم يجد نفسه تقبل العتاب، وأطاع داعي نفسه  
إليه، ولم يطع العاذل، ثم يقسم بالذي جعل الوجوه تمثل لحسن وجهه  
أنه لا يقول: إن الصبر عنه أجمل من التصابي.

والعجيب أن هذه الأبيات استحسنها إبراهيم بن المهدي حتى زحف،  
وانحدر من الفراش، وطلب إلى خالدا الكاتب أن يزيده.

فأنشده شعرا آخر في الغزل أيضا يقول فيه: عش فحبك قاتلي  
سريعا، والضنى إن لم تصلني يصلني، ظفر الحب بقلب مريض بك،

والسقم ظفر بجسم ناحل، فقد تركنى الحب والسقم بين حزن وتعب  
كالقضيب الجاف، حتى بكى العاذل من أجلى رحمة بي، فأنا أبكى  
لبكاء العاذل شفقة عليه وعلى نفسه.

فاستحسن إبراهيم بن المهدي هذه الأبيات، ومنح خالدًا الكاتب نصف  
نفقته البالغة ثمانمائة وخمسين دينارًا.

وهكذا كان حب إبراهيم بن المهدي الشعر، وتنجيع الشعراء.

\*\*\*

روى أن إبراهيم بن المهدي رثى الرشيد بعد موته بقوله:  
ذكرت أخى هارون وهو ببلدة تكلفها شهر وأوبتها شهر  
بطوس ومن تكتب بطوس وفاته يطل من أخلاء الصفاء له الهجر  
كملت فلما صرت للأرض زينة أفلت من الدنيا كما يأفل البدر  
فما الخير بالمأمول ما هبت الصبا ولا الشر بالمأمون ما برق الفجر<sup>١</sup>  
وهذه نفثة مصدور حزين يرثى الرشيد الخليفة العباسي، فيقول في  
رثائه: إنه ذكر أخاه هارون، وهو ببلدة مات فيها، وهى طوس السفر

<sup>١</sup> - الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٠٠

إبراهيم هو ابن الخليفة المهدي، تكلفها: مصدر، يقصد تكلف مشقة السفر إليها، أوبتها: العودة منها، أخلاء: إخوان، الصفا: الود، أفلت: غبت، يأفل: يزول، الصبا: بفتح الصاد المشددة: ريح، ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، ويقابنها الدبور.

إليها مسيرة شهر، والعودة منها مسيرة شهر، ومن يمت بطوس  
يهجر من أخلاء الصفاء.

ثم يدعى أنه كمل حتى صار زينة للأرض وقد أقل من الدنيا ورحل  
عنها، كما يأفل البدر، ثم يبين أن الخير ليس بالمأمول ما هبت ريح  
الصبا، وليس الشر بالمأمون ما برق الفجر، أى ليس الخير بالمأمول،  
ولا الشر بالمأمون فى الدنيا.

وإبراهيم هو ابن خليفة، وقد قال هذا الشعر مما يدل على تقديره  
لدولة الشعر فى عصر العباسيين.



روى أنه لما رضى المأمون الخليفة العباسى عن إبراهيم بن المهدي،  
أمر به، فأدخل عليه، فلما وقف إبراهيم بين يدي المهدي قال:

ذنبى إليك عظيم      وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا      فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن فى فعالى      من الكرام فكنه<sup>١</sup>

ودار بينهما حديث انتهى إلى عفو المأمون عن إبراهيم بن المهدي.

<sup>١</sup> - زهر الآداب وشر الأتياب ١٧٥/٢.

فكنه: أى كن فى فعالك من الكرام، أو كن أنت الكريم، عظيم: شديد، أعظم منه: أقدر  
على العفو عنى، بحقك: بالعدل، بفضلك: تفضلتك، فعالى: أعمالى، الكرام: جمع كريم،  
وهو كريم العنصر، والأصل، أو كريم الصفات والطباع.

ثم أمر الخليفة المهدي برد ضياع إبراهيم بن المهدي، وأمواله، فقال  
إبراهيم.

رددت مالي ولم تبخل على به      وقبل رذك مالي قد حقنت دمي  
وقام علمك بي فاحتج عندك لي      مقام شاهد عدل غير متهم  
فلو بذلت دمي أبغى رضاك به      والمال حتى أسل النعل من قدمي  
ما كان ذاك سوى عارية سلفت      لو لم تهبها لكنت اليوم لم تلم<sup>١</sup>  
ومنها قوله:

فأين منك وقد جللتني نعما      هي الحياتان من موت ومن عدم  
البر بي منك وطى العذر عندك لي      فيما أتيت فلم تعتب ولم تلم  
وقام علمك بي يحتج عندك لي      مقام شاهد عدل غير متهم<sup>٢</sup>  
والأبيات الأولى من إبراهيم بن المهدي استعطف يستعطف بها  
المأمون الخليفة العباسي، ليصفح عنه، ولينال رضاه.

فاعترف بأنه اقترف ذنبا عظيما، لكن الخليفة أعظم من هذا الذنب،  
وأقدر على العفو عنه، فإما أن تأخذ بحقك قصاصا، أو تصفح

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٧٦.

حقن دمه: أصلها: حبس دمه في العروق، ومنعه أن يسيل، والمقصود لم يقتله، شاهد  
عدل: صدق، أسل: أخلع، عارية: وديعة، وأمانة، والياء هنا مشددة، سلفت: سبقت،  
متهم: بصيغة اسم المفعول، لم تلم: بالبناء للمجهول.

<sup>٢</sup> - العقد الفريد ٣/٩٩.

جللتني: ألبستني الجل، وطى: مهد، عدل: غير مجرح.

بفضلك عنى، فإبنى إذا لم أكن فى فعالى من الكرام، فكن أنت الكريم فى فعالك، واصفح عنى.

والأبيات استعطاف صادف موقعة من نفس المأمون الخليفة العباسى، استطاع بها إبراهيم أن يؤثر فيه تأثيرا شديدا بالشعر الذى جعله وسيلة إلى استرضاء المأمون عنه، فما كان من المأمون إلا أن عفا عنه، ونجحت وسيلة إبراهيم إلى الخليفة، ونجحت معها بغيته.

ولم يقتصر الأمر على عفو المأمون عن إبراهيم بن المهدي، وإنما زاد على ذلك برد ضياعه وأمواله، فكان ذلك العفو وهذا التقدير دافعين لإبراهيم بن المهدي لرد هذا الجميل بإنشاد شعر آخر، قال فيه مخاطبا المأمون: رددت مالى على، ولم تبخل به، وحققت دمي قبل ذلك، وكان علمك بى حجة لى عندك، وشاهد عدل غير منهم، فلو بذلت دمي أبغى به رضاك، ومالى كذلك حتى أسل النعل من قدمي، أى جميع مالى ما كان ذلك إلا عارية سلفت وهبتها لى، ولو لم تكن قد وهبتها لى ما كنت تلام.

والأبيات تعبير عن الشكر والثناء والمدح لما صنع به المأمون، وقد أجاد فيها إبراهيم بن المهدي، وقد بدأها بالاعتراف بالجميل، وختمها بأنه لا يستطيع رد هذا الجميل مهما بذل، نظرا لعظم قدر هذا الجميل.

وقد أحسن إبراهيم بن المهدي حين جعل الشعر وسيلته إلى المدح،  
فصادف هذا الشعر هوى في نفس المأمون.

\*\*\*

ثم أنشد إبراهيم بن المهدي أبياتاً يقول فيها أين منك، وقد جللتني  
بنعمك التي هي الحياتان: من موت، ومن عدم، فالبر بي منك،  
وقبول عذري فيما أتيت، فلم تعتب علي، ولم تلمني، وقد تكرر البيت  
الأخير.

وهكذا كان شعر إبراهيم بن المهدي، وهو من بيت الخلافة العباسية.

\*\*\*

وكتب إبراهيم بن المهدي: فكنت فيما كان منك ومنا، كما قال زهير  
بن أبي سلمى:

وذي خطل في القول يحسب أنه مصيب فما يلجم به فهو قائله

عبأت له حلماً وأكرمت غيره وأعرضت عنه وهو باد مقاتله<sup>١</sup>

والبيتان يستشهد بهما إبراهيم بن المهدي على موقفه، وموقف الخليفة  
المأمون منه، وهو استشهدا صادف موضعه يقول فيه: رب صاحب  
خطأ في الكلام، أو كثرة فيه يحسب أنه مصيب في قوله، فهو قائل

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٥١/٣

خطل: كثرة الكلام، والخطأ فيه يلجم به: ما حضره من شيء، عبأت: جمعت، أو هيات،  
ولو شئت أصبت مقاتله، وأكرمت غيره: أي أكرمت نفسي بإعراضي عنه، أو أكرمت  
بحلمي وعفوي عنه غيره ممن راعيت حقه فيه، باد مقاتله: مقاتله ممكنة ظاهرة لي.



فى كل ما يحضره من الكلام، كنت عليه ذا حلم، وأكرمت غيره  
بحلمى عليه، وأعرضت عنه، وعفوت، وصفححت بينما مقاتله  
واضحة لى، ومن السهل استغلالها، وهذا دليل على معرفة إبراهيم  
ابن المهدي الشعر القديم.

\*\*\*

روى أن رجلاً أنشد زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور، وقال:

أزبيدة ابنة جعفر      طوبى لزانك المثاب

تعطين من رجلك ما      تعطى الأكف من الرغاب<sup>1</sup>

فوثب إليه الخدم يضربونه، فمنعتهم من ذلك زبيدة، وقالت: أراد  
خيراً وأخطأ، وهو أحب إلينا ممن أراد شراً، فأصاب.

سمع قولهم: شمالك أندى من يمين غيرك، فظن أنه إذا قال هكذا كان  
أبلغ، أعطوه ما أمل، وعرفوه ما جهل.

والشاهد أن هذا الشاعر أنشد زبيدة هذين البيتين، فنقده الخدم دلالة  
على بصرهم بالشعر، ووثبوا إليه يضربونه، فمنعتهم زبيدة من ذلك،  
واعترضت عنه، وأنت بالمبرر الذى يدافع عن قوله، مع أنه أخطأ فى  
التعبير عما يريد حين ذكر معنى رأى الخدم أنه معنى قبيح، وذلك

<sup>1</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ٦٥/٢-٦٦

طوبى: حسنى وخير، وطوبى الجنة المثاب: اسم مفعول من أثاب، الرغاب: بكسر  
الراء المشددة، رغاب: بكسر الراء، جمع رغبة، أى ما يرغب فيه، ويراد، أزبيدة:  
منادى بالهمزة.

دلالة على بصيرة نافذة في الشعر، ولما تعلت زبيدة لقول الشاعر  
دل ذلك على روعة فهمها الشعر، وأنت بمبرر يدل على فهم رائع  
للشعر حين قالت: إنه قال: إنها تعطي من رجليها ما تعطي الأُكف،  
من الرغاب، وذلك حين سمع قولهم: شمالك أُندي من يمين غيرك،  
فكان ذلك مدعاة لقوله: إنها تعطي من رجليها ما تعطي الأُكف،  
وكان ذلك تعليلاً جميلاً لقول الشاعر دفاعاً عنه.

\*\*\*

أنشد مروان بن أبي حفصة أبياتا، ورفعها إلى السيدة زبيدة ابنة  
جعفر، يمدح ابنها محمدا الأمين بن هارون الرشيد، وفيها يقول:

الله درك يا عقيلة جعفر      ماذا ولدت من العلا والسود

إن الخلافة قد تبين نورها      للناظرين على جبين محمد<sup>١</sup>

فأمرت السيدة زبيدة أن يملأ فم مروان درا.

وهذه رواية تدل على مدى اهتمام بيوت الخلافة العباسية بالشعر،  
فحين أنشد مروان بن أبي حفصة هذين البيتين، ورفعهما إلى السيدة  
زبيدة في مدح ابنها الأمين، أمرت أن يملأ فم مروان درا.

---

<sup>١</sup> - انعقد الفريد ١/٣٦٢-٣٦٣، شعر مروان بن أبي حفصة ص ٤١.  
الله درك: أسلوب يتعجب به يدل على المدح، العقيلة: المصونة الكريمة المخدرة،  
ويقصد هنا أن أباهما قد صانها، السود: أي السود، وسهل الهمزة تخفيفاً، جبين:  
جبهة.

إلى هذا الحد كانت قيمة الشعر فى أسر العباسيين، يهتمون به،  
ويمنحون الشعراء على إنشاده.

وقد أنشد مروان هذين البيتين يتعجب فيهما من السيدة زبيدة لولادة  
ابنها الأمين الذى يمثل العلا والسودد، والذى يظهر نور الخلافة  
للناظرين على جبينه.

هكذا كانت قيمة الشعر فى بلاط العباسيين.

\*\*\*

روى أنه لما قتل المأمون الخليفة العباسى اخاه محمدا الأمين، وهو  
ابن زبيدة، أرسلت أمه زبيدة ابنة جعفر إلى أبى العتاهية يقول أبياتا  
على لسانها للمأمون.

فقال أبو العتاهية على لسان زبيدة أم الأمين العباسى.

ألا إن ريب الدهر يدنى ويبعد      ولدهر أيام تدم وتحمّد  
أقول لريب الدهر إن ذهب يد      فقد بقيت والحمد لله لى يد  
إذا بقى المأمون لى فالرشيد لى      ولى جعفر لم يهلكا ومحمّد<sup>١</sup>

\*\*\*

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٧٨/٢

ريب الدهر: صرفه، ونكبته، ومصيبته، تدم وتحمّد: بالبناء للمجهول، يد: قدرة،  
والمراد ابنا الأمين اليد الأولى، والمأمون اليد الثانية، الرشيد: الخليفة العباسى، جعفر  
بن أبى جعفر المنصور، محمّد: أى الأمين.

وكتبت زبيدة أيضا إلى المأمون تقول:

لخير إمام قام من خير معشر  
وأكرم سام على عود منبر  
كتبت وعيني تستهل دموعها  
إليك ابن يعلى من جفوني ومحجري  
فجعنا بأدنى الناس منك قرابة  
ومن زل عن كيدي فقل تصبري  
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا  
وما طاهر في فعله بمطهر  
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسرا  
وأنهب أموالى وخرب أدورى  
وعز على هارون ما قد لقيته  
وما نابنى من ناقص الخلق أعور<sup>١</sup>  
فلما نظر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحباء جزيل، وكتب إليها  
يسألها القدموم عليه، فلم تأته فى ذلك الوقت، وقبلت منه ما وجه إليها.  
فلما صارت إليه بعد ذلك قال لها المأمون: من قائل الأبيات؟

قالت زبيدة: أبو العتاهية؟

قال المأمون: وكم أمرت له؟

قالت: عشرين ألف درهم.

قال المأمون: وقد أمرنا له بمثل ذلك، واعتذر إليها من قتل أخيه  
محمد الأمين، وقال: لست صاحبه، ولا قاتله.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٧٨/٢-١٧٩

معشر: عشيرة، أو قوم، سام: عال، أو صاعد، عود منبر: أى خشب منبر، تستهل: تبندر، محجر: بفتح الميم، وكسر الجيم، ما يبدو من النقاب، جفوني: جمع جفن، زل: سقط، تصبرى: صبرى، مطهر: بصيغة اسم المفعول، نقى، حاسرا: كشفت الوجه، أو أعيت، أو كل بصرها وانقطع نظرها من طول مدى، أدورى: جمع دار، هارون: تقصد الخليفة هارون الرشيد، ناقص الخلق أعور: تقصد طاهر قائد جيش المأمون.

قالت زبيدة: يا أمير المؤمنين، إن لكما يوما تجتمعان فيه، وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله.

هذه الرواية تدل على قدر الشعر في بلاط العباسيين، فحين قتل المأمون الخليفة بن هارون الرشيد أخاه الأمين فجعت أم الأمين، وأرسلت إلى أبي العتاهية ليقول شعرا على لسانها ترسله للمأمون، لأنها مشغولة بمصيبتها في ابنها الأمين، فأنشد أبو العتاهية شعرا على لسانها تقول فيه للمأمون: إن صروف الدهر تدنى وتبعد، وأيام الدهر تدم وتحمد، فالدهر لا يبقى على حال أبدا، وإنى أقول لصروف الدهر إن ذهبت يد لي بموت الأمين، فقد بقيت والحمد لله لى يد غيرها ببقاء المأمون، فبقاء المأمون بقاء للرشيد زوجها، وجعفر أبيها، ومحمد الأمين ابنها.

وكتبت أيضا إلى المأمون تقول: كتبت لخير إمام من خير معشر، وأكرم سام على عود منبر، وعيني تسيل دموعها، فقد فجعنا بأخيك أدنى الناس قرابة منك، الذى سقط عن كبدى فضاع صبرى، وأتى طاهر قاتله، وتدعو عليه: لا طهر الله طاهرا، وليس طاهر بمطهر فى فعله، فأظهرنى مكشوفة الوجه، ونهب مالى، وخرب دورى، وذلك يعز على أبيك هارون الرشيد ما قد لقيت، وما نابنى من هذا الناقص الخلق الأعور.

فلما نظر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحباء جزيل، وكتب إليها يسألها القدوم عليه، فلما صارت إليه سألها عن قائل الأبيات، فأخبرته أنه أبو العتاهية، فسألها عما أعطته، فلما ذكرت أنها منحتة عشرين ألف درهم أمر لأبي العتاهية بمثلها.

وذلك يدل على مكانة الشعر عند العباسيين فقد منحت السيدة زبيدة، والخليفة المأمون أبا العتاهية الشاعر أربعين ألف درهم على هذه الأبيات من الشعر، وذلك يدل على ما بلغ الشعر من مكانة في العصر الأول من الخلافة العباسية.

\*\*\*

وروى أن محمد بن هارون الرشيد، وهو محمد الأمين تزوج لبانة بنت ريطة، فقتل محمد الأمين عنها، ولم يبين بها، فقالت ترثيه:

أبكىك لا للنعيم والأنس	بل للمعالي والرمح والفرس
يا فارسا بالعراء مطرحا	خانتته قواده مع الحرس
أبكى على سيد فجعت به	أرملنى قبل ليلة العرس
أم من لبر أم من لفائدة	أم من لذكر الإله فى الغلس
من للحروب التى تكون بها	إن أضرمت نارها بلا قبس <sup>١</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٨٦/٢

مطرحا: بصيغة اسم المفعول مطروحا، أو ملقى، الغلس: بفتح الغين واللام، ظلمة آخر الليل، المعالي: جمع معلاة، وهى كل ما يعلى من قدر الإنسان فى الرفعة والشرف، العراء: بالمد، الفضاء لا ستر به، أرملت المرأة: مات عنها زوجها، ليلة

والشاهد هنا أن هذا الشعر لزوجة الأمين الخليفة العباسي ترثى به زوجها بعد قتله، تقول: أبكيك للمعالي التي خصصت بها، وللرمح والفرس، أي لشجاعتك، أي أبكي للشجاعة من بعدك، فمن للشجاعة بعد قتلك، ثم تندبه: يا فارسا مطرحا بالعراء خانه قواده وحرسه، ثم تعلن بكاءها على هذا السيد الذي فجعت به، والذي أرمها قبل الدخول بها، ثم تندب من بعده البر والفائدة وذكر الله في ظلام الليل والحروب التي كان يضرم نارها بغير قبس. وهذه بكائية من امرأة عبرت بها عن مشاعرها أصدق تعبير.

\*\*\*

روى أن أبا عكرمة، والمشدود المغنى حضرا مجلسا لأبى عيسى بن المتوكل، ووجدا فى المجلس زينا ودبيسا، المغنيين، وسقتهم جارية شرابا فى كأس، فقال أبو عكرمة:

ما أشبه هذا بقول إبراهيم بن المهدي، يصف جارية بيدها خمر، تقول:

حمراء صافية فى جوف صافية يسعى بها نحونا خود من الحور

حساء تحمل حسناوين فى يدها صاف من الراح فى صافى القوارير<sup>١</sup>

---

العرس: ليلة الزواج، والعرس: بضم العين وسكون الراء طعام الوليمة، والعرس: بكسر العين وسكون الراء، امرأة الرجل، البر: الخير، فائدة: نفع، أضمرت نارها التهب، قبس: شعلة من نار، العلس: ظلمة آخر الليل.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٢٨

حمراء صافية: يقصد الشراب، أو الخمر، صافية الثانية: الكأس، الحور: جمع الحوراء، وهى من الحور، وهو شدة بياض البياض وسواد السواد من العين، مع

فالاستشهاد بالشعر الذى استشهد به أبو عكرمة فى مجلس أبى عيسى ابن المتوكل، مع حضور زنين، ودببى المغنيين له دلالة كبيرة على الاحتفاء بالشعر، وتقديره حق قدره فى عصر بنى العباس. كذلك فإن حضور زنين، ودببى، وهما أشهر مغنيين فى العصر العباسى مجلس أبى عيسى بن المتوكل له دلالة على الاهتمام بالشعر، إذ هو مادة الغناء.

هذان البيتان اللذان استشهد بهما أبو عكرمة على الموقف الذى وجدوا فيه هما لإبراهيم بن المهدي، فى وصف جارية بيدها خمر، فهو شعر لأحد أبناء أحد الخلفاء العباسيين.

إن الوصف الذى وصفه إبراهيم بن المهدي جارية فى يدها خمر يدل على براعته فى الشعر، فقد وصف الخمر بأنها حمراء صفراء، وهو لون الخمر كما يظهر من أوصاف الشعراء الخمر فى خمرياتهم، ووصف الكأس بالصفاء، ووصف ساقية الخمر التى تسعى نحوهم بها بأنها فتاة ناعمة حسنة الخلق فى عينيها حور، وهى حسناء تحمل فى يدها حسناوين هما: الخمر الصافية، والقوارير الصافية.

---

سمعتها واستداتها، حسناء: يقصد الجارية، حسناوين: يقصد الكأس والخمر، الراح: الخمر، القوارير: جمع قارورة، وهى وعاء من الزجاج تحفظ فيه السوائل، خود: بفتح الخاء وسكون الواو: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، وجمعها خود: بضم الخاء



وعلى رغم هذا الغرض الذى يبدو من وراء هذين البيتين، وعلى رغم عدم إيماننا بذلك إلا أننا نعدّها براعة من أحد أبناء الخلفاء العباسيين.

\*\*\*

روى أن أحمد بن سعيد كان يؤدّب عبدالله بن المعتز، الخليفة العباسى، فتحمل البلاذرى على قبيحة، زوج المعتز، وأم ابن المعتز، بقوم سألوها أن تأذن للبلاذرى أن يدخل على ابن المعتز، ابنها، وقتاً من النهار، فأجابت، أو كادت تجيب.

فلما اتصل الخبر بابن سعيد جلس فى منزله غضبان، لما بلغه عن قبيحة، بالإذن للبلاذرى فى تعليم ابنها، ابن المعتز، وتهذيبه.

فكتب ابن المعتز إلى ابن سعيد، وله ثلاث عشرة سنة:

أصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة	عما يقصر من يحفى وينتعل
سربلتى حكمة قد هذبت شيمى	وأجبت نار ذهنى فهى تشتعل
أكون إن شئت قسا فى خطابته	أو حارثا وهو يوم الحفل مرتجل
وإن أشأ فكر زيد فى فرائضه	أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل
أو الخليل عروضيا أخا فطن،	أو الكسائى نحو يا له علال
تعلو بداهة ذهنى فى مراكبها	كمثل ما عرفت آبائى الأول
وفى فمى صارم ما سله أحد	من غمده فدرى ما العيش والجدل

عقبك شكر طويل لا نفاذ له      يبقى بجدته ما أطت الإبل<sup>١</sup>  
وهذه المقطوعة كتبها ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة، ونحن نعلم  
أن ابن المعتز من أعلام الشعراء في القرن الثالث الهجري، وهو ابن  
خليفة، وقد تولى الخلافة لليلة واحدة.

يقول: أصبحت صديق مكرمة عما يقصر الناس، فقد ألبستى حكمة  
هذبت أخلاقي، وأجبت تفكيري وذهنى، فصرت أستطيع أن أكون  
مثل قس في الخطابة، أو الحرث بن حلزة في شعره المرتجل، أو  
زيد بن ثابت الأنصارى في علم الميراث، أو أبى حنيفة في الفقه، أو  
الخليل بن أحمد في العروض، أو الكسائى في النحو، وقد علت بداهة  
ذهنى كأبائى الأولين، ولسانى صارم مسلول من الغمد، والعقبى أننى  
أشكرك شكرا طويلا لا نفاذ له، يبقى جديدا ما بقيت الإبل تصوت،

<sup>١</sup> - زهر الآداب وثمر الألباب ٢٦٧/٢

ابن سعيد: عالم كان يودب عبدالله بن المعتز، عاش في القرن الثالث الهجري، خدن:  
بكسر الخاء، وسكون الدال، صديق، مكرمة: واحدة المكارم، يحفى: لا يلبس نعلا،  
ينتعل: يلبس نعلا، سربلتى: ألبستى، والمعنى ألبسه السربال، وهو القميص، شيم:  
جمع شيمة بمد الشين، وهى الطبيعة، والسجية، والخلق، أجاج: أشعل، ألهب النار،  
قس هو ابن ساعدة الإيادى، وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم شعره، وعجب منه،  
حارث، هو الحرث بن حلزة الشكرى، وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته التى أنشدها  
بحضرة عمرو بن هند، زيد، هو زيد بن ثابت الأنصارى، الذى انتهى إليه علم  
الفرائض، نعمان هو أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه، سبق أهل العراق فى الفقه،  
الخليل هو ابن أحمد الفرهودى، أو الفراهيدى مبتكر علم العروض، الكسائى، هو على  
بن حمزة الكسائى، صارم: يقصد اللسان الذى يشبه السيف، سله: أخرجه من الغمد،  
أطت الإبل، بفتح الهمزة، وتشديد الطاء المفتوحة، صوتت، جدته: كونه جديدا.

أى تحيا. وهذا كله شعر لأحد أبناء الخلفاء العباسيين دلالة على قيمة الشعر عندهم.

وهذه رسالة كتبها ابن المعتز إلى أستاذه أحمد بن سعيد شعرا عبر فيها عما يريد التعبير عنه ببراعة.

\*\*\*

روى أن المشدود، وزيننا، ودبيسا المغنين، ولم يكن فى زمان العصر العباسى الأول أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء، حضروا مجلسا لأبى عيسى بن المتوكل، ومعهم أبو عكرمة. فأنشأ المشدود يغنى :

لما استقل بأرداف تجاذبه      واخضر فوق حجاب الدر شاربه  
وتم فى الحسن والتأمت محاسنه      ومازجت بدعائها غرائبه  
وأشرق الورد فى نسرين وجنته      واهتز أعلاه وارتجت حقائبه  
كلمته بجفون غير ناطقة      فكان من رده ما قال حاجبه<sup>١</sup>

وهذه الأبيات من الشعر التى غنى بها المشدود أبيات فى الغزل، ولا أدرى أهى غزل فى مؤنث، أم غزل فى مذكر؟

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٢٩

أرداف: جمع ردف، وهو الكفل، بفتح الكاف واللام، والمعز، بفتح العين، وضم الجيم، تجاذبه: تشاركه الجذب من الأمام والخلف، اخضر: اسود، الدر اللؤلؤ، شاربه: أى موضع الشارب، التأمت: انتلفت، محاسنه: جمع محسن، وهو مكان الحسن، حقائبه: جمع حقيبة، وهى العجيزة، نسرين: مشموم معروف، فارسى معرب، أو هو ورد أبيض قوى الرائحة، واحدته نسرينة، جفون: جمع جفن، وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها، الحاجب: العظم فوق العين بالشعر واللحم.

لكن المعنى على أية حال وصف للأرداف ومجاذبتها الجسم لضخامتها، وسواد الشارب، وهنا من الممكن أن نقول إنه شعر فى الغزل بالمذكر، وتمام الحسن، والتئام المحاسن، وممازحة الغرائب، وإشراق الورد فى الوجنة، حتى صارت حمراء كالورد، واهتزاز أعلاه، وارتجاج عجيزته.

يقول الشاعر: لما حدث ذلك كله كلمته بجفون غير ناطقة، أى بالرمز، فكان رده ما قال الحاجب بالرمز أيضا، وهى كلها معان فى الوصف والغزل.

والأبيات تحكى دلال المحبوب، وتمنعه، وعدم أكثراته، مع بيان سبب ذلك، وهو جماله وحسنه، فهو يذكر فعل المحبوب، ويعلل لهذا الفعل.

\*\*\*

ثم غنى زنين بالوزن والقافية نفسيهما:

الحب حلو أمرته عواقبه	وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعنى	يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى	ارفق بقلبك قد عزت مطالبه <sup>١</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/ ١٢٩

أمرته: جعلته مرا، عواقبه: جمع عاقبة، وهى النتيجة أو الخاتمة، صب: رقيق الشوق حاره، ذائب: مذوب، الطرف: العين، ساكبه: صابه ومنسكبه، يهتف: ينادى، أو يدعو، أو يصرخ، ارفق: من الرفق، وهو اللين والشفقة، عزت: بعدت، وامتنعت، واستعصت، وندرت.

\*\*\*

وغنى أيضا بوزن آخر مع القافية نفسها:  
وعاتبته دهرا فلما رأيتَه إذا إزداد ذلا جانبي عز جانبه  
عقدت له في الصدر منى مودة وخليت عنه مبهما لا أعاتبه<sup>١</sup>  
والأبيات الأولى لزنين يقول فيها: الحب حلو أما عواقبه فهي مرة،  
وصاحب الحب رقيق الشوق، ذائب القلب.  
ثم يقول: أستودع الله الذى ودعنى بالعين يوم الفراق، الذى سكب  
دموعه حزنا، ثم انصرفت يوم الفراق وداعى الشوق ينادى على:  
ارفق بقلبك فإن مطالبه استعصت.

والأبيات غزلية واضحة.

أما البيتان الأخيران فيحكيان تجربة أخرى يقول فيها: عاتبته هذا  
المحبيب دهرا طويلا، فلما رأيتَه قد تعود على أننى إذا ازدت ذلاله  
عز جانبه عقدت له مودة منى فى الصدر، وخليت عنه فيهما لا  
أعاتبه، حتى لا يزداد عزا جانبه. والبيتان فى الغزل أيضا.  
والأبيات الأولى تقرير لمكانة الحب، وموقف صاحب هذا الحب، ثم  
شكوى المحبوب يوم الفراق، ووصف حاله.

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٢٩

عاتب: لام، جانبي: موقفى، عقدت: جمعت، خليت: تخليت، مبهما: غامضا، دهرا:  
زمتنا طويلا، ذل: خضوع، عز: تمنع.

والبيتان الأخيران يحكى تجربة بينه وبين محبوبه فى العلاقة بينهما،  
وموقف الشاعر من محبوبه أولاً، وأخيراً.

•••

ثم غنى دببى على الوزن والقافية نفسيهما:

بدر من الإنس حفته كواكبه      قد لاح عارضه واخضر شاربه  
إن يعد الوعد يوماً فهو مخلفه      أو ينطق القول يوماً فهو كاذبه  
عاطيته كدم الأوداج صافية      فقام يشدو وقد مالت جوانبه<sup>١</sup>

والعجب أنهم غنوا بلحن واحد، وقافية واحدة، ثم إنهم غنوا على هذا النحو  
إلى انقضاء المجلس، إذا ابتدأ المشدود تبعه زنين، ودببى، بمثل ما غنى.

•••

أما دببى فهو يحكى تجربة أخرى فى الوصف والغزل، يقول: هى  
بدر من الإنس تحوطه الكواكب، قد لاح عارضه، واسود موضع شاربه.  
ثم يصفه بخلف الوعد والكذب، وذلك مما يصف به الشعراء  
محبوباتهم وهذا وصف حسن، يقول: إن تعد الوعد تخلفه، وإن تنطق  
القول تكذب.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٢٩/٤

حفته: أحاطته، كواكبه: جمع كوكب، العارض: صفحة الخد. اخضر: اسود، شاربه:  
موضع الشارب، وهو أعلى الفم، مخلفه: بصيغة اسم الفاعل. عاطيته: تعاطاه، وهى  
صيغة فاعل، الأوداج: جمع ودج، وهو عرق فى العنق، وهو يقصد الخمر، يشدو:  
يغنى، جوانبه: جمع جانب، بدر: يقصد الساقية على التصوير، ويقصد بالكواكب  
مثيلاتها من الساقيات.

ثم يصف مجلسا تعاطيا فيه شرب الخمر التي يصفها كدم العروق،  
والصفاء وأن محبوبه قام يغنى متمايل الجانب.

وهو شعر غزلى يحكى وصف المحبوب، ووصف أخلاقه، كما  
يحكى موقفا كان بينهما فى جلسة خمرية أرادها الشاعر، أو ادعاها.

\*\*\*

وغنى المشدود، فابتدأ بقافية جديدة، فقال:

يا دير حمنة من ذات الأكيراج من يصح عنك فإنى لست بالصاحي  
يعتاده كل محفى مفارقه من الدهان عليه سحق أمساح  
ما يدلفون إلى ماء بآنيئة إلا اغترافا من الغدران بالراح<sup>١</sup>  
والأبيات أيضا غزلية يذكر فيها مكان المحبوب، وأنه لن يصحو عن  
هذا المكان، أى سيظل مجنونا بحب المكان لحب أصحابه، ثم يصف  
نساء المكان اللائى يعتدن الورود إلى الماء يغترفون باليد، وقد  
تطيين.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٢٩/٤

دير: مكان للعبادة، ودير حمنة، وذات الأكيراج: مكانان، يصحو: يفيق، يعتاده: يعتاد  
زيارته، محفى مفارقه: أى مفارقه، أو شعر مفارقه مبالغ فى قصه، الدهان: جمع  
دهن، وهو ما يدهن به، سحق، أى مسحوق، أمساح: جمع مسح، وهو البلاس، أو لون  
من الطيب، أو مبتل بالدهن، يذف: يمشى رويدا، ويقارب الخطو، الغدران: جمع  
غدير، وهو أنهر، الراح: جمع راحة، وهى باطن الكف، الأنية: الإناء، وهو الوعاء،  
اغترافا: نيلا باليد، أو الإناء، وهو أخذ الماء بكثرة، يصح: فعل مجزوم، الصاحي:  
يقصد الذى يصحو من جنون الحب، أو يفيق منه.

أو يصف الحى كله بأنهم يدلفون إلى الماء يغترفن من الغدران، لأنه  
 ذكر هذا المعنى بوصف المذكر، وليس بوصف المؤنث.  
 وقد يكون هذا الوصف للتغليب.  
 وقد يكون ذلك المعنى للدعاء للحى.  
 وهى تجربة يصف فيها الشاعر مكان المحبوب، وشوقه إليه، ويصف  
 محبوبته وقد ذهبت إلى الغدير مع أترابها يسقين من الماء.

\*\*\*

وغنى زنين على الوزن والقافية نفسيهما، فقال:

دع البساتين من أس وتفتح      واعدل هديت إلى ذات الأكيراج  
 واعدل إلى فتية ذابت لحومهم      من العبادة إلا نضو سياح  
 وخمرة عتقت فى دنها حقبها      كأنها دمة فى جفن سباح<sup>١</sup>  
 والأبيات هنا ما بين الخمريات، أو الزهد.

فقد يكون المعنى: اترك البساتين، واذهب إلى هذا المكان، وبه فتية  
 عباد، سياح، وخمر الصالحين فى الدنان كالدمة فى عين السياح من  
 الماء فى الصفاء.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٢٩/٤

البساتين: جمع بستان، وهو الحديقة، أس: شجر عطر الرائحة، فتية: جمع فتى، بمعنى  
 الشاب، نضو: مهزول، سياح: من السياحة، وهى الضرب فى الأرض، عتق الخمر:  
 قدمها عتقا بفتح العين وكسرهما، الدن إناء الخمر، حقبها: جمع حقبة، وهى الدهر،  
 هديت: بالبناء للمجهول جملة دعائية، اعدل: أى مل، أو امض، أو اذهب، دمة: اسم  
 مرة، سياح: صيغة مبالغة، وكذلك سباح.



وقد يكون المعنى مختلفا، حيث يأمر بالذهاب إلى هذا المكان،  
والإلتقاء بهؤلاء الفتية الذين يعشقون الخمر، ويصف خمرهم  
بالصفاء.

وقد فضل هذا المكان على البساتين وما فيها من آس وتفاح، ووصف  
فتية هذا المكان، كما وصف خمره.

والأبيات دعوة للذهاب إلى هذا المكان، وشرب الخمر فيه، ووصف  
الخمر.

\*\*\*

ثم غنى دببى على الوزن والقافية أيضا:

لا تحفلن بقول اللائم الاحى	واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسا إذا انحدرت من حلق شاربها	أغناك لآلأوها عن كل مصباح
مازلت اسقى نديمي ثم ألتمهه	والليل ملتحف في ثوب سياح
فقام يشدو وقد مالت سوائفه	يا دير حمنة من ذات الأكيراح <sup>١</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣٠/٤

تحفلن: تهتم، اللائم: اللائم، الورد: بكسر الواو، وهو ضد الصدر، يقصد آخر النهار،  
أو الليل، مشمولة: تضر بها ريح الشمال حتى تبرد، وقيل للخمر ذلك إذا كانت باردة،  
الراح: الخمر، لآلأء: بريق، النديم: المشارك في الشراب، ألتمه: أقبله، ملتحف:  
مغطى، سياح: من السياحة، وهي الضرب في الأرض، يشدو: يغنى، سوائف: جمع  
سائفة. وهي ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قنت الترقوة، انحدرت: يقصد  
نزلت من الحلق إلى الجوف.

والأبيات خمرية توضح أن الأبيات السابقة أيضا خمرية مثلها، وهو يدعو إلى عدم الاكتراث باللائم، كما يدعو إلى الشرب من الخمر على الورد كاسا مشمولة بريح الشمال باردة، لها أضواء تغنى عن ضوء المصابيح.

ثم يقول: مازلت اسقى مشاركي في الشراب، وأقبله، والليل مظلم، وهو يغنى.

والأبيات من نوع ما يحكى أبو نواس أحد زعماء هذه الحركة في الشعر العربي.

والأبيات دعوة إلى ترك لوم اللائمين، وعدم الاكتراث بلومهم، ودعوة إلى شرب الخمر، ووصف الخمر، ووصف تجربة حية عاشها الشاعر مع محبوبه في سهرة ليلة في شرب الخمر.

\*\*\*

ثم ابتدأ المشدود فغنى بوزن آخر وقافية أخرى، فقال:

باحورار العين والدعج	واحمرار الخد في الضرج
وبتفاح الخدود ومنا	ضم من مسك ومن أرج
كن رقيق القلب إنك من	قتل من يهواك في حرج <sup>١</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٠

احورار: من الحور، وهو شدة بياض العين في شدة سوادها، الدعج: شدة سواد العين مع سعتها، الضرج: الحمرة والدم، أرج: توهج ريح الطيب، وفوحه، حرج: ضيق أو

والأبيات غزلية يلتمس من محبوبته أن تكون رقيقة القلب بمن  
يهواها، لأنها تأنم في قتله، ووصفها باحورار العين، وسوادها،  
وسعتها، وحمرة الخد، ووصف الخد بالتفاح، كما وصف طيب  
راحتها.

والأبيات التماس من الشاعر لمحبوبته أن ترفق به ووصف محبوبته،  
وأنها قتلته، وموقفه من هذه المحبوبة الفاتنة.

\*\*\*

وغنى زنين على الوزن والقافية نفسيهما:

كسروى التيه معتدل	هاشمى الدل والغنج
وله صدغان قد عطفا	ببياض الخد كالسبج
وإذا ما افتقر مبتسما	أطلق الأسرى من المهج
ما لبابى منك من فرج	لا ابتلائى الله بالفرج <sup>١</sup>

---

إثم، تفاح الخدود: تصوير الخدود بالتفاح فى الشكل واللون، قتل: يقصد قتله بالحب،  
أى قتيل الحب، أو المحبوب.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٠

كسروى: منسوب إلى كسرى ملك الفرس، أى فارسى، التيه: التكبر، معتدل: وصف  
للقوم، هاشمى: منسوب إلى بنى هاشم، أى عربى، الدل والدلال هو جراءة المرأة فى  
تكسر وتفنج كأنها مخالفة وليس بها خلاف، الصدغ: بضم الصاد المشددة، ما بين  
العين والأذن، ويسمى أيضا الشعر المتدلى عليها صدغا، عطف: مال، السبج:  
بفتحين، الخرز الأسود، وهو خرز معروف، الواحدة سبجة، المهج: جمع مهجة، وهى  
دم القلب، والروح، لا ابتلائى الله بالفرج: جملة دعائية، افتقر: انكسر، أولان بعد شدة،  
أو سكن بعد حدة، فرج: يقصد التخلص من أسر حبه، أو قيده.

والأبيات غزلية يصف المحبوب بأنه فارسي عرّبي في صفاته،  
 ويصق قوامه، وتيهه، ودلاله، وغنجه، وصدغه، ولحده، وابتسامته.  
 ثم يؤكد أنه لا يستطيع التخلص من أسر حبه، ويدعو على نفسه بأن  
 لا يستطيع التخلص من أسر هذا الحب، ويدعى أن التخلص من حبه  
 ابتلاء يدعو الله ألا يبتليه به.  
 والأبيات وصف المحبوبة، وتعلقه بها، وأنه لا ينفك عنها، ولا مخرج  
 له عنها، وتمن أن لا يجد مخرجا من حبه محبوبته، وافتتانه بها.

\*\*\*

ثم غنى دبّيس على الوزن والقافية نفسيهما:

تعمل الأجنان بالدعج	عمل الصهباء بالمهج
بأبى ظبى كلفت به	واضح الخدين والفالج
مر بي فى زى ذى خنث	بين ذات الضال من أمج
قلت قلبى قد فتكت به	قال ما فى الدين من حرج <sup>1</sup>

<sup>1</sup> - العقد الفريد ١٣٠/٤

الأجنان: جمع جفن، وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها، الدعج: بفتحتين، شدة سواد العين مع سعتها، الصهباء: الخمر، وذلك لونها الأصفر الضارب إلى الحمرة والبياض، أبى: أى أفديك أبى، أى باعز من أحب، الظبى: النزال، كلف: أحب حبا شديدا، أو أولع، الفالج: بفتحتين يتاعد ما بين الأسنان، زى: هيئة ومنظر، أو لباس، الخنث: بفتحتين التنثى والتكسر، الضال: السدر البرى، الواحدة ضالة، أمج: مكان، أو اشتداد الحر والعطش، فتك به: أهلكه، ما فى الدين من حرج، من القرآن الكريم، بمعنى الإثم.

والأبيات غزلية يصف جمال الأجفان، وسواد العيون، وعملهما الذي يشبه عمل الخمر في الأرواح.

ثم يصف محبوبته، وخديها، وأسنانها، وتخنثها، وفتنّها بقلبه.

ويذكر محاوراة جميلة بينه وبين محبوبه حين قال لها: قلبى قد فتكت به، فقالت: ما فى الدين من حرج.

والأبيات وصف للمحوبة، وأثر هذه الصفات فيه، وتجربة بينه وبين محبوبته، ومحاوراة تمت بينهما فيها طرافة.

\*\*\*

ثم ابتدأ المشدود بالوزن والقافية نفسيهما مع اختلاف حرف الوصل، فقال:

من بقلبي يبدع البدعا	ما يبالي اليوم من صنعا
فتركت النسك والورعا	كنت ذا نسك وذا ورعا
يصغ لى يوما ولا نزعا	كم زجرت القلب عنك فلم
إن ورد الموت قد شرعا <sup>١</sup>	لا تدعنى للهوى غرضا

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٠

سبالي: يهتم، يبدع: يحدث، والبدع: جمع بدعة، وهى الحالة المخالفة، والمقصود أنها تاتى بأمر غريبة تحدثها فى قلبه، أو هو الغاية فى كل شىء، نسك: بفتح النون، وكسرهما، وضمتها، الزهد والعبادة، الورع: التحرج والتوقى عن المحارم، واستعير للستائم من الحلال المباح، زجر: كف، ومنع، ونهى وانتهر، يصغى: يحسن الاستماع، نزع: كف وانتهى، لاتدعنى: لا تتركنى، الهوى: العشق، ورد: ورود وحضور، وهو ورود الماء للشرب، شرع: بمعنى بدأ، أو أخذ يفعل، أو صار مشروعاً مسنوناً.

والأبيات فى الغزل، يقول فيها: ما يبالى هذا الحبيب ما صنع، حيث إنه يبدع البدع بقلبى، فقد كنت صاحب ورع، ونسك، فتركت النسك والورع، وقد زجرت القلب أنهاه عن التعلق بالسحبوب، فلم يصنع القلب لى، ولم ينزع عن هواه.

ثم يخاطب محبوبه قائلاً: لا تتركنى للهوى غرضاً، فقد شرع ورد الموت لى.

والأبيات تحكى ما صنعه المحبوب بقلبه، وأثر هذا الحب عليه، وعلى قلبه، وموقفه وموقف قلبه من هذا الحب، والتماس من المحبوب الشفقة عليه من هذا الحب الذى كاد يقتله.

\*\*\*

وغنى دببى على الوزن والقافية قوله:

اسقنى كأساً مصـردة      إن نجم الليل قد طلعا

قد شربت الحب شرب فتى      لم يدع فى كأسه جرعا<sup>١</sup>

والبيتان فى الخمريات والغزل، يلتبس أن يشرب كأساً باردة فى الليل، لينسى، فقد شرب الحب، ولم يدع منه جرعة واحدة، فأولى به

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٠

الكأس: القدح ما دام فيه الخمر، مصردة بصيغة اسم المفعول، أى باردة، الجرع: بضم الجيم، وفتح الراء، جمع جرعة، بضم الجيم، وسكون الراء، وهى المرة من الجرع، بفتح الجيم، وسكون الراء، وهى الحسوة ملء الفم، فتى، الشاب أول شبابه بين المراهقة والرجولة.

أن ينسى هموم الحب بشرب الخمر، فقد تقدم الليل، ولم ينم، لذا  
يلتمس من مخاطبه أن يبادر بسقيه هذه الكأس التي يريدها لنسيان  
هموم الحب الذي سيطر عليه.

والبيتان تجربة عاشها الشاعر مع ساقيه، أو صاحبه، يحكى فيها  
موقفه من المحبوب، وأثر الحب عليه، وسبب هروبه إلى الخمر.

\*\*\*

ثم ابتداء أيضا دببس فقال بوزن آخر وقافية أخرى:

يقولون في البستان للعين لذة      وفي الخمر والماء الذي غير أسن  
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها      ففي وجه من تهوى جميع المحاسن<sup>١</sup>  
والبتان في الغزل أيضا، يقول فيهما: إذا كان في البستان لذة للعين،  
وإذا كان في الخمر والماء غير الأسن لذة للجسد فإن المحاسن كلها  
في وجه من تحب، فإذا شئت أن تلقى هذه المحاسن كلها، فإنك تلقاها  
في وجه الحبيب، وهي أجمل من البستان، وأكثر متعة من الخمر  
والماء.

والبيتان وصف للمحبوبة وصفا مبالغا فيه، يجعلها ذاية في الحسن.

\*\*\*

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣١

البستان: جنينة فيها نخيل متفرقة يمكن الزراعة بينها، أسن: تغير وفسد، تهوى: تحب،  
وهي بفتح الواو، المحاسن: جمع على غير قياس للحسن، وهو ذل مبهج مرغوب فيه،  
أو الجمال، أو جمع محسنة، وهي ما يحسن، أو كأنه جمع محسن.

فغضب المشدود لما قطع عليه دببس، وقال المشدود لدببس: غن على غير هذه القافية واللحن، ثم نرجع إلى حالنا الأولى. فابتدأ المشدود فغنى بوزن آخر، وقافية أخرى:

أدعوك من قلبي إذا لم أرك      يا غاية الطرف إذا أبصرك  
قضى لك الله فسبحان من      أحلك ومن قدرك  
لست بناسيك على حالة      يا ليت ما تذكرني أذكرك  
صيرني الله على ما أرى      منك في الهجر كما صيرك<sup>١</sup>

والأبيات في الغزل خطاب للمحبوب، يقول: أدعوك من قلبي، لأنك تسكن فيه، ويناديه: يا غاية ما تقصد العين إذا رأتك، فلن تعدل عنك أبدا، قد قضى لك الله هذه المنزلة العالية التي تؤثر في، فسبحان الله العظيم الذي أحلك هذه المنزلة، وقدرك حق قدرك، وخلقك وسواك، وأنا لست ناسكا على أية حالة، فياليتك تذكرني كما أذكرك، أو ياليت الأمر على العكس، فادعو الله أن يجعلني في الهجر مثلك، فأهجرك كما تهجرني.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣١

أدعوك: أناديك، من قلبي: أي يدعو صورته من قلبه، لم أرك: من الروية بالبصر، غاية: نهاية المنزلة، الطرف: العين، أبصرك: رأك أي الطرف، والطرف: بفتح الطاء المشددة، قضى: حكم، سبحان: كلمة تنزيه لله سبحانه وتعالى عن كل سوء، وهي تدل على غاية الإعجاب، أو التعجب، أحلك: أي جعلك حالالا، أو أخرجك من تبعة، أو عهد، أو أجاز له ما كان ممنوعا منه، أو أحلك مكانا عليا، قدرك: خلقك وسواك، الذكر: ضد النسيان، صير حول.



والأبيات وصف للمحوبة، وبيان موقفه منها، وبيان هجرها إياه،  
ورغبته فى هجرها، وأنه لا يستطيع صبرا عنها.

\*\*\*

فقال زنين: وأنا فلا بد أن اسلك سبيلكما، فابتدأ يغنى على وزن آخر  
وقافية أخرى، فقال:

يا هائم القلب عاص من عدلك      ما نلت ممن هويته أملك  
دعاك داعى الهوى بخدعته      حتى إذا ما أجبته خذلك  
فاحتل لداء الهوى وسطوته      إنك إن لم تداهه فتلك<sup>١</sup>

والأبيات غزلية يقول فيها: يا هائم القلب المحب للمحبيب الذى لا  
يرجع عن هواه اعص من لامك، فإنك ما نلت أملك من المحبوب،  
فقد دعاك الحب بخدعته وأسبابه، فلما أجبته خذلك، ولم يجبك كما  
أجبته، فاصنع حيلة تَحْتال بها على داعى الحب، وسطوته، وشدته،  
فإنك إن لم تدلو نفسك من داء الحب فتلك الحب عشقا، أو زاد حتى يقتلك.

<sup>١</sup> - العقد الغريد ١٣١/٤.

هائم: اسم فاعل من هام، بمعنى شغف حيا، عاص: أمر من عاصى، بمعنى بادله  
المصيان، وهو الخروج عن طاعته، ومخالفة أمره، أو الامتناع عن الانقياد، عدلك:  
لامك، هويته: أحببته، أملك: أمانيه وما يرجوه، داعى الهوى: اسباب العشق، خدعة:  
مصدر خدع، والخدعة بضم الخاء وسكون الدال، وفتح العين، وهى ما يخدع به  
الإنسان، خذلك: تخلى عن عونك ونصرتك، احتل: أمر من الاحتيال، أى اصنع حيلة،  
وهى وسيلة بارعة تحيل الشئ عن ظاهره ابتغاء الوصول إلى المقصود، داء: مرض،  
سطوة: بطش وقهر، تداهه فتلك: قد يكون التعبير حقيقة، أو مجازا.

والأبيات وصف لموقفه من المحبوبة، وموافق المحبوبة منه،  
ونصيحة له فى التعامل مع المحبوبة، والحب، والعلاج منه.

•••

ثم ابتداء المشدود يغنى بوزن جديد وقافية جديدة، فقال:

شفتت جيبى عليك شقا      وما لجيبى أردت شقا

أردت قلبى فصادفته      يداى بالجيب قد توى

ما لك رقى أبت عتقى      لولاك ما كنت مسارقا<sup>١</sup>

والأبيات غزلية يقول فيها: إنه شق جيبه على محبوبه وما كان  
ليقصد شق الجيب، وإنما كان يريد القلب فصادفت يداه فى الشق  
القلب وقد توى بالجيب، لذا شق جيبه بدلا من قلبه، وهذا حسن  
تعليل جميل.

ثم يقول: إن محبوبته التى ملكت رقة أبت أن تعذقه من هذا الرق،  
فضل رقيقا، ولولا محبوبته التى ملكت رقه ما كان رقيقا، ولا  
مستعبدا، وإنما كان حرا، لكنها بحبه إياها استعبده، ورفضت أن  
تعنقه، فضل أسير حبها.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣١/٤

الجيب: فتحة الثوب، أو ما يدخل منه الرأس عند اللبس، شق: صدع، صادف: لقي  
ووجد من غير موعد ولا توقع، توى: حذر وتجنب، الرق: بكسر الراء، العبودية،  
مالك رقى: أى سيدي، أو الذى يستعبدنى، أو الذى يملك عبوديتى، وهو يقصد  
المحبوبة، أبت: رفضت، العتق: الخروج من الرق والعبودية، مسترقا: مملوكا، أو  
عبدا، أو أسيرا، وهو يقصد أسر الحب.

والأبيات وصف لموقفه من المحبوب، وموقف المحبوبة منه،  
وأسرها إياه، وامتناعها عن عنقه من أسر حبها.

\*\*\*

وغنى زنين على الوزن والقافية نفسيهما قوله:

قد ذبت شوقا ومت عشقا      يا زفرات المحب رفقاً

تكلت نفسى وزرت رمسى      إن كنت للهجر مستحقاً<sup>١</sup>

والبيتان فى الغزل يقول فيهما: قد أذابنى الشوق، وأماتنى العشق  
للمحبيب، فرفقا بى أيتها الزفرات التى تخرج من صدرى، حتى لا  
يؤثر ذلك على.

ثم يدعو على نفسه بالموت، وأن يفقد نفسه، ويسكن قبره إذا كان  
يستحق الهجر، فهو يرقق قلب محبوبه، أى هو لا يستحق الهجر،  
ولو كان يستحقه فلا عاش، وإنما يكون مستحقاً للموت.

والبيتان تجربة يحكيها الشاعر، حدثت بينه وبين محبوبته، وهجرها  
إياه، وبيان موقفه أنه لا يستحق هذا الهجر من محبوبته.

\*\*\*

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣١/٤

ذاب: هزل، أو على المجاز دلالة على شدة الشوق، كذلك مات عشقا: العشق: شدة  
الحب، زفرات: جمع زفرة، وهى من الزفير، وهو إخراج النفس بعد مده، وهو خلاف  
الشهيق، رفقاً: أى ارفقى رفقاً، تكل: فقد، الرمس: القبر، المحب: بصيغة اسم الفاعل،  
مستحقاً: بصيغة اسم الفاعل.

وغنى دببب على الوزن والقافية نفسيهما قوله:

ظمنت شوقا وبحر عشقى      يفيض عذبا ولست اسقى  
أنا الذى صرت من غرامى      على فراش السقام ملقى  
فمن زفير ومن شهيق      ومن دموع تجود سبقا<sup>١</sup>

والأبيات فى الغزل أيضا، يقول: ظمنت شوقا على رغم كون عشقى صار كالبحر يفيض، وكماء النهر فى العذوبة، ويا للعجب لا أستطيع الشرب منه.

ثم يقول: لقد صرت على فراش المرض ملقى بسبب غرامى هذا المحبوب الذى أمرضنى بحبى إياه.

ثم يصف حاله فى المرض على الفراش بقوله: فأنا بين الشهيق، والزفير، والدموع التى تكثر وتفيض، وتتسابق.

والأبيات تجربة عاشها الشاعر، يحكيها يصور فيها موقفه من محبوبه، وما أصابه من جراء الحب ووصف حاله.

\*\*\*

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣١

الظمأ: العطش أو شدة العطش، أو الاشتياق، بحر عشقى: على المجاز، يفيض: يزيد ويكثر، أسقى: بالبناء للمفعول، الغرام: التعلق بالمحبيب تعلقا لا يستطيع التخلص منه، الفراش: بكسر الفاء، ما يفرش من متاع البيت، السقام: المرض الطويل، ملقى: بصيغة اسم المفعول، تجود: تزيد، سبقا: تسابقا، والمراد كثرة الدموع.

ثم ابتداء المشدود يغنى بوزن آخر وقافية أخرى قوله:

ماذا على نجل العيون لو انهم أوموا إليك فسلموا أو عرجوا

أمنوا مقاساة الهموم وأيقنوا أن المحب إلى الأحبة يدلج<sup>١</sup>

والبيتان في الغزل، يقول فيهما: ماذا يعود على المحبوبات نجلاوات العيون لو أشاروا إليك، أو مروا عليك، فالظاهر أنهم أمنوا مقاساة الهموم، وتيقنوا من أن المحب يدلج دائما إلى المحبوب، فلما أمنوا ذلك، واطمأنوا إليه تيقنوا أنني سوف أعرج إليهم، فلم يسلموا، ولم يمروا. والبيتان تجربة يحكى فيها الشاعر عتابا بينه وبين محبوبته، وموقف محبوبته منه، ومعرفتها حاله.

\*\*\*

وغنى دبب على الوزن نفسه والقافية نفسها قوله:

هيا فقد بدأ الصباح الأبلج قد ضم مشبهة الغزال الهودج

بانوا ولم أقض اللبانة منهم وكذا الكريم إذا تصابى يلهج<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣٢/٤

نجل: جمع نجلاء، وهي المرأة واسعة العينين حسنتهما، أوموا: أشاروا، وقد ذكر الفعل متصلا بواو الجماعة، لو أنهم: تنطق بغير الهزة للوزن العروضي، عرجوا: مروا، مقاساة: مكابدة، ومعالجة شدة، العيون: جمع عين، الهموم: جمع هم، يدلج: من أدلج، أى سار من أول الليل، المحب: بصيغة اسم الفاعل من أحب.

<sup>٢</sup> - العقد الفريد ١٣٢/٤

هيا: كلمة حث، وهي بفتح الياء المخففة، أو المشددة، الأبلج: المسفر المنير، مشبهة: بصيغة اسم الفاعل، التي تشبه، الهودج: مقصورة ذات قبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء، والهودج هنا فاعل ضم، مشبهة: مفعول به تقدم على الفاعل للوزن

والبيتان في الغزل، يقول فيهما: هيا نسرع، فقد بدأ الصباح وأسفر،  
وأضاء، ليفارق الأحباب، فقد استعدت المحبوبة السفر، وقد ضمها  
الهودج، وهي شبيهة بالغزال، وقد فارق الأحباب ولم أبلغ ما أريد  
منهن، وكذلك الكريم إذا تصابى، وحن إلى الصبوة والهوى يثابر  
ويعتاد على رؤية المحبوب، وهأنذا أصنع ذلك.  
فهو يصور وقت فراق الأحبة، ويصف محبوبته عند ذلك الفراق،  
ويستحث نفسه على رؤية المحبوبة قبل فراقها، ويصف الكرام من  
أمثاله بأنهم يعتادون ذلك عند تعلقهم بالمحبوب.

\*\*\*

وغنى زنين على الوزن نفسه، وعلى القافية نفسها قوله:

السحر والغنج في عينيك والدعج      والشمس والبدر في خديك والضرع  
الدر تغرك لولا أن ذا برد      والحبر صدغك لولا أن ذا سمج  
أنضجت قلبي ولو أن الورى لقيت      قلوبهم منك ما لاقيت ما لهجوا<sup>١</sup>

العروضى والقافية، بان: فارق، اللبانة: بضم اللام المشددة، ما يطلبه المرء عن رغبة  
وشهوة، لم أقض: لم أبلغ، وكذا: أداة تشبيه، واسم إشارة، أى ومثل هذا، تصابى: مال  
إلى الهوى، أو حن وتشوق، يلهج: يولع، ويثابر، ويعتاد، الكريم: يقصد كرم الأصل  
والشرف.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣٢/٤

الدعج: شدة سواد العين وسعتها، الضرع: الحمرة والدم، الدر: جمع درة، وهي اللؤلؤة  
العظيمة الكبيرة، الثغر: الفم، برد: بفتحين، الماء الجامد يزل من السحاب قطعا  
صغارا، ويسمى: حب الغمام، وحب النزن، أو برد: بفتح اباء، وكسر الراء، أى  
بارد، الصدغ: بضم الصاد المشددة، وسكون الدال، ما بين العين والأذن، ويسمى أيضا

والأبيات فى الغزل يصف عيني المحبوبة بالسحر، والسواد،  
والإتساع، كما يصف خديها بالضياء والنور، والحمرة التى تشبه  
الدم، ويصف الثغر بالدر، ويتحفظ على ذلك بأن الثغر أجمل من  
الدر، حيث إن الدر بارد، أو كالبرد، فهو أقل فى الجمال من الثغر.  
وربما يكون التحفظ فى جانب آخر، بمعنى أن الثغر بارد، وذلك من  
صفات الجمال، أو قد عول عليها الشعراء كثيرا.

ويصور الصدغ فى جماله بالحبر، والمقصود الزينة، ويتحفظ على  
ذلك بأن الحبر سمج، والصدغ أجمل.

ثم يخاطب المحبوبة قائلا: إنك أنضجت قلبى، ولو أن الخلق لقيت  
قلوبهم منك ما لقيت أنا منك ما أغروا بالحب، وما أولعوا به.  
والأبيات وصف للمحبوبة وصفا ماديا، فهو وصف العينين، والخد،  
والصدع، ووصف العلاقة بينه وبينها، والشكوى منها.

\*\*\*

وابتدأ المشدود فغنى بوزن جديد، وقافية جديدة، فقال:

يا صاحب المقل المراض      انظر إلى بعين راض  
إن تجننى متعمدا      لتذيقنى جرع الحياض

---

الشعر المتدلى عليها صدغا، والحبر: بكسر الحاء، وسكون الباء، المداد الذى يكتب  
به، أو الجمال والبهاء، سمج: بكسر الميم، قبيح، أنضجت: يقصد أتعبت، لهج: أغرى  
بالشئ فتأبر عليه، أو أوقع، النورى: الخلق.

فطالما أمكنتني منك المرافف عن تراض<sup>١</sup>

والأبيات غزلية، يصف فيها محبوبته بأنها ذات أعين مريضة جميلة، ويلتمس منها أن تنظر إليه بعين الرضا، فإنها إن تحفه متعمدة، لتذيقه من جرع الحياض الماء، فطالما أمكنته قبلا من تنوق شفيتها وفما عن تراض منها.

والأبيات شكوى من المحبوب لتغير موقفه من الشاعر، والتماس من الشاعر للمحبوب.

\*\*\*

ثم غنى زنين على وزن مختلف، وقافية متوافقة مع القافية السابقة قوله:

هائم مدنف من الإعراض لا سبيل به إلى الإغماض  
موتق النوم مطلق الدمع ما يعد رف ملحا من الحترف القواضى  
ما برى جسمه سوى لحظات أمرضته من العيون المراض<sup>١</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٢.

المقل: بضم الميم، وفتح القاف، جمع مقلة، بضم الميم، وسكون القاف، المراض: جمع مريضة، ومرض العيون لون من الجمال، وهو فتور فى العينين، راض: اسم فاعل منقوص من الرضا، وهو ضد الغضب، تجفنى من الجفاء، وهو الإعراض والقطع، متعمدا: بصيغة اسم الفاعل من التعمد، وهو القصد، الجرع: بضم الجيم، وفتح الراء، جمع جرعة، بضم الجيم، وسكون الراء، وهى المرة من الجرع، بفتح الجيم، وسكون الراء، وهى الحسوة ملء الفم، الحياض: جمع حوض، وهو مجتمع الماء، المرافف: جمع مرشف، بفتح الشين، موضع الرشف، والمقصود الفم، أو الشفتان، تراض: مصدر، وهو اسم منقوص.



يصف نفسه بأنه مشغوف حبا، مريض من إعراض محبوبته، لا سبيل له إلى النوم، فهو مقيد النوم لكنه مطلق الدمع، لا يعرف الملح، لأنه حزين من الهلاك القاتل، فقد برى جسمه بفعل تلك اللحظات من هذه العيون الجميلة المريضة.

والأبيات وصف لحاله، وشكوى من هذه الحال، وبيان سبب حاله هذا.

\*\*\*

ثم غنى دببى على القافية نفسها، بون آخر قوله:

كن ساخطا واطهر بأنك راض لا تبدين تكره الإعراض  
وانظر إلى بمقلة غضبانة إن كنت لم تنتظر بمقلة راض  
وارحم جفونا ما تجف من البكا فى ليلة مسلوية الإغماض  
واحكم فديتك بين جسمى والهوى فالحكم منك على الجوارح ماض<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣٢/٤

هائم: اسم فاعل من هام، بمعنى شغف حبا، مدنف: بصيغة اسم المفعول: اشتد مرضه، الإعراض: الصدود والتولى، من أعرض، سبيل: طريق، الإغماض، انطباق الجفن، أى النوم، موثق: بصيغة اسم المفعول، مقيد، مطلق: بصيغة اسم المفعول، ملح: بضم الميم، وفتح اللام، جمع ملح، بضم الميم، وسكون اللام، وهى ما استحسنت من الأحاديث واستلمح، أو الكلمة المليحة، الحتوف: جمع حتف، بفتح الحاء، وهو الهلاك، القواضى: جمع القاضية، بمعنى المميته، برى: نحت، لحظات: جمع لحظة، وهى النظرة بمؤخر العين، أو الوقت القصير بمقدار لحظ العين، أمرضته: أصابته بمرض الحب، العيون: جمع عين، المراض: جمع المريضة، ومرض العيون فتور فى الأجفان، وهو من ألوان الجمال.

<sup>٢</sup> - العقد الفريد ١٣٢/٤

السخط: ضد الرضا، راض: اسم فاعل منقوص، لا تبدين: لا تظهرن، تكره: مصدر تكره، الإعراض: مصدر أعرض، بمعنى صد، المقلة: شحمة العين التى تجمع البياض

يقول للمحبوب: كن ساخطا كما شئت، لكن اظهر بأنك راض، ولا تظهر تكره إعراضك وصدك، وانظر إلى بعين غاضبة إن كنت لم تنظر إلى بعين راضية، وارحم جفوني التي لا تجف من البكاء في ليلة ليس فيها غمض، ولا نوم، ولحکم بين جسمي والحب، فالحکم منك على جوارحي قلض وملزم.

والأبيات التماس من الشاعر للمحبوب بالرضا وعدم الإعراض، وأن يرحم حاله، ويحكم على حاله حكما صحيحا.

\*\*\*

ثم ابتداء المشدود فغنى على وزن مختلف، وقافية مختلفة، فقال:

يا ذا الذي حال عن العبد      ومن برانى منه بالصد  
بسمرة الخال وما قد حوى      من حمرة في سالف الخد  
ألا تعطفت على عاشق      منفرد بالبت والوجد<sup>1</sup>

---

والمواد، راض: اسم فاعل منقوص، جفونا: جمع جفن، ما تجف: تكف، للبكا: البكاء، وحذفت الهمزة للوزن، مسلوبة: بصيغة اسم المفعول، الإغماض: مصدر أغمض، فديتك: جملة دعائية، الهوى: للحب، للجوارح: جمع جارحة، وهو العضو الكامل من أعضاء الجسد، كاليد والرجل، ماض: قاطع، وهو اسم فاعل، اسم منقوص.

<sup>1</sup> - العقد الفرید ١٣٢/٤

حال: تحول، وتغير، انعبد: يقصد نفسه بأنه عبد حبها، برى: نحت، الصد: الإعراض، الخال: نقطة سوداء في الوجه، أو الخد، حوى: شمل، سالف، وسالفة: جانب العنق، أو ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قلت للترقوة، تعطفت: ملت وتحننت، عاشق: محب أشد الحب، البت: الحزن، الوجد: شدة الحزن.

يخاطب الشاعر محبوبه قائلاً: يا من حال عني، وبراني بالإعراض  
والصد، بجمال سمرة الخال، وحمرة الخد، هلا تعطفني على عاشق  
انفرد بالحزن.

والأبيات عتاب للمحبوب وتد لله بجماله، واستعطاف من الشاعر له  
للشفقة على حاله الحزين، وما آل إليه أمره من الحزن.

\*\*\*

وغنى زنين على القافية نفسها قوله:

أظلم بكتمان الهوى وكأنما ألقى الذي لاقاه غيري من الوجد  
وعيب على الشوق والوجد والبكا ولا أنا بالشكوى أنف من جهدي<sup>١</sup>  
والبيتان في الغزل، والمعنى: أن الشاعر يظل يكتنم هواه، ويلاقي  
الحزن الذي لاقاه غيره، ويعاب عليه الشوق والحزن، والبكاء، لكنه  
مع ذلك يشكو، ولا يستطيع بالشكوى التنفيس من الحزن الذي بلغ الغاية.  
والبيتان يصف الشاعر فيهما حاله الذي آل إليه أمره بسبب الهوى  
والشكوى والحزن والمشقة.

\*\*\*

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٢

الهوى: الحب، الوجد: الحزن، البكا: البكاء، عيب: فعل مبني للمفعول، أنف، أخرج  
النفس، وهو الريح تدخل، وتخرج من أنف الحي ذى الرنة، وفمه حين التنفس،  
والمقصود إطلاق الكبت، أو الضيق، الجهد: بفتح الجيم، بلوغ المشقة أو ما فوق  
الطاقة، أو النهاية والغاية، وبضم الجيم: الوسع والطاقة، الشكوى: التوجع من ألم  
ونحوه، أو ما يشتكى منه.

وغنى دببب على الوزن نفسه والقافية نفسها:

تهزأت بب لما خلوت من الوجد      ولم ترث لى لا كان عندك ما عندى  
وعيب على الشوق والوجد والبكا      وأنت الذى أجريت دمعى على خدى  
صددت بلا جرم إليك أتيتته      أكان عجبيا لو صدتت عن الضد  
ألا إتنى عبد لطرفك خاضع      وطرفك مولى لا يرق على عبد<sup>١</sup>  
والأبيات غزلية يقول فيها مخاطبا المحبوب أو الصاحب، إنك  
سخرت منى لما خلوت من الحزن، ولم تشفق على، لا كان عندك ما  
عندى من الحزن، وعيب على الشوق والوجد والبكاء، وأنت الذى  
تسببت فى إجراء دمعى على خدى، فأنت سبب حزنى.  
وقد أعرضت عنى بلا ذنب ارتكبتته، فهل يكون عجبيا لو أعرضت  
عن ذنبك أنت، أى تصد عن الإعراض عنى فهو ذنب لك، وأولى  
بك أن تصد عن الذنب، وإتنى عبد خاضع لحبك، ولجمال عينيك،  
وعيناك لا ترقان على، ولا تشفعان، فهما لا يشفقان على عبد مثلى  
خاضع لحبك.

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣٢/٤

تهزأ: سخر، خلا: فرغ، الوجد: الحزن، لم ترث: لم ترق لحالى، لا كان عندك: جملة  
دعائية، يدعو له مبالغة فيما عنده، عيب: بالبناء للمفعول، ما عندى: يقصد ما حدث  
نسه: السبكا: السبكاء، صدتت: أعرضت، جرم: ذنب، أتيتته: اقترفته وارتكبتته وفعلته،  
الضد: العكس أو المقابل، عبد: رقيق، طرف: عين، خاضع: مستكين، مولى: سيد  
ومالك، لا يرق: لا يشفق.

والأبيات شكوى، يبت فيها الشاعر ما يلاقيه من جراء حبه  
المحبوب، وعتاب للمحبوب ليرق لحاله، ويشفق عليه.

\*\*\*

ثم ابتدأ المشدود بوزن مختلف، وقافية مختلفة، فقال:

أقمت ببلدة ورحلت عنها      كلانا عند صاحبه غريب

أقل الناس فى الدنيا نصيبا      محب قد نأى عنه الحبيب<sup>١</sup>

والبيتان فى الغزل أيضا، يقول أقمت أنا ببلدة، ورحلت أنت عنها، أو  
أقمت أنت ببلدة، ورحلت أنا عنها، فكل منا غريب عند الآخر، ثم  
ينثر حكمة طيبة يقول فيها: إن أقل الناس حظا فى الدنيا المحب الذى  
بعد عنه المحبوب، لقد فقد حظه فى الحياة.

والبيتان شكوى من حاله مع المحبوب، وحكمة مستوحاة من موقفه  
مع محبوبه.

\*\*\*

وغنى زنين بقافية مختلفة ووزن مختلف، فقال:

ويقنعنى ممن أحب كتابه      ويمنعني أنه لبخيل

كفى حزنا أن لا أطيق وداعكم      وقد حان منى يا طلوع رحيل<sup>١</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣٣/٤

أقام: عاش واستقر، أقمت ببلدة ورحلت عنها: يجوز أن يكون الضمير الأول والثانى  
للمتكلم والمخاطب بغير تحديد، صاحبه: يقصد محبوبه، نصيب: حظ، محب: بصيغة  
اسم الفاعل، نأى: بعد

والبيتان في الغزل، يقول فيهما الشاعر إنه يقنع من محبوبه كتابه أو رسالته، لكنه يمنع رسائله لأنه بخيل، ثم يقول: يكفيني حزنا أنتى لا أطيق وداعكم، ويا للأسف فقد حان الرحيل منى على رغم أنتى لا أطيق وداعكم.

والبيتان شكوى من عدم إرسال الرسائل من محبوبه، ويعلن أنه راحل عنها على رغم منه.

\*\*\*

وغنى دببى على وزن آخر، وقافية أخرى، فقال:

يا واحد الحسن الذى لحظاته	تدعو النفوس إلى الهوى فتجيب
من وجهه القمر المنير وحسنه	غصن نضير مشرق وكثيب
ألناظريك على العيون رقيقة	أم هل لطرفك فى القلوب نصيب <sup>١</sup>

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١/١٣٣

يقنعنى: يكفينى قناعة، من أحب: المحبوب، كتابه: رسالته، يمنعه: يحرمنى من الكتاب أو الرسالة، بخيل فى إرسال الرسائل، أطيق: أحتمل بمشقة: حان: حل أو أزف: طلوع: اسم المحبوبة.

<sup>٢</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٣

لحظات: جمع لحظة، وهى النظر بمؤخر العين، واحد: متفرد، النفوس: جمع نفس، وهى الروح، الهوى: الحب، فتجيب: أى النفوس، وجهه القمر المنير: أى وجه الحبيب يشبه القمر المنير، وحسنه أى حسن الحبيب، ذكره بالتذكير، غصن: ما تشعب من ساق الشجرة، وحسنه غصن، على التشبيه، نضير: ناضر، ذو رونق وبهجة، أو حسن ولاشراق، أو بريق وصفاء، مشرق: اسم فاعل من أشرق، بمعنى اضاء، وتلألاً حسناً، كثيب: الرمل المستطيل المحدودب، وهو على التشبيه أيضاً، ناظريك: عينيك، رقيقة: مراقب، حارس، وحافظ، ملاحظ، طرفك: عينيك، نصيب: حظ وسهم.

والأبيات فى الغزل، والمعنى يخاطب الشاعر محبوبه قائلاً: أيها المتفرد بالحسن، الذى له لحظات تدعو الأرواح إلى الهوى، فلا تملك الأرواح إلا أن تجيب، والذى وجهه يشبه القمر المنير، وحسنه فى القوام غصن نضير، وكثيب، ثم يتساءل قائلاً! هل لعينيك رقيب على العيون، أم هل لعينك سهم فى القلوب؟  
والأبيات خطاب للمحبوبة، ووصف لجمال وجهها، وقوامها، ونظراتها، وعينيها.

\*\*\*

ثم ابتدأ المشدود فغنى بوزن مختلف، وقافية مختلفة، فقال:

قلق لم يزل وصبر يـزول	ورضا لم يطل وسخط يطول
لم تسل دمعتى على من الرحـ	مة حتى رأيت نفسى تسيل
جال فى جسمى السقام فجسمى	مدنف ليس فيه روح تجول
ينقضى للقتيل حول فينسى	وأنا فيك كل يـوم قتيل <sup>١</sup>

والأبيات فى الغزل، والمعنى يقول فيه الشاعر: أعيش فى قلق دائم، وصبر لا يدوم، وسخط طويل، ورضا قصير، ودمعتى سالت رحمة

<sup>١</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٣

القلق: حالة انفعالية تتميز بالخوف مما قد يحدث، أو الانزعاج، لم يزل: أى دائم، يزول: يختفى، لم يطل: قصر، والقلق والصبر ضدان، والرضا والسخط، أى الكراهة والغضب ضدان، لم تسل: تسيل، تجرى وتتدفق، الرحمة: الشفقة، تسيل: تخرج شيئاً فشيئاً، جال طاف غير مستقر، السقام: المرض، مدنف: اشتد مرضه وأشفى على الموت، تجول: تتحرك، حول: سنة، قتيل: محب حبا شديداً، أو قضى عليه الحب.

كما سألت نفسي، وكادت تقضى، وقد دب فى جسمى المرض،  
وصار جسمى مريضاً ليس فيه روح تدب فيه، والقَتيل ينقضى حول  
له فينسى، وأنا فى كل يوم قَتيل فى محبوبتى.  
والأبيات تصوّر لحاله الذى آل إليه أمره، ووصف لهذه الحال،  
وبيان السبب فيها، وتقرير لحقيقة أمره مع محبوبته.

\*\*\*

وغنى زنين على القافية نفسها بوزن مختلف، فقال:

ليس إلى تركك من حيلة      ولا إلى الصبر لقلبي سبيل  
فكيف ما شئت فكن سيدى      فإن وجدى بك وجد طويل  
إن كنت أزمعت على هجرنا      فحسبنا الله ونعم الوكيل<sup>١</sup>  
والأبيات فى الغزل، والمعنى يقول الشاعر إنه ليست له حيلة إلى  
تركه، ولا يملك طريقاً للصبر يؤثر به على قلبه، ويخاطب محبوبه  
قائلاً: كُن كما شئت فإن حبي لك دائم، وحرزى عليك طويل، فإن  
كنت عزمتم على الهجر فحسبى الله ونعم الوكيل.

---

<sup>١</sup> - العقد الفريد ١٣٣/٤

تركك: ترك حبك، سبيل: طريق، ما شئت: ما أردت، أو ما أحببت أن تكون، فكن:  
أى صر، سيدى: نداء، وجد: حزن، وحب، أزمع على الهجر: عزم عليه، وثبت وجد  
فى مضائه، حسبنا: كافينا، الوكيل: الذى يوكل إليه الأمر، ويفوض إليه، ويكتفى به،  
فحسبنا الله ونعم الوكيل: مقتبس من القرآن الكريم.



والأبيات وصف لحاله مع محبوبه. وإطلاق العنان لمحبوبه، وتسليم أمره إلى الله في هجر المحبوب.

\*\*\*

فأقبل أبو عيسى بن المتوكل على المشدود، فقال له: عن صوتا،  
فغنى المشدود:

يا لجة الدمع هل للدمع مرجوع أم الكرى من جفون العين ممنوع  
ما حيلتى وفؤادى هائم أبدا بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع  
لا والذى تلفت نفسى بفرقتة فالقلب من حرق الهجران مصدوع  
ما أرق العين إلا حب مبتدع ثوب الجمال على خديه مخلوع<sup>1</sup>  
فأمر أبو عيسى بن المتوكل لكل واحد منهم بجائزة، وانصرفوا،  
ولولا أن أبا عيسى بن المتوكل قطعهم ما انقطعوا.

والأبيات فى الغزل، والمعنى يخاطب الشاعر دموعه قائلا: هل للدمع رجوع بعد تدفقه وسيلانه؟ أم هل النوم ممنوع من الجفون؟ فما حيلتى فى دموعى، وعدم نومى، وفؤادى الهائم أبدا بصدغ الحبيب،

<sup>1</sup> - العقد الفريد ٤/١٣٣-١٣٤

لجة: بضم اللام، معظم الماء، مرجوع: أى رجوع، الكرى: النعاس هائم: محب واله من الهيام، عقرب الصدغ، بضم الصاد، وسكون القاف، ما بين خط العين إلى أصل الأذن، مصدوع: متفروق، حرق: بفتح الحاء، أى إحراق النار، أو النار بعينها. جفون: جمع جفن، وعقرب الصدغ: على التشبيه، ملسوع: أى مصاب، تلفت: هلكت، الهجران: الهجر، مبتدع: أى ابتداع، أو على زنة اسم الفاعل، مخلوع: أى متروك على خديه.

ملسوع منه، ويقسم بمحبوبه الذى تلفت نفسه بفرقة أن القلب  
مصدوع من حرقة الهجر، وأنه ما أرق العين إلا حب مبتدع، وأن  
ثوب الجمال مخلوع على خدى المحبوب.  
والأبيات وصف لحاله، وشكوى من الدموع، والأرق، وهيام القلب،  
وحرقة الهجر، ووصف جمال المحبوبة، ومعالم هذا الجمال، وبيان  
سبب الأرق الذى انتاب عينيه.

\*\*\*

وهذه الأمثلة كلها دلالة على أن الشعر كان يعيش داخل قصور  
الخلافة العباسية على السنة أبنائهم، والشعراء الذين يزورنهم،  
ويناشدونهم الأشعار، وكل ذلك دلالة على قيمة الشعر فى بلاط  
العباسيين.

\*\*\*



# فهرست

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١٣	الباب الأول الفصل الأول:
١٥	الشعر في عصر السفاح ١٣٢هـ - ١٣٦هـ الفصل الثاني:
٣١	الشعر في عصر المنصور ١٣٦هـ - ١٥٨هـ الفصل الثالث:
٨١	الشعر في عصر المهدي ١٥٨هـ - ١٦٩هـ الفصل الرابع:
١٢٥	الشعر في عصر الهادي ١٦٩هـ - ١٧٠هـ الفصل الخامس:
١٤١	الشعر في عصر الرشيد ١٧٠هـ - ١٩٣هـ الفصل السادس:
٢٤٣	الشعر في عصر الأمين ١٩٣هـ - ١٩٨هـ الفصل السابع:
٢٦٥	الشعر في عصر المأمون ١٩٨هـ - ٢١٨هـ الفصل الثامن:
٣٢٥	الشعر في عصر المعتصم بالله ٢١٨هـ - ٢٢٧هـ الفصل التاسع:
٣٣٩	الشعر في عصر الواثق ٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ الفصل العاشر:
٣٥٥	الشعر في عصر المتوكل ٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ الفصل الحادي عشر:
٣٩١	الشعر في الفترة الثانية من العصر العباسي الأول ٢٤٧هـ - ٢٨٩هـ
٤٢٣	الباب الثاني: الشعر في قصور الخلافة العباسية

# مكتبة بلستانج المعرفة

مكتبة بلستانج المعرفة

لطباعة ونشر وتوزيع الكتب

كفر الدوار - الحدائق - بجوار نقابة التطبيقيين

٤٥/٢٢٢٤٢٢٨٤ • الإسكندرية: ٠١٢٣٥٣٤٨١٤ & ٠١٢١١٥١٢٣٧